مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الثانية والثلاثون : العدد مائة وخمسة وعشرون - رمضان ١٤٤٥هـ/ مارس ٢٠٢٤ م

صحيح البخاري

الجامع الصحيح رواية أبي الوقت عبد الأول عن ابن المظفر الداودي عن السرخسي عن الفربري عن البخاري

المؤلف: البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، أبو عبد الله ٢٥٦ هـ

تاريخ النسخ: ١٠ جمادى الآخرة سنة ٧٧٩ هجري

نسخة مكتبة حاجي بشير آغا برقم ١٦٢

Sahih Bukhari

Al-Jami' Al-Sahih, the narration of Abu Al-Waqt Abdul Awal, on the authority of Ibn Al-Muzaffar Al-Dawoodi, on the authority of Al-Sarkhasi, on the authority of Al-Farbari, on the authority of Al-Bukhari

Author: Al-Bukhari: Muhammad bin Ismail bin Ibrahim Al-Jaafi, Abu Abdullah 256 AH

Copy date: Jumada al-Akhirah 10, 779 AH

Haji Bashir Agha Library Copy No. 162

شروط النشر في المجلة

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

– قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.

– قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون البحث جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهةٍ أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون البحث سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة مبيّنًا، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون البحث تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطّية المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

١ – ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

٢ – لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

٤ – تستبعد المجلة أيّ بحثٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.

٦ – يعطى الباحث نسختين من المجلة.

مركـــز جمعـــة المـــاجـــد للثقـــــافة والتـــــــراث
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد ،

فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (١٢٥) من مجلة آفاق الثقافة و التراث.

راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.

مع خالص شكرنا و تقديرنا لحسن تعاونكم معنا

و تفضلوا فائق الاحترام و التقدير

Dear Sir ;
Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No (125). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required infomation.
Thank you for your kind cooperation
We remain

Gift ☐ إهداء

Exchange ☐ تبادل

Subscription ☐ اشتراك

قسيمة اشتراك
Subscription Order Form

سنة ☐ One Year　　أكثر من سنة ☐ More Than One Year　　عدد السنوات ☐ of Years

للأعداد : ..... Issues　　عدد النسخ : ..... of Copies:

ابتداء من تاريخ : ..... Subscription Date :

شيك ☐ Check　　حوالة مصرفية ☐ Bank Draft　　حوالة بريدية ☐ Postal Draft

التاريخ : ..... Date :　　التوقيع : ..... Signature :

إشعار بالتسلم

Acknowledgement of Receipt

Name : ..... الاسم الكامل :

Institution ..... المؤسسة :

Address ..... العنوان :

P.O. Box : ..... صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ : Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك Exchange ☐ تبادل Gift ☐ إهداء

Signature : ..... التوقيع : Date : ..... التاريخ :

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصـــدر عن قسم الدراســـــات والنشر والشؤون الخارجية
بمركـــز جمعـــة الماجـــد للثقـــافة والتـــراث
دبـــي ـ ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتـــف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكـــس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولـــة الإمـــارات العربيـــة المتحـــدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة الثانية والثلاثون : العدد مائة وخمسة وعشرون ـ رمضان ١٤٤٥هـ/ مارس ٢٠٢٤ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ ـ ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليـــل
أولريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيـــئة التحـــرير

مديـر التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير

د. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير

د. أبـوبـكـر الـصـديـق
د. مـحـمـد أحـمـد الـقـرشـي
د. فكـري عبـد المنعـم النجـار
د. مـحـمـد فـاضـل الـحـطـاب

الاشتراك السنوي

	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الإفتتاحية

«دور الـذكاء الاصطناعـي في صون التراث العربي: تحديات وإمكانيات»

سكرتير التحرير ٤

المقـالات

مصطلح الفوز في القرآن الكريم دراسة مصطلحية

الأستاذ: عادل عادل الوادي ٦

المُتَبَقِّي مِنْ شِعْرِ أبي الوَلِيد الشَّوَّاش الشِّلْبِي «جمع وتوثيق ودراسة»

د. محمد محجوب محمد عبد المجيد ٢٦

التجّار الأوروبيّون والشـرق الأقصى إبّان القرن الرابع عشر الميلادي

د. بيار مكرزل ٦٥

آثار الاحتلال الفرنسي على ترحال قبائل الجنوب الشرقي المغربي قبيلة آيت خباش أنموذجا

عبد الرحمن ملوكي ٨٥

الحُضُور المَغْربيّ في مِصْر بين القَرْنَيْن (١٢- ١٤هـ/ ١٨- ٢م) مُعْطيات أَوَّلِيّة في ضوْء الإفادات التاريخيّة والشّواهد الأثَريّة

د. رامي ربيع عبد الجواد راشد ١٠٠

إعادة التدوير في المؤلفات التراثية العربية ١٠٩

أ.د.مها الشعار

تحقيق المخطوطات

الإنصـاف فيما بين الأئمة فـي حدثنا وأخبرنا من الاختلاف ١٢٩

الدكتور العربي الدائز الفرياطي

الملخصات ١٨٦

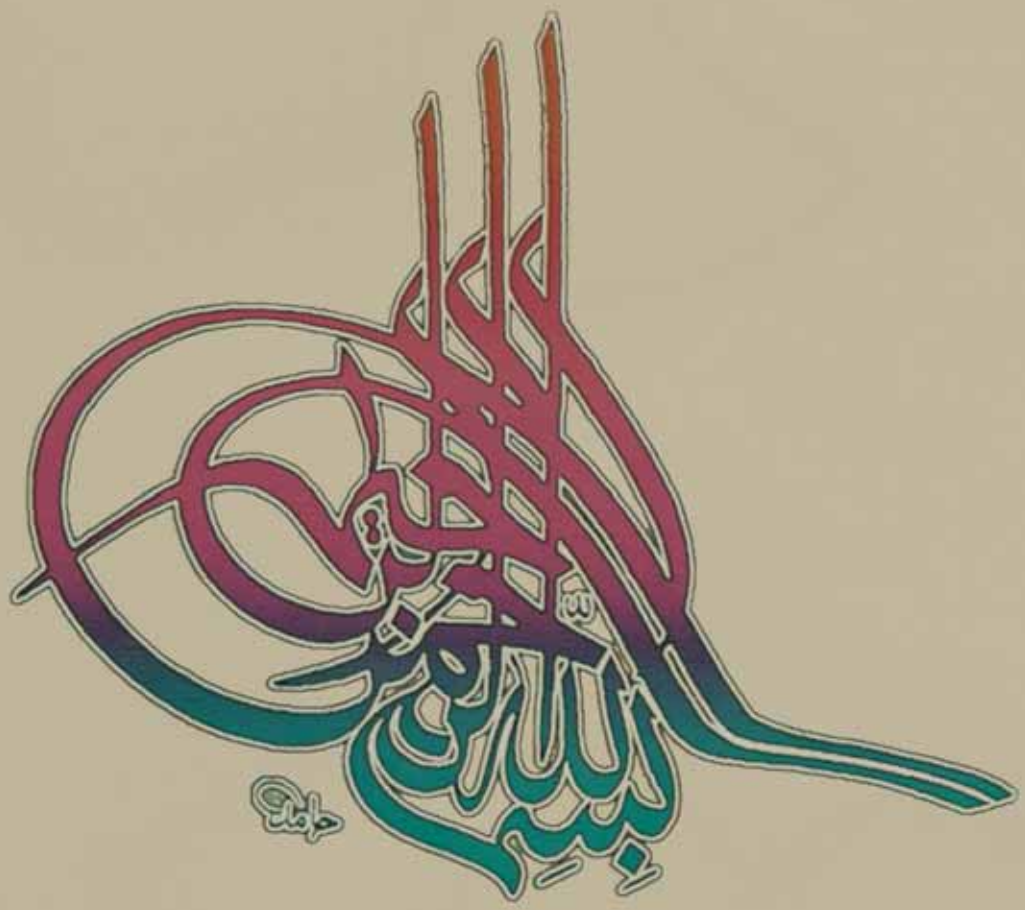
بسم الله الرحمن الرحيم

"دور الذكاء الاصطناعي في صون التراث العربي: تحديات وإمكانيات"

في عصر تسارع التكنولوجيا بوتيرة فائقة، وفي سياق يتسم بالابتكار والتقدم العلمي المستمر، يثار لدى العقل البشري تساؤلٌ ملحّ حول كيف يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُسهم في الحفاظ على جذورنا الثقافية والتاريخية. وهذا الموضوع يفتح أمامنا أبواب الاستكشاف العلمي نحو عالم يجمع بين الحداثة والالتزام بحماية التراث العربي الثري والمحافظة عليه.

ولكن عملية صون التراث العربي بواسطة الذكاء الاصطناعي تواجهها تحديات متعددة تتطلب مستوى عالٍ من التفكير العميق لاستحداث حل مناسب لها. هذه التحديات تشمل تواصل الثقافة واللغة؛ حيث يتعين تطوير نماذج لغوية متقدمة لفهم اللغة العربية بشكل شامل ودقيق، مع مراعاة اللهجات المحلية والتعبيرات الثقافية الفريدة. يأتي بعدها التحدي في التعامل مع الوسائط المتعددة، مثل الصور والفيديوهات؛ حيث يتطلب فهم وتحليل هذه الوسائط تطوير تقنيات الرؤية الحاسوبية المتقدمة.

ثم إن تقديم تجارب تفاعلية تعتمد على الذكاء الاصطناعي يشكل هو أيضًا تحدّ؛ حيث يتعين إيجاد وسائل فعّالة للتفاعل مع التراث العربي بشكل ملهم وتعليمي. وفي سياق حقوق الملكية الفكرية والأمن المعرفي، ويظهر تحديٌ آخر يتعلق بتطوير تقنيات تحترم حقوق المؤلفين وتضمن سلامة المعلومات. ومن جانب آخر، فإن فهم التفاعل الثقافي واحترام القيم والعادات الثقافية يستلزم تدريب النماذج الذكية على تلك السياقات.

وفي مسعى لتحفيز المشاركة المجتمعية، يظهر التحدي الذي يتعين على المجتمعات المحلية المشاركة في جمع المعلومات والتحقق من دقتها، مع الحاجة إلى تشجيع المشاركة وبناء الثقة في العملية. لتجاوز هذه التحديات، يجب على الخبراء في مجالات الذكاء الاصطناعي والتراث العربي تكثيف التعاون والتفاعل مع المجتمعات المحلية لضمان تكامل الجهود وتحقيق أقصى استفادة من التكنولوجيا في صون التراث العربي.

وهذا لا يتنافى مع وجود فرص تمكن الذكاء الاصطناعي من صون التراث؛ فتقنيات الذكاء الاصطناعي تقدم فرصًا كبيرة للإسهام في حفظ وتعزيز التراث العربي. فيمكن للذكاء الاصطناعي

تحسين عمليات جمع البيانات وتصنيفها، مسهمًا في إنشاء مكتبات رقمية ضخمة للتراث العربي باستخدام تقنيات التعرف على الصور والنصوص. وتقنيات معالجة اللغة الطبيعية يمكنها توثيق وحفظ اللغة العربية واللهجات المحلية، بوسائل دقيقة وفعّالة.

كما يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي لتطوير تجارب تفاعلية تتيح للجمهور التفاعل بشكل مبتكر مع التراث العربي، وذلك عبر تقديم تجارب تفاعلية وتعليمية. كما يمكن استخدام التقنيات الذكية لتحليل وترميز الفنون التقليدية العربية، داعمة بالتالي للحفاظ على التقنيات الفنية والصناعات التقليدية.

كما أن التفاعل الثقافي يمكن تعزيزه عبر تطوير منصات تفاعلية تسهم في تواصل فعّال بين الأجيال والمجتمعات المتنوعة، مما يسهم في نقل التراث بشكل شيّق وجذاب. وأخيرًا، يُظهر استخدام التحليل الضوئي للوثائق القديمة والمخطوطات فرصًا لتحسين عمليات الحفظ والاسترجاع بشكل فعّال. وهذه الفرص تشير إلى إمكانيات كبيرة لتحسين وتطوير حلول ذكية تسهم في حفظ وتعزيز التراث العربي بطرق متطورة ومبتكرة.

ختاما يتزامن تطبيق التقنيات الذكية في حفظ التراث العربي مع مسعى ذي أهمية بالغة نحو الحفاظ على الهوية الثقافية وتوارثها للأجيال القادمة. تعد هذه الخطوة إيجابية واعدة، حيث يعزز استخدام التكنولوجيا المتقدمة توثيقًا دقيقًا وفعالاً للمكونات الثقافية والتاريخية للمجتمع العربي.

وإنه بفضل استثمار الجهود وتكاملها في هذا السياق، يمكن أن يسهم ذلك في تحقيق توازن مثالي بين التطور التكنولوجي والحفاظ على التراث. يعزز هذا التكامل فهمًا أعمق لتراثنا العربي الغني، ويخلق جسرًا بين الماضي والحاضر يُظهر تطور الثقافة والهوية على مر العصور. فيتيح استخدام التقنيات الذكية لحفظ التراث العربي إمكانية الارتقاء بالتفاعل الثقافي والتبادل الحضاري. و يسهم ذلك في إشراك العالم بأسره في رحلة استكشاف جماليات تاريخنا وتراثنا الثقافي، مما يعزز الفهم المتبادل ويعمق العلاقات الثقافية على المستوى العالمي.

سكرتير التحرير

د. منى مجاهد المطري

مصطلح الفوز في القرآن الكريم دراسة مصطلحية

الأستاذ: عادل عادل الوادي
أستاذ باحث في علوم القرآن والتفسير
والحديث والدراسة المصطلحية
وزارة التربية الوطنية، المغرب

اهتم هذا البحث بدراسة مصطلح الفوز؛ للكشف عن مفهومه في النسق القرآني وفق منهج الدراسة المصطلحية؛ سعيًا إلى فهم معانيه في ضوء حاجة الإنسان إلى تحقيق الفوز، بعيدًا عن كل تعصب وجهل، وتحقيقًا للفوز الحقيقي الذي اختاره الله تعالى لعباده، ذلك الفهم السليم للفوز، الذي يمكّن الناس من العيش الكريم، المُمَكِّن من عبودية الخلق لله، والتَّحرُّر ممن سواه.

"صحب التفكير في التجديد الديني مجموعة من المفاهيم التي كثر دورانها في وسائل الإعلام"[1]، ومن شأن دراسة مصطلح الفوز داخل نصوصه القرآنية؛ أن تكشف عن مفهومه، وتمكِّن من تدقيق النظر في تلك النصوص، وزيادة فهمها بما تتيحه الدراسة المصطلحية من نتائج، وما تمنح من إمكانات لضبط المصطلح، وتحديد علاقاته بالمصطلحات الأخرى التي تنتمي إلى أسرته المفهومية؛ ممّا يفتح آفاقًا جديدة لفهم مصطلح الفوز في القرآن الكريم وموقع الإنسان منه، خاصة مع ما يشهده العالم من نزاعات وتحوّلات في كل الاتجاهات، وما ينتج عن ذلك من مشاكل وصعوبات تفرض على الإنسان رفع التحدّي، حفاظًا على قيمته، وبحثًا عن الحق والتزامًا به، "فوجوده مغيّا بغايات، هي التي تمنحه قيمته الحقيقية"[2].

أهمية البحث:

لمفهوم الفوز في القرآن الكريم أهمية كبيرة، خاصة مع حاجة الأمة الإسلامية إليه أفرادًا وجماعات، ومع ركونها إلى ما جاءت به الحضارات المادية، من مصطلحات وافدة[3]، وذلك في إطار الانشغال المتزايد بمجال التقدم والتنمية خاصة، والقضايا الإنسانية عامة؛ حيث "التحدي الحضاري الحالي للأمة يهددها تهديدًا حقيقيًا بالفناء، وإن التصدي الحضاري المكافئ له لن يكون بغير إعادة بناء الذات، ولا سبيل إلى إعادة بناء الذات بغير الانطلاق من التراث، ولا

سبيل بغير مفتاحه الذي هو المصطلحات" [٤].

يهدف هذا البحث إلى ضبط مفهوم الفوز ودراسة مصطلحه القرآني، الذي له من الخصائص والدلالات ما يدعو لدراسته دراسة مصطلحية تشمله في كل نصوصه. وتظهر أهمية هذه الدراسة أيضًا فيما يأتي:

ارتباط موضوع البحث بالقرآن الكريم، فشرف العلم من شرف ما تعلَّق به.

اعتبار هذا الموضوع من الموضوعات المهمة التي ظلت تشغل اهتمام الإنسان حيث سعى إلى الفوز، والترقّي في درجاته، مهما اختلف فهمه وتغير حاله.

غياب الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع وفق منهج الدراسة المصطلحية.

الإسهام في فهم واستعمال مصطلحات الوحي بشكل عام، والقرآن الكريم على وجه الخصوص، وبالأخص ما تعلّق منها بموضوع هذه الدراسة.

أهداف البحث:

بيان مفهوم الفوز ودلالاته، بإعمال منهج الدراسة المصطلحية.

الوقوف على معاني مصطلح الفوز من خلال مادته، الواردة في نصوصه.

وضع تعريف مناسب لمصطلح الفوز في القرآن الكريم.

مشكلة البحث:

ينشغل هذا البحث بمفهوم الفوز في القرآن الكريم؛ ويروم بيانه عبر دراسة مصطلحه في كل النصوص القرآنية التي ورد فيها، إذ مرجعية المسلمين الأولى في عباداتهم وعاداتهم يجب أن تكون إلى الوحي الإلهي المكنوز في نصوصه، ومفاتيحها مصطلحاته، باعتبار أن "كلام الله المعجز جاء للبشر جميعًا، لا يختص بأمة معينة، ولا زمان معين، ولا مكان محدد، فهو خطاب ممتد عبر الزمان والمكان، وهذا ما يفسّر مدى الحيوية الزاخرة النابعة من السياقات القرآنية المتنوعة، هذه الحيوية نابعة من أسلوبه الخاص وبنية ألفاظه المتفردة في التعبير عن المعنى المراد"[٤] فما هو إذن مفهوم الفوز؟ وما دلالاته في القرآن الكريم وفق منهج الدراسة المصطلحية؟ وما هي المعاني التي جاء بها مصطلح الفوز في النصوص القرآنية؟ وكيف يمكن الجمع بين تلك المعاني اعتمادًا على منهج الدراسة المصطلحية؛ للوصول إلى تعريف يناسب هذا المصطلح القرآني ؟

الدراسات السابقة:

اهتمت دراسات عديدة بموضوع الفوز في القرآن الكريم، وذلك دون دراسة مصطلحه دراسة مصطلحية، ومن تلك البحوث: دراسة مفاز محمد داود[٥] التي اهتمت بموضوع الفوز في القرآن الكريم، وتناولته في ثلاثة فصول: بينت دلالات الفوز في السياق القرآني، واستعرضت أنواعه، كما عددت صفات الفائزين مع ذكر ثمرات أهل الفوز، لكن هذه الدراسة كان مدخلها الموضوع لا المصطلح. بينما اهتم شاهين، سلطان[٦] في دراسة تأصيلية بقيمة الفوز وصفات الفائزين في مبحثين، أولهما: خُصِّصَ لتعريف الفوز وأهميته في القرآن الكريم، وبيّن الثاني: صفات الفائزين في القرآن

الكريم، لكن دون تتبّع المصطلح ومادته في النصوص القرآنية، كما أن التعريف الوارد في بحثه لم يكن نتيجة ذلك التتبع. وخصص ضياء عليوي[٧] بحثه لدراسة معنى الفوز الكبير يوم القيامة، لكن هذه الدراسة من جهة تخص ضميمة الفوز الكبير، من أخرى هي دراسة تختلف عن منهج الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم. واهتم الشامي[٨] بمصطلح الفوز في القرآن الكريم، وذلك في خمس وقفات، شملت تعريف المصطلح، وذكر مشتقاته وأوصافه، وما سماه القرآن فوزًا مع ذكر أسباب الفوز، لكن ذلك كان دون دراسة معجمية لغوية واصطلاحية: تثبت ما حواه القديم من المعاجم، وتسجل ما أضافه الجديد، كذلك غاب الإحصاء الدقيق لمادة (فوز)، كما أن التعريف المعتمد، لم يكن نتيجة لوقفات تلك الدراسة.

الإضافة العلمية في الدراسة الحالية:

يسعى هذا البحث إلى الإضافات العلمية الآتية:

- ضبط الدلالات اللغوية ثم الاصطلاحية لمفهوم الفوز.

- تتبع وضبط استعمالات هذا المصطلح في نصوصه القرآنية، وذلك بعد استقراء تام ومضبوط لمادته.

- استخلاص تعريف لمصطلح الفوز في القرآن الكريم.

تبويب البحث:

المبحث الأول: مفهوم الفوز في المعاجم

المطلب الأول: الفوز في المعاجم اللغوية

المطلب الثاني: الفوز في المعاجم الاصطلاحية

المبحث الثاني: الفوز في القرآن الكريم

المطلب الأول: ورود مادة (فوز) في القرآن الكريم

المطلب الثاني: نتائج الورود مادة (فوز) في القرآن الكريم

المبحث الثالث: تحديد التعريف

المطلب الأول: تعريف المصطلح

المطلب الثاني: عناصر التعريف

خاتمة

منهج البحث:

اتبع هذا البحث منهج الدراسة المصطلحية، قصد بيان مفهوم الفوز في القرآن الكريم؛ وذلك لما يتميز به هذا المنهج من تصور واضح تحكمه جملة أصول وإجراءات؛ توظف التحليل والتعليل والهدف، ويحكمها المنهج الوصفي مع منهاج تاريخي خاص، وقد انشغل هذا البحث بدراسة ما يتيحه الاستقراء التام للمصطلح في القرآن الكريم، ثم اعتماد الدراسة المعجمية وكذا النصية، استنادًا إلى الخطوات والإجراءات التي يعتمدها منهج الدراسة المصطلحية، وذلك انطلاقًا من دراسة المصطلح في نصوصه، لضبطه وصياغة تعريف يناسبه.

المبحث الأول: مفهوم الفوز في المعاجم

إن تناول مفهوم الفوز في المعاجم يستلزم:

أولًا: دراسة هذا المصطلح في المعاجم اللغوية؛ للوقوف على مدار مادته أو أصلها

اللغوي، مع تمييز مأخذها، وتحديد المعاني التي شُرح بها المصطلح ذاته.

ثانيًا: دراسة هذا المصطلح في المعاجم الاصطلاحية، تتبعًا لجهود السابقين، ورصدًا لما أضافه بعضهم من معان عند تعريفه أو استعماله لهذا المصطلح.

المطلب الأول: الفوز في المعاجم اللغوية

لتحديد مفهوم الفوز في المعاجم اللغوية، لا بد من الوقوف على مادته (فوز) في هذه المعاجم؛ لضبط مأخذها ومدارها اللغوي، ومن ثم تحديد معنى الفوز في اللغة.

مادة (فوز) في المعاجم: المأخذ والمدار اللغوي

المأخذ: المتتبع لمختلف استعمالات مادة (فوز) في اللغة، يجدها منبثقة من الاستعمال الحسي الآتي: الانتقال في الأرض وعبور الفلاة ونظيرها؛ حيث مظنة الهلاك أو النجاة، جاء في العين للفراهيدي: "وفوّز الرَّجُلُ تفويزًا: رَكِبَ المفازة ومضى فيها.. ومنه يُقالُ لمن مات: فَوَّزَ، أي: صار في مَفازةٍ بين الدُّنيا والآخرة. ويقال: بل سُمِّيَتْ تطيّرًا من الفلاة وهي المَهلكة،"[٩] وزاد الجوهري: "فَوَّزَ، أي مات، ومنه قول الشاعر:

فمَنْ للقوافي شانَها من يَحوكها

إذا ما ثوى كعب وفوَّز جرول.

والمَفازَةُ أيضًا: واحدة المفاوِز. قال ابن الأعرابي: سمِّيت بذلك لأنها مَهْلَكة، من فَوَّزَ، أي: هلك. وقال الأصمعيُّ: سمِّيت بذلك تفاؤلاً بالسلامة والفوز، ويقال: فَوَّزَ الرجلُ بإبله، إذا ركب بها المفازة."[١٠]. قال ابن سيده: "وفَوَّزَ: صار إلى المَفَازَةِ، وَقِيلَ: رَكِبَها، وقِيلَ: فَوَّزَ: خَرَجَ من أَرضٍ إلى أَرْضٍ كَهَاجَرَ، وتَفوَّزَ كَفَوَّزَ...، وفَازَ الرَّجُلُ وفَوَّزَ: هَلَكَ"[١١]. قال حسن جبل: "المعنى المحوري عبور مسافة قفر جَافّة بالغة الامتداد: فكذلك الفَلَاة...، وعبور الصحراء (وما هو نظيرها من مظان الهلاك) نجاة وخلوص منها، ومنه قالوا: "الفوز: النّجاة"[١٢].

_ المدار أو الأصل اللغوي: أما أصل مادة (فوز) في المعاجم اللغوية: فهو مرتبط بالمأخذ، قال ابن فارس في المقاييس: "(فَوَزَ) الْفَاءُ وَالْوَاوُ وَالزَّاءُ كَلِمَتَانِ مُتَضَادَّتَانِ؛ فَالْأُولَى النَّجَاةُ، وَالْأُخْرَى الْهَلَكَةُ."[١٣].

مما سبق يتضح جليًا أن أصل مادة الفوز: (فوز) يدور على معاني النجاة والهلاك.

٢- معنى الفوز في اللغة

إن تحديد معنى الفوز لغة، يبنى بالأساس على مأخذ مادة (فوز) وأصلها في اللغة، كما أنه يتأسّس بناء على ما ذهب إليه أهلُ المعاجم في ذكر معاني الفوز.

"الفَوْزُ: الظَّفَرُ بالخَيْر، والنَّجاة مِنَ الشّرّ"[١٤]،"والفَوْز: ضِدّ الْهَلَاك "[١٥]، "والفَوْزُ أيضًا: الهلاك"[١٦]، وجعل ابن سيده الفوز كلَّ نجاء وظفر بالخير، قال: "الفَوزُ: النَّجاءُ والظَّفَرُ بالأُمْنِيَّةِ والخَيرِ."[١٧]، واعتبر الزمخشريّ الفوز بالثواب ومن العقاب، قال: "طوبى لمن فاز بالثواب، وفاز من العقاب؛ أي ظفر ونجا. وهو بمفازة من العذاب، أي: بمنجاة منه"[١٨]، وأيضًا: "الفَوْزُ: النَّجاةُ، والظَّفَرُ بالخَيْرِ، والهَلاكُ ضِدّ

فازَ: ماتَ"[١٩].

مما سبق يتبيّن أنَّ الفوز في اللغة تدور معانيه على الظَّفَرُ بالخَيْر والثواب والأمنية، والنّجاة من الشّر والهلاك والعقاب، ومن معاني الفوز أيضًا: الموتُ والهلاك.

المطلب الثاني: الفوز في المعاجم الاصطلاحية:

لا شك أن تعريف الفوز في المعاجم الاصطلاحية، ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالمفهوم اللغوي، إلا أنه اختلف من معجم لآخر، تبعًا لاختلاف الحقول الدلالية لأصحاب تلك المعاجم، وفي إطار الصيرورة الزمنية لتأليفها؛ فانعكس ذلك على تعريف هذه المعاجم لمصطلح الفوز في ضوء نصوص القرآن الكريم.

نظرًا لما سبق، كان لا بد من إيراد ما تحصَّل من تعريفات أصحاب المعاجم للفوز؛ لما قد تحمل هذه التعريفات من المعاني المعتبرة، فالبعض قصر الفوز على المعنى المادي، بينما جعله آخرون مرتبطًا بعموم المعنى اللغوي، فوضع بعض الشروط والأقسام والتفريعات، لذلك اهتم هذا المبحث باستعراض ما تحصَّل من بعض أهم هذه التعريفات، مع محاولة تسجيل بعض الملاحظات.

١- في المفردات للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)

قال الراغب: "الْفَوْزُ: الظَّفر بالخير مع حصول السّلامة...، والمَفَازَةُ قيل: سُمّيت تفاؤلاً لِلْفَوْزِ، وسُمّيت بذلك إذا وصل بها إلى الْفَوْزِ، فإنّ القفر كما يكون سببًا للهلاك، فقد يكون سببًا للفوز، فيُسمّى بكلّ واحد منهما، حسبما يتصوّر منه ويعرض فيه، وقال بعضهم: سمّيت مَفَازَةً من قولهم: فَوَّزَ الرّجل: إذا هلك، فإن يكن فوّز بمعنى هلك صحيحا فذلك راجع إلى الفوز، تصوّرا لمن مات بأنه نجا من حبالة الدّنيا، فالموت- وإن كان من وجه هُلْكًا، فمن وجه فَوْزٌ، ولذلك قيل: ما أحد إلّا والموت خير له، هذا إذا اعتبر بحال الدّنيا، فأما إذا اعتبر بحال الآخرة فيما يصل إليه من النّعيم فهو الفوز الكبير: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فاز ۞ ﴾[آل عمران:١٨٥]، وقوله: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ ۞ ﴾[آل عمران:١٨٨]، فهي مصدر فَازَ، والاسم الفَوْزُ، أي: لا تحسبنّهم يَفُوزُونَ ويتخلّصون من العذاب. وقوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازًا ۞ ﴾ [النبأ:٣١] أي: فَوْزًا، أي: مكان فوز، ثم فسّر فقال: ﴿حَدائِقَ وَأَعْنابًا ۞ ﴾[النبأ:٣٢]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَصابَكُمْ فَضْلٌ ۞ ﴾[النساء:٧٣] إلى قوله في نهاية هذه الآية: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا ۞ ﴾ أي: يحرصون على أغراض الدنيا، ويعدّون ما ينالونه من الغنيمة فوزًا عظيما"[٢٠].

يمكن ملاحظة الآتي:

اعتبر الْفَوْزُ الظّفر بالخير مع حصول السّلامة، وحصول السلامة نّجاة من الشّر والهلاك والعقاب، وهذا منسجم مع معاني الفوز في اللغة.

اعتبر المفازة فوزًا لما قد يتصل بها من ظفر وخير في الدنيا أو في الآخرة، وأعظم الفوز وأكبره ما يناله المتقون عند ربهم في الآخرة زمانا ومكانا.

بنى التعريف على مأخذه المتصل بالقفر، وعلى أصله اللغوي المرتبط بالنجاة، وميز بين فوز الدنيا والآخرة.

٢- في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)

قال ابن الأثير: "فَـوَزَ فِي حَدِيثِ سَطِيح: أَمْ فَازَ فازْلَمَّ بِهِ شأْوُ العَنَنْ، فَازَ يَفُوزُ، وفَوَّزَ إِذَا مَـاتَ، ويُـروى بِالدَّالِ بِمَعْنَاهُ. وَقَـدْ سَبَقَ. وَمِنْهُ حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، واسْتَقْبَل سَفَرًا بَعِيدًا ومَفَازاً، المَفَاز والمَفَازَة: البَرِّيَّة القَفْر، والجمْع: المَفَاوِز، سُمِّيت بِذَلِكَ لِأَنَّهَا مُهْلِكَة، مِن فَوَّزَ، إِذَا ماتَ، وَقِيلَ: سُمِّيت تَفَاؤلاً، مِنَ الفَوْز: النَّجاة. وَقَدْ تَكَرَّرَ في الحديث[٢١].

ذكر ابن الأثير علاقة الفوز بالنَّجاة والهلاك، ومنه: تسمية البرية القفر بالمفاز والمفازة؛ لتعلقها بالموت أو النجاة منه.

٣- في التوقيف على مهمَّات التعاريف للمناوي (ت: ١٠٣١ هـ).

قـال المناوي: "الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة، ومنه: سمّيت المفازة تفاؤلاً بالسلامة، والفوز يستعمل في المكان والزمان، والجسم والعدد والمنزلة والكل في القرآن."[٢٢]

يلاحظ الآتي:

أورد المناوي ما ذكره الراغب في كون الفوز ظفر بالخير مع حصول السلامة، وعلاقة ذلك بالمفازة.

ذكر معاني الفوز في القرآن المتعلقة بالمكان والزمان والجسم والعدد والمنزلة.

٤- في الكليّات للكَفَوي (ت١٠٩٤ :هـ)

قال الكَفَوي: "الْفَوْز: كلُّ مَن نجا مِن تهلكة وَلَقي مَا يغتبط بِهِ فقد فَاز، أَي: تبَاعد عَن الْمَكْرُوه، وَلَقي مَا يُحِبهُ، وَقد يَجِيء الْفَوْز بِمَعْنى الْهَلَاك، يُقَال: فَازَ الرَّجل: إِذا مَاتَ، وفاز بِهِ: ظفر، وفَازَ فِيهِ: نجا"[٢٣].

يلاحظ الآتي:

بنى الكَفَوي تعريفه على المعنى اللغوي المرتبط بالنجاة من التهلكة، والتباعد عن المكروه، وزاد الظفر بالمحبوب.

ذكر استعمال الفوز في معنى الهلاك، كما يستعمل في الظفر والنجاة.

٥ - في المعجم الاشتقاقي المؤصّل لحسن جبل (ت: ١٤٣٦هـ)

قال حسن جبل: "المفازَة: الفَلاةُ، البَرِّيَة القَفْر، التي لا ماء فيها، وإذا كان القفر مسير) ليلتين (أو أكثر لا ماء فيه فهي مفازة، وأما الليلة واليوم فلا يعد مفازة، وذُكر لها مقياس آخر من وِرد الإبل وغيرها. فَوَّز الرجل: خَرَج من أرض إلى أرض... والمعنى المحوري: عبور مسافة قفر جَافّة بالغة الامتداد، فكذلك الفَلَاة. ويلحظ أن الاسم على صيغة اسم المكان، فهي موضع ذلك، كأن تأويل اسمها ما يقتضي العبور، أي: الاستعداد له. وكـأن غيرها من المسافات لا يُعَدُّ عُبورُه عُبورًا...، وعبور الصحراء وما هو نظيرها من مظانّ الهلاك: نجاة وخلوص منها، ومنه قالوا: الفوز: النجاة، فاز بكذا: أفلح به وظفر بمراده...، ثم عُبِّرَ به عن تَحْصيل خير، كأنه نجاةٌ من الحِرمان، وَعُدِّيَ بالباء، لهذا فقيل: فَاز بكذا: ظَفِر به، ذَهَب به، والعامّةُ تقولْ: عَدَّى بكذا. لهذا المعنى.

ومن معنى العبور هذا –قيل: فَازَ وفَوَّزَ: أي مَات، وهذا تفسير ما زعموا من تضاد بين فاز: نجا، ومات, فالعرب عَدُّوا كلًّا منهما عبورًا، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۞﴾ [النبأ:٣١] أي: موضع فوز ونجاة وخلاص مما فيه أهل النار، وقيل: لهم حدائق، أي: هذه الحدائق يصيرون إليها، أي: مفازًا يفوزون إليه هو الحدائق؛ لأن الآيات السابقة كانت عمَّا يعذّب به الطاغون، وسائر ما في القرآن من التركيب هو الفوز بمعنى النجاة، وما يلزمها من التنعم بنعم الجنة"[٢٤].

وفقًا لإعمال منهجه المرتكز على القيم الصوتية والاشتقاق في تعريف مدلولات الألفاظ، وكذا المعنى المحوري الجامع في تحديد معاني التراكيب القرآنية، خلص حسن جبل إلى أن:

بنى المعنى المحوري على مأخذ مادة (فوز)، وهو الخروج من أرض إلى أرض، ومنه المعنى المحوري: عبور مسافة قفر جَافّة بالغة الامتداد.

اعتمد الأصل اللغوي المتصل بعبور الصحراء، وما هو نظيرها من مظان الهلاك نجاة وخلوص منها.

اعتبر ما ورد من الفوز في القرآن، جاء بمعنى النجاة وما يلزمها من التنعم بنعم الجنة.

يلاحظ اهتمام المعجم بالمعنى المحوري لمادة (فوز)، دون تعريف مصطلح الفوز، كما أن اعتماده الاستقراء الناقص؛ جعله يقتصر على نصوص قرآنية دون غيرها، وإن كانت تراكيب مادة (فوز) الاشتقاقية تتضمن معاني العبور، إلى أنها تتفرع في النصوص القرآنية، وتشكل في سياقاتها المتعددة مفاهيم جزئية، وجب الاهتمام بها، بحثًا عن مفهوم مصطلح الفوز.

ما سبق من تعريفات لاشك مهم، على الرغم مما قد يؤخذ عليه من ملاحظات، فما هو إذن مفهوم الفوز كما تدلُّ عليه الآيات الواردة في القرآن الكريم؟

من أجل ذلك سيحاول المبحث الثاني، الوقوف على الآيات مواطن الورود، ثم ضبط العناصر الدلالية التي تحملها.

المبحث الثاني: الفوز في القرآن الكريم

المطلب الأول: ورود مادة (فوز) في القرآن الكريم

الجدول١٠: مادة (فوز) في القرآن الكريم بحسب السور[٢٥]

السور التي وردت فيها مادة (فوز)	عددها	عدد الورود في كل سورة	المجموع
التوبة	١	٥	٥
النساء	١	٣	٣
آل عمران ـ الأحزاب	٢	٢	٤
المائدة- الأنعام- يونس- الصافات - غافر- الدخان - الجاثية- الحديد- الصف- التغابن- البروج- الفتح - المؤمنون- النور- الحشر- النبأ-الزمر	١٧	١	١٧
المجموع	٢١	_	٢٩

الجدول٢٠: مادة (فوز) في سور القرآن الكريم بحسب الصيغ

اللفظ	السور التي وردت فيها مادة (فوز) مع رقم الآيات	مكية أم مدنية	عددها	عدد الورود في كل سورة	المجموع
فاز	آل عمران ١٨٥	مكية	٠٢	٠١	٠٢
	الأحزاب ٧١	مدنية		٠١	
أفوز	النساء ٧٣	مدنية	٠١	٣	٠١
الفوز	النساء ١٣	مدنية	٠١	٠١	١٣
	المائدة ١١٩	مدنية	٠١	٠١	
	الأنعام ١٦	مكية	٠١	٠١	
	التوبة ٧٢	مدنية	٠١	٠٤	
	التوبة ٧٩	مدنية			
	التوبة ١٠٠	مدنية			
	التوبة١١١	مدنية			
	يونس ٦٤	مكية	٠١	٠١	
	الصافات ٦٠	مكية	٠١	٠١	

	غافر ٠٩	مكية	٠١	٠١	
	الدخان ٥٧	مكية	٠١	٠١	
	الجاثية ٣٠	مكية	٠١	٠١	
	الحديد ١٢	مكية	٠١	٠١	
	الصف ١٢	مكية	٠١	٠١	
	التغابن ٠٩	مدنية	٠١	٠١	
	البروج ١١	مكية	٠١	٠١	
فوزًا	النساء ٧٣	مدنية	٠١	٠١	٠٣
	الأحزاب ٧١	مدنية	٠١	٠١	
	الفتح ٠٥	مدنية	٠١	٠١	
الفائزون	التوبة ٢٠	مدنية	٠١	٠١	٠٤
	المؤمنون ١١١	مكية	٠١		
	النور ٥٢	مدنية	٠١		
	الحشر ٢٠	مدنية	٠١		
مفازًا	النبأ ٣١	مكية	٠١	٠١	٠١
مفازة	آل عمران ١٨٨	مدنية	٠١	٠١	٠١
مفازتهم	الزمر ٦١	مكية	٠١	٠١	٠١
المجموع	_	_	١٠	_	٢٩

من خلال ما سبق يمكن ملاحظة الآتي:

أعلى عدد مرات ورود المادة في السور هو خمس مرات، وكان ذلك في سورة التوبة؛ حيث جاء بها أكثر من ١٧٪ من مجموع الورود، تليها سورة النساء بثلاث مرات، ثم سورتا آل عمران والأحزاب بمرتين لكل منها، بينما توزعت باقي المادة على السور التسع عشرة الباقيات؛ وهذا مؤشر من جهة على أهمية ما ورد في هذه السور المذكرة أعلاه للدلالة على مفهوم الفوز، فقد حوت سورة التوبة مصطلح الفوز أربع مرات وذلك بضميمة: (الفوز العظيم)؛ وفي ذلك إشارة إلى أهمية هذه السورة في الدلالة على مفهوم الفوز عامة، وضميمة الفوز العظيم خاصة، مع ارتباط ذلك بالتوبة إلى الله وقبولها، وولاية المؤمنين والبراءة من أعداء الدين المحاربين له، المعتبرين بفوز الدنيا دون اعتبار الفوز العظيم، كما ضمَّت سورةُ النساء صيغة الفعل المضارع: (أفوز) الواردة مرة واحدة في كل القرآن، إضافة إلى الصيغتين الاسميتين: (الفوز- فوزا).

ضمت سورتا آل عمران والأحزاب فعل الفوز بصيغة الماضي: (فاز)، الدالة من جهة: على حقيقة الفوز بالنجاة من النار وظفرا بالجنة، ومن جهة أخرى على سبيل تحصيل ذلك؛ بطاعة الله ورسوله. واختصت سورة آل عمران بصيغة المصدر: (مفازة) التي لم ترد في غيرها، والتي تدل على عدم نجاة أهل الشر فعلا وقولا،

الفخورين به، من عذاب الله يوم القيامة.

أزيد من ٥٨٪ من مادة (فوز) جاءت منتشرة في أكثر من ٨٠٪ من سور الورود، وفي هذا إشارة إلى أهمية الامتداد العريض لمصطلح الفوز عبر مشتقاته في سور القرآن الكريم.

مصطلح (الفوز) حاز بهذه الصيغة الاسمية أعلى ورود: (ثلاث عشرة مرة)، بزهاء ٤٥٪ من مجموع المشتقات؛ بيانا لحقيقة الفوز، وذكرا لما اتصف به من عظمة وكبر وإبانة: (عظيم، كبير، مبين)، و(فوزا) صيغة المصدر موصوفا بالعظيم: ثلاث مرات، بينما جاء مشتق: (الفائزون) صيغة لاسم الفاعل أربع مرات؛ وكل ذلك مؤكدًا أهمية الصيغ الاسمية وقوتها في الدلالة على معاني الفوز في القرآن الكريم.

انقسمت مادة: (فوز) في القرآن الكريم بين سبع عشرة آية مدنية، واثنتا عشرة مكية، وذلك في تسع سور مدنية واثنتا عشرة مكية؛ مما يؤكد من جهة أهمية ما ورد من مادة الفوز في القرآن المدني، كما يبين انتشارها في سور القرآن المكي بمرة واحدة في كل سورة، في توازن بين المرحلتين المكية والمدنية، وما ارتبط بذلك في سياقات مختلفة، وبصيغ متنوعة تناسب تلك السياقات، مع اختلاف يتلاءم مع طبيعة الخطاب القرآني العقدي بمكة، كما أن ما ورد في السور المدنية يتناسب مع طبيعة الخطاب التشريعي بالمدينة.

بالنسبة للأفعال: (فاز- أفوز)، يلاحظ أنها قليلة الورود: (ثلاث مرات) أي حوالي ١٠٪ من مجموع مادة الفوز، ووردت الأسماء بكثرة: (٢٧مرة)؛ حيث للأسماء دلالة قوية على مفاهيمها، إذ تعبِّر سيطرة الصيغ الاسمية: (ما يقارب ٩٠ ٪) التي ورد بها المصطلح على سموّ هذه الدلالة ورفعتها، وهذا السمو يناسب معاني الفوز والفائزين والمفاز والمفازة، وما تعلقت به هذه الصيغ من دلالات.

المطلب الثاني: نتائج ورود مادة (فوز) في القرآن الكريم

تبيّن من المعطيات السابقة الامتداد المعتبر لمادة الفوز (٢٩موضعًا) عبر سور القرآن الكريم: (٢١ سورة)؛ مما يدل على أهمية مصطلح الفوز عمومًا، كما يدل على خصوصية ارتباطه بما نزل من القرآن في المدينة، وبسياقات سورة التوبة التي احتوت أعلى ورود بالصيغة الاسمية المعرفة بالألف واللام: (الفوز). ويمكن من خلال ما سبق استخلاص النتائج الآتية:

أولا: الفوز بين ما نزل من القرآن في مكة، وما نزل من القرآن في المدينة

يمكن اعتبار المرحلة المكية مرحلة التأسيس والبناء لمصطلح الفوز، ويدل على ذلك عدد ورود مادة (فوز) فيها: (١٢مرة)، أي: بنسبة ورود اقتربت من ٤٢٪، ولعل هذا مرده إلى أن المرحلة المكية احتضنت تأسيس المفهوم الجديد للفوز والفائزين: أصله وماهيته، وحقيقته اللغوية والشرعية مع ارتباطه بمصير العباد في الآخرة، وكذا مقاصده. أما ما جاء في المرحلة المدنية، فكانت تأكيدًا على ما سبق، وتأسيسًا للتشريعات والأحكام المختلفة على ضوئه، ورجوعًا بالفوز إلى أصله، وبيانًا لأسبابه وعاقبته ومظاهره وأنواعه، مع ذكر أوصاف الفائزين وأحوالهم؛ لذلك حظيت بنسبة ورود أكبر: (١٧مرة)،

جاوز ٥٨٪ بقليل.

ثانيا: ميلاد مصطلح الفوز

الناظر في القرآن الكريم يلاحظ أن أول ما نزل من مادة الفوز: (فوز)، كان في سورة يونس المكية، في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ ۞﴾[يونس:٦٢-٦٤]، والفوز هنا جاء تسمية للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهي كل ما بُشّر به أولياء الله من نصر وعقبى الدار في كل أمورهم، فوقاهم الله كل خوف وحزن؛ جزاء إيمانهم وتقواهم ونصرتهم لدين الله وإقام شرعه. والفوز هنا يعني: الظَّفَرُ بالخَيْر والثواب والأمنية، والنّجاة من كل شّر وهلاك وعقاب، ومن ذلك: الخوف والحزن وسوء العاقبة، كما هو مقرر في اللغة، إلا أن الفوز هنا عظيم لا يعلوه فوز، ويشمل سعادة الدنيا والآخرة، لا تبديل لكلمات الله فيما وعد به أولياءه.

وأكد الوحي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٥٧ ۞﴾[الدخان:٥١-٥٧] على فوز المتقين في الآخرة بصنوف التنعيم والنجاة من نار الجحيم، ومن كل عذاب أليم، وقد خصَّ الفوز العظيم هنا بفوز الآخرة الأبدي الذي لا يُضَاهَى، والذي أعدَّه اللهُ للمتقين من عباده، وإن جانبوا في حياتهم فوز الدنيا المادي، المرتبط بالنَّجاة منَ التهلكة، والتباعد عن المكروه، والظفر بالمحبوب من متاع الدنيا وزينتها. وتوالت الآيات تترى تذكر مرة أوصاف الفائزين[٢٦] وما تحَلَّوا به من إيمان ورجاء وصبر ودعاء، وتبيّن في أُخرى حقيقة الفوز المبين[٢٧] المُصَرَّف برحمة الله من العذاب العظيم، وهكذا حتى اكتمل عقد مصطلح الفوز الفريد في نصوصه، واستوى على سوقه.

جاءت آيات سورة التوبة وهي من أول ما نزل من مادة الفوز في القرآن الكريم، تأسيسًا لمنطلق مهم من منطلقات الدعوة، وتثبيتًا لأصل من أصولها، والمتمثل في الدعوة إلى الفوز العظيم وبيان سبله، والكينونة مع الفائزين، اتصافًا بأوصافهم، وسيرًا على نهجهم.

لقد كان أول ما نزل من الآيات المتضمنة لمادة (فوز)؛ هادفًا إلى إرساء مفهوم جديد لمصطلح الفوز، يتجاوز المعاني الحسيَّة التي ارتبط بها عند العرب، وجاءت آيات أُخرى بعدها بيَّنت قوامَ المنهج الرَّباني للفوز، الحريص على الجمع بين تحصيل خير الدارين والنجاة من العذاب، مع إيثار فوز الآخرة العظيم الكبير المبين، يمكن القول: إن ولادة هذا المصطلح كانت في سورة يونس، التي احتضنت ميلاد هذا المصطلح بصيغته الاسمية (الفوز)، الدالة على ثبات مفهوم الفوز وارتباطه بالظفر بخير الدنيا والآخرة، فاقترن الفوز بالظفر بالبشرى في الدنيا والآخرة، والترقِّي بالإيمان والتقوى إلى مرتبة الولاية لله؛ حيث النجاة من كل خوف وحزن وعذاب وشقاء، والغنيمة من كل برّ ونعيم وهناء.

ثالثا: تنوع الصيغ الصرفية

أ- الأسماء والأفعال

الجدول٠٣: ورود مادة (فوز) في القرآن الكريم وفق الصيغ الصرفية

من أهم ما يُلتَفت إليه هنا:

الصيغة	الفعل	المضارع	الماضي	الأمر	الأسماء
العدد	٠٣	٠٢	٠١	_	٢٦

أهمية حجم الصيغ الاسمية (٢٦مرة) أي: أكثر من ٨٩٪ من مجموع الورود، واستعمال هذه الصيغة دالٌ على قوة المعنى، فللأسماء دلالة قوية على مفاهيمها؛ حيث تعبِّر وفرة الصيغ الاسمية التي ورد بها المصطلح على سُموّ دلالته ورفعتها[٢٨]. كما أنّ قوّة معنى الفوز يدل عليه تناوب المشتقات بين الاسم واسم الفاعل والمصدر الميمي، وكذا التناوب بين الاسم المعرَّف والنَّكرة: (الفوز- فوزًا)، وإتباع المصطلح بالوصف الدالِّ على زيادة المعنى في قوّته ونفاذه. وقد تنوَّعت بين صيغة: (الفوز: ١٦مرة)، وصيغة المصدر: (فوزا: ثلاث مرات)، واسم الزمان والمكان والمصدر الميمي: (مفازة: مرتين، مفازًا: مرة واحدة) وصيغة اسم الفاعل: (الفائزون: أربع مرات)؛ وهي دالة على تأكيد فعل الفوز واستمراره ولزوم صفة الفائز لمن اتَّصف بها، كما أنَّ في هذا عناية أكبر بأمر الفوز، كقيمة جماعية تخصّ فئة مهمّة من الأُمّة الإسلامية، خصهم الله بهذا الفضل ويسره لهم.

أمَّا الأفعال فورودها كان ضعيفًا بـ (١١٪) من مجموع الورود، وفي ذلك إشارة إلى ضعف ارتباط مفهوم الفوز بالزمن، خاصة أن ما ورد من الفعل الماضي: (فاز)، يدل سياق الآيات أنَّ استعمال الماضي جاء لبيان تحقّق الفوز، كتحقق الفعل الماضي، ولا دلالة فيه على انحصار الفوز في الزمن الماضي، كذلك صيغة الفعل المضارع: (أفوز)، التي تدلُّ على استمرار طمع المنافقين في الظَّفر بالدنيا؛ حيث لا يحد ذلك الاستمرار إلا توبة تنجيهم ويقين، أو هلاك يفنيهم إلى حين. كما يلاحظ غياب فعل الأمر، وإن دلّ عليه أسلوب الخبر؛ حيث تضمن دلالة الأمر؛ وذلك أبلغ من صيغة الأمر الصريحة، فتحقيق الفوز يستلزم تخييرًا واختيارًا، لا منه فرض أو إجبار.

إنَّ لورود مادة الفوز في سورة التوبة وجهين من التناسب: تناسب من جهة طبيعة وخصائص السياق العام لما أنزل من القرآن في المدينة، والذي يفصّل في أمر الدعوة إلى تكريم الإنسان؛ وذلك بتحريره من كل عبودية ووصله بخالقه الذي استخلفه وحمَّله الأمانة، ودعاه للفوز الحقيقي، وتناسب من جهة السياق الذي تنتمي إليه السورة؛ حيث هي راسخة في الدعوة إلى الظفر بالمنزلة الرفيعة، التي تستوجب الإيمان والتقوى وقويم السلوك؛ ببناء عقيدة الإخلاص والتوحيد، كما أن مضامينها تكاد تتفق في ارتكازها على ترسيخ قيمة الفوز؛ نصرةً للدّين، وموالاةً للمؤمنين، ومفارقة للظالمين.

أكبر ورود لمصطلح الفوز في الضمائم الوصفية، جاء مضمومًا إلى وصف العظمة: (فوزًا عظيمًا: ١٦مرة)، وهو أعلى الفوز على غيره ورودًا ومعنًى؛ حيث ذكر الخالقُ تمتيعَ أهله

بالخلود والرّضوان والخيرات الحسان، الأعظم في نوعها، وقد ورد من هذه الضميمة (١١) موردًا في القرآن المدني؛ زيادة في الترغيب في هذا المقام الأسنى، وجاءت الضميمة: (الفوز المبين: مرتين)، والفوز المبين جاء متّصلاً بصرف العذاب والدخول في رحمة الله، أمَّا الضميمة: (الفوز الكبير: مرة واحدة)، وقد ارتبط بدخول الجنَّة، وكلتا الضَّميمتين: (الفوز المبين، الفوز الكبير) في القرآن المكي؛ وهذا منسجم مع طبيعة المرحلة المكيّة؛ حيث كان الحرص أكثرَ على دعوة الناس إلى دين الله، دخولاً في رحمته ونجاةً من عذابه، أمَّا المرحلة المدنية فناسبها أكثر دعوة المسلمين إلى الفوز العظيم، بعدما استقرَّ الإسلام في قلوبهم، وانتهجوا سبيل النجاة من عذاب ربهم.

ب ـ بين الإفراد والجمع

الجدول ٠٤: مادة (فوز) بحسب الإفراد والجمع

بالنسبة لصيغ ورود مادة (فوز) في القرآن

	الإفراد	الجمع
القرآن المكي	١١	٠١
القرآن المدني	١٤	٠٣
المجموع	٢٥	٠٤

الكريم، جاءت أغلبها مفردًا (٢٥ مرة): أي أكثر من (٨٦٪) من مجموع الورود، جُلُّها فيما نزل من القرآن في المدينة (١٧مرة)، أمَّا صيغة الجمع فكانت أربع مرات: مرة واحدة فيما نزل من القرآن بمكة، وثلاث مرات فيما نزل منه في المدينة.

كانت المرحلة المكية مرحلةَ بناء الإنسان، وإبعادِه عن كل رجز؛ فكانت الصيغة الفردية هي الغالبة. أمَّا المرحلة المدنية فقد كانت العناية فيها بالفوز أكبر؛ لارتباط ذلك بمصير الإنسان وما تعلَّق به من أحكام تروم عِزَّتَه في الدنيا وكرامته في الآخرة، ولمَّا كان الفوز في شموليته القرآنية أمرًا واحدًا، وارتبط بالإنسان في جماعته؛ توجّه الخطاب في آيات الفوز إلى الفرد أكثر، وزاد حجم الورود في مخاطبة الفائزين من المرحلة المكية إلى المرحلة المدنية؛ إشارة إلى ما يخصُّ المسلمين في جماعاتهم، تربيةً ودعوةً ومدافعةً وسعيًا إلى الظفر بالخير دنيا وآخِرة.

إنَّ مصطلح الفوز في القرآن الكريم قد غلبت في وروده الصيغة الفردية؛ لأنَّ القصد كان هو الفرد، محور الجماعة، لقد خص خطاب الهجرة القرآني الفرد في جماعته.

ج- خلاصة

بالنّظر إلى الصيغ الصرفية التي وردت بها مادة: (فوز) في القرآن الكريم يمكن تقرير الآتي:

إنَّ تنوّع صيغ مادة (فوز) يدلُّ أيضًا على أهميّة مفهوم الفوز، وكذا على أهميّة دعوة النّاس إليه، فقيمةُ الفوزِ ظاهرة من خلال غلبة الصيغ الاسمية وتناوبها في توسيع المعنى وتقويته، ودلت الصيغ الاسمية على قيمة الفائزين وفضلهم ودلت على نهجهم.

جاءت مادة الهجرةِ (فوز) أغلبها في المرحلة المدنية، وهذا دالٌّ على أنَّ الله تعالى قد ربط أكثر أمر الفوز بهذه المرحلة؛ باعتباره أمرًا مستمرًا، رغّب الشرعُ في تحصيله، نجاةً من كل تهلكة حالا ومآلا، ونصرةً لله، وبلاغًا

لرسالته، وكينونة مع الفائزين من عباده المؤمنين.

قد أظهرت هذه الدراسة المتواضعة في مراحلها السابقة أهمية مصطلح الفوز، وذلك من حيث حجم وروده في القرآن الكريم، وتنوع صيغه الاشتقاقية، وكذا من حيث سعة مفهومه، وما وصف به هذا المصطلح، وما تعلَّق به من مصطلحات جاءت معه في نصوصه.

المبحث الثالث: تحديد التعريف

المطلب الأول: تعريف المصطلح

من خلال ما سبق، وانطلاقًا من المعاني الجزئية التي دلَّ عليها مصطلح الفوز، وبعد تتبّع وجوه ورود مادة (فوز) في القرآن الكريم، يمكن استخلاص المعنى الكلي الذي لزم مصطلح (الفوز) في كل موارده، ومنه الخلوص إلى تعريف مصطلح الفوز كما يلي:

"الفوز: عبور وانتقال، مآله النجاة والسلامة من عذاب النار، والظفر بالخير والبشرى، والتكريم والتنعم بالسعادة الأبدية، والنعيم المقيم في الجنة، فضلاً من الله وجزاءً، رضوانًا منه وعطاء".

المطلب الثاني: عناصر التعريف

انطلاقًا من التعريف أعلاه يمكن القول: إن الفوز في القرآن الكريم يرتكز على العناصر التالية:

أولًا: الفوز هو عبور وانتقال، مآله النجاة بحصول السلامة من عذاب النار.

من مأخذ مادة الفوز (فوز) يتبين أنَّ الفوز متعلق بالانتقال والعبور، سواء تعلق الأمر بالانتقال في الأرض وعبور الفلاة أو نظيرها؛ حيث مظنة الهلاك أو النجاة، أو الموت والهلاك حيث الانتقال والعبور بين الدُّنيا والآخرة، يرجى مآله النجاة؛ لذلك جعل حسن جبل:" المعنى المحوري عبور مسافة قفر جَافّة بالغة الامتداد: فكذلك الفَلَاة...وعبور الصحراء (وما هو نظيرها من مظان الهلاك) نجاة وخلوص منها، ومنه قالوا: "الفوز: النجاة"[٢٩].

وحقيقة النجاة: السلامة من كل شر وهلاك، والفوز من العقاب كما هو في مدار المادة اللغوي، ويؤكده تعريف الراغب الأصفهاني؛ حيث ورد عنده: "الْفَوْزُ: الظّفر بالخير مع حصول السّلامة"[٣٠].

إن أعظم سلامة هي النجاة من النار وعذاب الآخرة، قال عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران:١٨٥]، قال الطبري: "الفوز: الظفر بالحاجة والطُّلبة، والنجاة من النار". ففوز الدنيا لا قيمة له إن أعقبه عذاب الآخرة، كما أن السلامة من النار ودخول الجنة في الآخرة هو الفوز الحقيقي الذي لا اعتبار لخسر قبله؛ لذلك هوَّنت الآيةُ أمر متاع الحياة الدنيا الزائل، وثمنت فوز الآخرة، تصحيحًا لمعنى الفوز، ودعوةً للعمل من أجل تحصيله.

إن بداية الفوز وظهور علاماته تتحقق بالسلامة من النار ومن عذاب الله يوم القيامة، فالفوز المبين ظفر برحمة الله تعالى؛ حيث

يصرف عذابه عن من اتقى معصيته وخاف عذابه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ١٦ ۞﴾ [الأنعام:١٦]، والفوز أيضًا: نجاة المتقين يوم القيامة، من كل سوء يمس المكذبين المتكبرين، وأعظمه عذاب جهنم،" ذلك النجاء العظيم من نكال الآخرة وأهوالها" قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ٦٠ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦١ ۞﴾ [الزمر:٦٠-٦١].

ثانيا: الفوز الظفر بالخير وتحصيل المراد، والبُشْرى، وتكريم بالنعيم المقيم في الجنة

المتتبع لمعاني الفوز في المعاجم اللغوية والاصطلاحية مما أوردناه سلفا، يجدها متعلقة بالظفر بالخير وتحصيل المراد[٣٣]، وأعظم مراد: الظفر بالفوز العظيم، وهو أعلى مراتب الفوز، تتحقق به البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وينتفي معه كل خوف أو حزن، جعله الله تعالى لأوليائه، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٦٤ ۞﴾[الزمر:٦٢-٦٤]، فالفوز العظيم تحصيل البشرى التي تشمل كل خير وثواب في الدنيا، ويمتد نتيجة إلى الآخرة، فكل فوز ينحصر في الرغبة في الدنيا ومتاعها، ويمنع الطامع فيه من مشاركة المؤمنين في دفع المضرة وجَلْبِ المصلحة، نصرة للدين وابتغاء الآخرة، ما هو في الحقيقة إلا فوز توهَّم صاحبه عظمه؛ لضعف مودته الإيمانية، وتعلق قلبه بالدنيا لا بثواب الله وعقابه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ٧١ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ٧٢ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧٣ ۞﴾[النساء:٧١-٧٣]،

إنَّ الفوز العظيم حقيقة تكريم في الآخرة، تبشر به الملائكةُ المؤمنين، فيزيد فرحهم بنورهم الذي يسعى بين أيديهم بتحية الملائكة وبشارتها لهم بالخلود في الجنة والتمتع بعظيم نعيمها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٢ ۞﴾[الحديد:١٢]. فلا بشرى يومئذ للمجرمين الذين خسروا النجاة والظفر بالخير والبشرى.

لقد ربط الله تعالى الفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة والتكريم بنعمها، وجعل الفوز درجات، أعلاه: الفوز العظيم الذي نبه إليه بذكره ست عشرة مرة، وجعله لأوليائه مع ما خصهم به من بشرى، كما جعله للمؤمنين الصادقين، العاملين بالطاعة، المحسنين المهاجرين المجاهدين، الذين أدركوا حقيقة الفوز، فتسابقوا ارتقاء في درجاته ومراتبه.

ثالثا: الفوز فضل من الله، وجزاء رضوان منه وعطاء.

جعل الله تعالى الفوز جزاء منه للمتقين عطاء

كثيرا منه مما ذكر من تنعيم في آياته، تفضلا منه وحسابا لهم بما قدموا من تقوى في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ٣٤ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ٣٥ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ٣٦ ۞﴾[النبأ:٣١-٣٦]

جاء الفوز في القرآن الكريم درجات؛ أعلاها: الفوز العظيم؛ حيث ذكر الله تعالى فضله، وبين قيمته وعدد أوصاف الفائزين به، وما بذلوا لنيل هذه المرتبة العظيمة التي بها يتحقق الرضا والرضوان، فيرضى الله عنهم، ليفوزوا برضوانهم، فيرضون عنه جل وعلا، قال سبحانه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١١٩ ۞﴾[المائدة:١١٩]، ولعل ذكر رضى الله بعد تعداد النعيم المادي الجسماني في الجنة، إشارة إلى ذروة الفوز، ذلك الفوز العظيم الذي يتمتع فيه المؤمنون والمؤمنات برضوان الله الأكبر من كل اللذات؛ حيث لا سعادة تفوق سعادتهم، ولا فرح ولا رضا أكمل وأشرف من فرحهم ورضاهم، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٧٢ ۞﴾[التوبة:٧٢].

خاتمة:

تأخذ المصطلحات أمكنتها في النسق القرآني الفريد، وتتوزع بشكل دقيق ودالٍّ في السور والآيات؛ توزيعًا يبهر كل ناظر بإعجاز هذا الكلام الناضر، فكل مصطلح له ميزات وخصائص داخلَ هذا النسق العجيب، وقد انشغلت هذه الدراسة بمحاولة الكشف عن بعض هذه السمات والخصائص المتعلقة بمصطلح الفوز في القرآن الكريم، فخلصت إلى بعض النتائج والتوصيات.

١- نتائج البحث:

أولا: تنبني دلالة الفوز في القرآن الكريم على أصله اللغوي، الذي يدور على معاني النجاة والهلاك، وتدور حول هذا الأصل معاني كثيرة: كالظَّفَرِ بالخَيْر والثواب والأمنية، والعبور والنّجاة من الشّر والهلاك والعقاب، ومعاني الموت والهلاك، وتتفرع مادة (فوز) داخل سياقات النصوص القرآنية، لتشمل تلك المعاني التي تتعلق بالظّفر بالخير مع حصول السّلامة، وما يتصل بذلك من ظفر وخير في الدنيا ويمتد في الآخرة إلى أعظم الفوز وأكبره، وهو ما يناله المتقون عند ربهم في الآخرة زمانا ومكانا، مادة ومعنى، عددا ومنزلة.

ثانيا: يتميز مصطلح الفوز في القرآن الكريم، بكونه مصطلحًا متوسط الورود، متعدد الصيغ؛ ممتد الانتشار بين السور، وهذا يدل على أهمية مفهومه بين المفاهيم القرآنية، خاصة مع تكراره في السور وبأكثر من أسلوب، بحسب السياقات المختلفة، ومع تنوع صيغه الاشتقاقية، وكذا مع سعة مفهومه وما وصف به هذا المصطلح، وما تعلق به من مصطلحات جاءت معه في نصوصه؛ مما يؤكد محوريته في نسق المصطلحات القرآنية.

ثالثا: يدل اختلاف الصيغ الصرفية التي ورد بها المصطلح على ارتباط الفوز بمصير الإنسان

المؤمن، وبعزته بدينه، ورجوعه إليه فردا في جماعته، وإكرامه في دنياه وفي آخرته.

رابعا: تؤكد أهمية حجم ورود مصطلح الفوز فيما نزل من القرآن في المدينة على أهمية مفهوم الفوز كأساس من أسس الدعوة، وأصل يتعلق به الإيمان والنصرة والجهاد، والإكرام وحسن الثواب، كما يبين انتشار مادة (فوز) في سور القرآن المكي بمرة واحدة في كل سورة، ذلك التوازن بين المرحلتين المكية والمدنية، وما ارتبط بذلك في سياقات مختلفة، وبصيغ متنوعة تناسب تلك السياقات، مع اختلاف يتلاءم مع طبيعة الخطاب القرآني العقدي بمكة، وطبيعة الخطاب التشريعي بالمدينة.

خامسا: تتجلى أهمية سورة التوبة في تميّزهما باحتواء أكبر حجم ورود لمادة (فوز)؛ حيث جاء بها أكثر من ١٧٪ من مجموع الورود، أي: أعلى عدد مرات ورود المادة في كل السور: وهو خمس مرات، وحوت هذه السورة مصطلح الفوز أربع مرات، وذلك بضميمة: (الفوز العظيم)؛ مما يدل على أهمية هذه السورة في الدلالة على مفهوم الفوز عامة، وضميمة الفوز العظيم خاصة، وارتباط ذلك بمضامين هذه السورة ومقاصدها.

سادسا: أظهرت هذه الدراسة أهمية الصيغ الاسمية وقوتها في الدلالة على معاني الفوز في القرآن الكريم؛ حيث حاز مصطلح (الفوز) بهذه الصيغة الاسمية أعلى ورود: (ثلاث عشرة مرة) بزهاء ٤٥ ٪ من مجموع المشتقات؛ بيانا لحقيقة الفوز، وذكرا لما اتصف به من عظمة وكبر وإبانة، تليه صيغة المصدر: (فوزا)، وبعدها صيغة اسم الفاعل: (الفائزون)؛ وكل ذلك مؤكد أهمية الصيغ الاسمية وقوتها في الدلالة على معاني الفوز في القرآن الكريم. كما أكدت الامتداد العريض لمصطلح الفوز عبر مشتقاته في سور القرآن الكريم؛ حيث امتدت أزيد من ٥٨٪ من مادة: (فوز) في أكثر من ٨٠٪ من سور الورود.

سابعا: تعريف مصطلح الفوز: "الفوز عبور وانتقال، مآله النجاة والسلامة من عذاب النار، والظفر بالخير والبشرى، والتكريم والتنعم بالسعادة الأبدية والنعيم المقيم في الجنة. فضلاً من الله وجزاء، رضوانًا منه وعطاء".

٢- توصيات البحث:

من أهم توصيات هذه الدراسة نذكر:

أولا: إن ما تم اعتماده من أركان الدراسة المصطلحية في دراسة مصطلح الفوز، من دراسة معجمية وإحصاء ودراسة نصية ومفهومية، وإن كان عمدة الدراسة ولبها، إلا أنه لا يكمل إلا بالدراسة الوافية لهذا المصطلح في امتداداته الداخلية والخارجية، وعلاقاته بالمصطلحات الواردة معه في نصوصه، وضمائمه ومشتقاته وقضاياه، إذ لا شك أن ذلك من شأنه إثراء نتائج البحث، بزيادة فهم مصطلح الفوز في نصوصه داخل النسق القرآني الفريد.

ثانيا: لا شك أنَّ دراسة المصطلحات الأخرى القريبة في معناها من مصطلح الفوز، والتي تنتمي إلى أسرته المفهومية، كمصطلحات: النصر، والربح، والفلاح، والغلبة، والفتح، وغيرها، من شأنه أن يضبط مفاهيم هذه المصطلحات، ويُمكِّن من فهمها، وكذا فهم نصوصها دون خلط بين تلك

المصطلحات المتجاورة مفهوميا، مع مراعاة لما بينها من فروق دقيقة.

الهوامش

التربية الإسلامية ومراعاتها للقضايا المعاصرة: نظرة في المناهج المدرسية، حسن سيد شحاتة، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، جامعة الملك فيصل، المجلد (٢٣) العدد٢، ٢٠٢٢م، ص٦٥.

مقاصد الخلق الخمسة وجوهر التربية الأصيل: دراسة في ضوء القرآن الكريم، محمد أبو بكر المصلح مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، المجلد (٣٨)، العدد٢، ٢٠٠١م، ص١٧٩.

أشار الشاهد البوشيخي شيخ الدراسة المصطلحية إلى أن مصطلحات الذات، بدورها تنقسم إلى أصلية: (مصطلحات نصوص الوحي)، وأخرى فرعية: (مصطلحات العلوم الإسلامية)، وميزها عن المصطلحات الوافدة التي استوردتها الأمة الإسلامية من حضارات أخرى. "دراسات مصطلحية، الشاهد البوشيخي، فاس، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة ٢٠١٢ (ط١)، ص٦٤.

إشباع المعنى في النص القرآني دراسة في البنية اللغوية لسورة الحاقة، محمد إبراهيم أحمد إبراهيم الشافعي، مجلة الدراسات القرآنية أدنبرة، المجلد (٠٢)، العدد٢٤، ٢٠٢٢م، ص١٣٩.

الفوز في القرآن الكريم، مفاز محمد أحمد عبد الرحمن داود، بحث ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين٢٠٠٩.

الفائزون في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية لقيمة الفوز وصفات الفائزين، سلطان بن علي محمد شاهين، مجلة جامعة طيبة: للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، السعودية، المجلد ٤، العدد ٥ (٣١ مارس/آذار ٢٠١٥)، ١٧٣-٢٣٧، ص٦٥.

معنى الفوز الكبير يوم القيامة، ضياء عليوي فياض الجميلي، مجلة الباحث للعلوم الإسلامية، جامعة الفلوجة، العراق، Vol;١- Issue;٢/ (٢٠٢١-٢٠٢٢). Doi:١٠,٣٧٩٤٠/ ٢٠٢٢,١,٢,٥.RJIS

وقفات مع مصطلح الفوز في القرآن الكريم: كتابات فكرية، الشامي أبو عبد الله، مجلة بلاغ، العدد ٣١، ١٤٤٣ه/٢٠٢٢م.

معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية ٢٠٠٣ (ط١)، ج٧، ص٣٨٩.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل أبو النصر بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٧ (ط٤) ج٣، ص٨٩٠.

المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية ٢٠٠٠ (ط١) ج٩، ص١١١-١١٢.

المعجم الاشتقاقي المؤصَّل، محمد حسن جبل، القاهرة، مكتبة الآداب ٢٠١٠ (ط١) ج٣، ص١٦٦٨.

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق، دار الفكر ١٩٧٩ (ط١) ج٤، ص٤٥٩.

معجم العين، ج٧، ص٣٨٩

جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٧ (ط١) ج٢، ص٨٢٢.

الصحاح تاج اللغة، الجوهري، ج٣، ص٨٩٠.

المحكم المحيط، ابن سيده، ج ٩، ص١١١-١١٢.

أساس البلاغة، محمود بن عمرو جار الله الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٨، (ط١) ج٢، ص٣٩.

القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب

الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٥، ص٥٢٠.

المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت: دار القلم الشامية ١٤١٢ه، (ط١)، ص٦٤٧-٦٤٨.

النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية ١٩٧٩، ج٣، ص٤٧٨.

التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، القاهرة، عالم الكتب ١٩٩٠، ص٢٦٥.

الكليات، أبو البقاء أيوب، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٩٨، (ط٢)، ص٦٧٥.

المعجم الاشتقاقي المؤصل، محمد حسن جبل، ج٣، ص١٦٦٨.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥، ص٥٢٧.

كما جاء ذلك في سورة المؤمنون الآيات: ١٠٩-١١١.

جاء ذلك في سورة الأنعام الآيات:١٤-١٦.

أصل الاسم من السمو والعلو، ينظر: مادة سما في معاجم: العين، مقاييس اللغة ومختار الصحاح وغيرها.

المعجم الاشتقاقي جبل ج٣، ص١٦٦٨

المفردات، الراغب الأصفهاني، ص٦٤٧-٦٤٨.

جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار الفكر١٩٨٦، (ط١)، ج٢٢، ص٢٢٦.

جامع البيان، الطبري، ج ٢٢، ص٦١٨.

ينظر المبحث الأول: مفهوم الفوز في المعاجم، خاصة في المعاجم اللغوية: معجم العين والمحكم المحيط وأساس البلاغة والقاموس المحيط، وفي المعاجم الاصطلاحية: مفردات الراغب الأصفهاني، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي والكليات للكفوي والمعجم الاشتقاقي المؤصل لحسن جبل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أساس البلاغة، محمود بن عمرو جار الله الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٨، (ط١).

إشباع المعنى في النص القرآني دراسة في البنية اللغوية لسورة الحاقة، الشافعي محمد إبراهيم، مجلة الدراسات القرآنية أدنبرة، المجلد (٠٢)، العدد٢٤، ٢٠٢٢م. https://doi.org/10.3366/2022.0510.jqs

الإمام مالك وتأسيس المصطلح الفقهي، عز الدين بن زغيبة، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد ١٠٢، يونيو ٢٠١٨م.

التربية الإسلامية ومراعاتها للقضايا المعاصرة: نظرة في المناهج المدرسية، شحاتة حسن سيد، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، جامعة الملك فيصل، المجلد (٢٣) العدد٢، ٢٠٢٢م.

التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي زين الدين محمد، القاهرة: عالم الكتب ١٩٩٠.

جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار الفكر١٩٨٦، (ط١)، ج٢٢.

جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٧ (ط١).

دراسات مصطلحية، البوشيخي الشاهد، فاس، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة ٢٠١٢ (ط١).

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري إسماعيل أبو النصر بن حماد، تحقيق: أحمد عبد

الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٧ (ط٤).

الفائزون في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية لقيمة الفوز وصفات الفائزين، سلطان بن علي محمد شاهين، مجلة جامعة طيبة: للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، السعودية، المجلد ٤، العدد ٥ (٣١ مارس/آذار ٢٠١٥)

الفوز في القرآن الكريم، مفاز محمد أحمد عبد الرحمن داود، بحث ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين٢٠٠٩.

القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٥.

الكليات، أبو البقاء أيوب الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٩٨، (ط٢).

المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده علي بن إسماعيل، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية ٢٠٠٠ (ط١).

المعجم الاشتقاقي المؤصل، جبل محمد حسن، القاهرة، مكتبة الآداب ٢٠١٠ (ط١).

معجم العين، الفراهيدي الخليل بن أحمد، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية ٢٠٠٣ (ط١).

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبد الباقي، محمد فؤاد، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥.

معجم مقاييس اللغة، ابن فارس أبو الحسين أحمد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق، دار الفكر ١٩٧٩ (ط١).

معنى الفوز الكبير يوم القيامة، ضياء عليوي فياض الجميلي، مجلة الباحث للعلوم الإسلامية، جامعة الفلوجة، العراق، Vol;١- Issue ;٢/ (٢٠٢١-٢٠٢٢). Doi:١٠,٣٧٩٤٠/RJIS.٢٠٢٢,١,٢,٥

المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني الراغب الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت: دار القلم الشامية ١٤١٢هـ، (ط١).

مقاصد الخلق الخمسة وجوهر التربية الأصيل: دراسة في ضوء القرآن الكريم، المصلح محمد أبو بكر، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، المجلد (٣٨)، العدد٢، ٢٠٠١م.

النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير مجد الدين المبارك، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية ١٩٧٩.

وقفات مع مصطلح الفوز في القرآن الكريم: كتابات فكرية، الشامي أبو عبد الله، مجلة بلاغ، العدد ٣١، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م.

المُتَبَقِّي مِنْ شِعْرِ أبي الوَلِيد الشَّوَّاش الشِّلْبِي "جمع وتوثيق ودراسة"

د. محمد محجوب محمد عبد المجيد
أستاذ مشارك- بقسم اللغة العربية وآدابها
جامعة أم درمان الإسلامية
السودان

يُعدُّ أبو الوليد إسماعيل بن عمر الشَّوَّاش ثالث ثلاثةٍ يمثلون مثلث الشعر بمدينة شِلْب، إذ يقف إلى جوار بلديَّيه الشِّلْبِيّين الآخَرَيْنِ ابن حَرْبُون وابن المُنَخَّل في مقدمة شعراء المديح على عهد الموحدين لاسيما في دولتي عبد المؤمن بن على وابنه يوسف، لكنه ومع ذلك لم ينل حظه-بحسب علمنا- من الدرس والنقد، ولعل هذا ما دفعني إلى جمع المتبقي من شعره وتوثيقه، ثم دراسته دراسة فنية نستجلي فيها مخايل نبوغه وعناصر إبداعه. ولتحقيق هذه الغاية قسمت الدراسة إلى قسمين، في القسم الأول: درست حياته وخصائص شعره الفنية، وفي القسم الثاني: جمعت المتبقي من شعره ووثقته وشرحت غامض معانيه.

حياة الشواش[1]:

هو أبو الوليد إسماعيل بن عمر[2]، الأستاذ المعروف بالشَّوَّاش[3] -بشينين معجمتين والواو مشددة بعدها ألف[4]- من مدينة شِلْب[5]، ولد فيها وترعرع بها، لكن- وللأسف الشديد- ضنَّت علينا مصادر ترجمته-وما أقلها- بالحديث عن نشأته، أو مراحل حياته، أو مكانته الاجتماعية، أو الأشياخ الذين جلس إليهم، وتلَّقف عنهم المعارف، لكن هذا لا يمنعنا من القول إنه- كأهل الأندلس- اختلف إلى حلقات العلم في بلدته شلب، فحفظ القرآن الكريم ودرس علوم اللغة العربية والمعارف الأخرى. وأكبر الظن أنه بلغ في دراسته شأوا عظيما لدرجة أن نعته معاصروه بالأستاذ المجيد[6]. وبعد استكمال حلقة المعارف جلس للإقراء والتعليم كما يفهم من وصف ابن الزبير له[7].

والواضح أنه إلى جوار ما كان ينهض به من عبء التعليم والتفهيم كان مشاركا في الحياة الثقافية في شلب شعرا وكتابة، فقد ذكر أن له كتابا أسماه ثروة المريدين[8]، مما يشي بأنه كان ذا علاقة وطيدة بالتصوف.

يبدو أن الشواش كان كالأندلسيين يكره

المرابطين، إذ نـراه يلتحق بركب الموحدين منذ وقت مبكر، وقبل أن يتجاوز عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين العدوة تجاه الأندلس سنة ٥٥٥هـ[٩] ، فقد ذكر ابن الأبار أبياتا له قالها في بيعة الأمير محمد بن عبد المؤمن سنة ٥٤٧هـ [١٠]، أو ٥٤٨هـ[١١]، ويبدو أنه عاد كما عاد غيره من الشعراء الأندلسيين إلى بلادهم. وعلى الرغم من التحاقه بركب الموحدين نجده غائبا، بل متخلفا عن ركب الشعراء الأندلسيين الذين توافدوا زرافات ووحدانا إلى جبل الفتح عندما نزل به عبد المؤمن بن علي. أكبر الظن أن ثمة مانعا قد منعه حضور هذا الحفل الكبير الذي حضره معظم شعراء الأندلس حتى بَلَدِيّيه الشِّلْبِيينِ-ابن المنخل وابن حربون- ونستخلص من قصيدة بائية له هنأ بها عبد المؤمن بن علي سنة ٥٥٧هـ أي بعد عامين من غيابه عن جبل الفتح-اعتذارا واضحا عن غيابه، والتماسا للصفح والمغفرة [١٢] .

كان الشواش حاضرا لكل الأحداث السياسية الكبرى على عهد عبد المؤمن، ومشاركا فيها بشعره، يقول ابن الأبار" وكان من القادمين من أهل بلده على سلا مهنئا بالبيعة المنعقدة سنة ٥٥٨هـ"[١٣]، ومقولة ابن الأبار تفيد بأنه لم يكن من الشعراء المقيمين في رحاب قصر الخليفة الموحدي، بل كان من المترددين على الموحدين بين الحين والآخر.

ويأتي عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فنراه حاضرا أيضا بيعته سنة ٥٥٨هـ، كما وصل أيضا إلى مراكش فمدحه سنة ٥٦٠هـ[١٤]. والواضح من جملة الأشعار التي بين أيدينا والتي اتخذت سبيلا واحدا هو المديح، وهي وإن تعددت أشكالها بين تهنئة أو مبايعة أو مباركة بالنصر أو ثناء للخليفة تدل بجلاء على أن الشواش كان من شعراء الموحدين، أو في مقدمتهم، ولا نستطيع الجزم لقلة الأخبار أنه كان مقيما بصورة دائمة بالمغرب، لكن تواريخ القصائد التي مدح بها الموحدين المتقاربة تدل بجلاء على أنه كان كثير التردد عليهم، وأكبر الظن أنه أثناء إقامته المتعددة سافر إلى مكة وحجَّ البيت العتيق[١٥]. وأنه ظلَّ زمنا بمكة ما لبث أن عاد إلى مراكش، وتوفي بها سنة ٥٦٩هـ كما يقول السيوطي[١٦].

شعره ومصادره:

لم يذكر أحد ممن ترجم له أن لصاحبنا ديوان شعر أو أنه اتخذ راوية له، ونستطيع أن نستنتج من وصف ابن الأبـار[١٧] له بأنه من طبقة- شاعري شلب الكبيرين في عصر الموحدين- أبي بكر بن المنخل[١٨]وأبي عمر ابن حربون[١٩] بأنه كان شاعرا كبيرا، وأن له شعرا كثيرا. لكن وللأسف الشديد لولا ارتباط شعره بالأحداث التاريخية في عهد الموحدين، واستشهاد المؤرخين به لسقط معظم شعره من يد الزمان كما سقط شعر غيره من شعراء هذا العصر. فالشعر الذي بين أيدينا يزيد عن مئة وثمانين بيتا كلها تدور في فلك المديح، وهي- على قلتها- تشي بشاعرية فذة، وطول نفس، وقدرة على التدفق والانثيال، وأكبر الظن أن له أشعارا طوَّف بها في آفاق شعرية متعددة. ومع أن من العسير الحكم على شعر شاعر بناءً على أفق شعري واحد إلا أن مخايل النبوغ وعلامات الشاعرية الفذة لا تخفى على ذي عين بصيرة.

مصادر شعره:

كان ابن صاحب الصلاة(ت: ٥٩٥هـ) هو أول من ذكر شعره وأكثر من استشهد به، إذ وجد فيه مادة غنية لتوثيق الأحداث السياسية المرتبطة بدولة الموحدين، فكان مجموع ما ذكره له ١٦١ بيتا في أربع قصائد تتراوح بين الأربعين بيتا والخمسة وأربعين بيتا، ويأتي بعده ابن الأبار (ت: ٦٥٨هـ) فيذكر له في تحفة القادم قصيدة واحدة بائية عدد أبياتها أحد عشر بيتا، أما ابن عذاري صاحب البيان المغرب(ت:٧١٢هـ) فذكر له أحد عشر بيتا، كان البيت الأول من نفسه مطلع البائية التي ذكرها ابن الأبار كما مرَّ سابقا لكنه انفرد بعشرة أبيات أخلَّ بها ابن الأبار، كما ذكر له عشرين بيتا من التائية التي أوردها له ابن صاحب الصلاة كاملة، وجاء صاحب المقتضب فذكر له أربعة أبيات نقلها عن ابن الأبار، أما الصفدي(ت:٧٤٦هـ) فنقل الأبيات التي ذكرها ابن الأبار بحذافيرها، وبالتالي يكون مجموع شعره الذي بين أيدينا مئة واثنين وثمانين بيتا.

موضوعات شعره:

للأسف الشديد- وما أكثر ما تأسفنا في هذا البحث- أن كل ما وصل إلينا من شعر الشواش الشلبي يدور حول محور واحد، هو المديح وتحديدا في مدح عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين وابنه الخليفة- فيما بعد- يوسف، ونحن نقدر تقدير الظن أن الشواش مثله مثل شعراء عصره وجد في دولة الموحدين أنموذجا فذا يحقق من خلاله أربه ويبلغ غاياته، فالشواش من مدينة شلب، وهي بعيدة جدا عن مراكز الأندلس الكبرى، كإشبيلية أو قرطبة أو بلنسية، ولا شك أن البقاء بها، والركون إلى مهنة التدريس قد يقيه بعض عنت الحياة، لكنه قطعا لن يحقق طموحاته، ولعل هذا ما دفعه- إلى جوار أنداده الشلبيين، كابن حربون وابن المنخل وغيرهم- إلى الالتحاق بركب الموحدين منذ عهدهم الأول هذا من جهة، ومن جهة ثانية ربما كان معجبا أو مؤمنا بدعوة الموحدين التي قامت على أساس ديني، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلا عن حرص خلفائها من لدن مؤسس الدعوة محمد بن تُومرت مرورا بأمير المؤمنين والمؤسس الفعلي للدولة عبد المؤمن بن علي وابنه الخليفة يوسف على تطبيق هذا المبدأ على نحو عملي فذ، فضلا عن اهتمامهم بالعلم، وحبهم له وحرصهم عليه، واستدعائهم للشعراء من المغرب والأندلس، وإجراء الأرزاق عليهم- كما يقول المراكشي[٢٠]- فتحَتَّم عليه مدحهم، ولعل السبب الأخير أكثر وجاهة إذ منحه المبرر الأخلاقي والسبب المنطقي لمدحهم والغلو فيه.

لعل من الأفضل بعد أن حاولنا تفسير دوافع المديح عند الشواش أن نبحث في تشكيله للقصيدة المادحة وتنضيده لها، والوقوف عند المعاني التي تدور حولها.

درج النقاد القدامى على تحديد الأطر، أو المعاني التي يدور حولها المديح، يقول قدامة ابن جعفر" إنها لا تخرج عن صفات العقل والشجاعة والعدل والعفة"[٢١]، فالمديح بها يعد إصابة والعدول عنها خطأ، ولم يكتفوا بذلك فحسب، بل جعلوا لكل مقام من مقامات المديح ما يناسبه أو يلائمه وينسجم معه-ويهمنا هنا مدح الخلفاء فحسب- يقول حازم القرطاجني" وأما مدح الخلفاء فيكون بأفضل ما يتفرع من

تلك الصفات وأجلها، وأكملها كنصر الدين، وإفاضة العدل وحسن السيرة والسياسة والعلم والحلم والتقى والورع والرأفة والرحمة والكرم والهيبة وما أشبه ذلك، وينبغي أن يتخطى في أوصافهم من جميع ذلك حدود الاقتصاد إلى حدود الإفراط"[٢٢]، وأكبر الظن أن شاعرنا كان واعيا جدا لهذه الأطر من المعاني عاملا بها.

لم يكن الشواش بدعا عن غيره من شعراء الموحدين فقد حذا حذوهم في ترديد الأفكار المتصلة بدعوة الموحدين، وترسيخ هذه الأفكار في روع المتلقي، ومن هذه الأفكار،" عصمة الإمام وصدق دعوته"[٢٣]، يقول عن الخليفة عبد المؤمن بن علي هو خليفة مهدي الموحدين محمد بن تومرت:

إمَـامُ هُـدًى يدعو إلـى الحَقِّ مُعْلِنًا

فيا فَوْزَ من لَبَّى ويا وَيْلَ من أبَـى[٢٤]

خَلِيفَةُ مَـهْـدِيِّ الـورى وأمـِيْنُـهُ

تـَوَلَّاه في الْمَـحْـيَا ووالَّاه مَـعْقِبَا

ويقول عن ابنه الخليفة يوسف إنه نجل الإمام، وكأنَّ الإمامة تتسلسل في أصلاب آل عبد المؤمن ابن علي:

نَجْلُ الإمـامِ وَنَـشْـأةُ الخُلْقِ الرِّضَى

يبدو علـيه هَدْيُـه ويَبِـينُ[٢٥]

أن الأمر أمر الله صدع فيه الـهـدى"[٢٦]، ومضى الخليفة عبد المؤمن لإنفاذه:

يمضي لأمْـرِ اللـه غَـيْـرَ معـرِّجٍ

مُتَوجِّهًا بالنَّصرِ ضَرْبة لازِبِ[٢٧]

ويؤكده مرة ثانية في مدحه للخليفة يوسف بن عبد المؤمن:

الأمْـرُ أمْـرُ الله وهو مُـؤيَّـدٌ

والحَبْلُ حَـبْلُ اللهِ وهـو مَتِينُ[٢٨]

وللخليفة الموحدي في نظر الشواش صورتان، صورة الإمام الذي اختارته السماء، والذي لم يبلغ درجة الكمال الإنساني فحسب، بل تجاوزها بكثير، فهو إلى جوار أنه معصوم، ومهدي، هو أمين الله"[٢٩]، و"هادي الأنام"[٣٠]، و"إمام الـهـدى"[٣١]، و"علم الـهـدى"[٣٢]، و"عصمة أهل الأرض"[٣٣]، و"سبيل النجاة"[٣٤] و"أمير المؤمنين"[٣٥]. أما الصورة الثانية فصورة الخليفة الإنسان، وفيها يُنْزل الشواشُ الخليفةَ الموحدي إلى الأرض قليلا، لكن في الوقت نفسه يحافظ على كماله الإنساني في كل صفة من صفاته، ففي السياسة وشؤون الحكم هو" ملك الملوك [٣٦]، و"ملك الدنيا،"[٣٧]، و"الملك الميمون"[٣٨]، إلى جوار صفات الكمال في العدل والشجاعة، الحلم وحسن التدبير. من أكثر المعاني التي حرص الشواش في مدائحه، عدل الخليفة وحلمه ورزانته، فقد بلغ من العدل درجة تواد الذئب والرشا:

وعَـدْلُـكَ ألَّـفَ الأشْـتَـاتَ حَـتَّـى

تَـوَادَّ الـذِيبُ والـرَّشأ الرَّبِيبُ[٣٩]

وحِـلْـمُـك أرْجَـحَ الـشُّـمَّ الـرَّواسِـي

فـمِـنْـهُ فـي شَـوامِـخِـهـا رُسُـوبُ

ويجمع بين حلم الخليفة وسؤدده وحرصه على تحقيق العدالة لرعيته والحفاظ على سلامتها:

نَـدْبٌ أشَـمُّ الأنْـفِ إنْ سُئِـل الـذى
لايَرْتَضِي ثَـارَتْ لـه أنَفَاتُـه(٤٠)
سَـهْـلُ الـجَـوانِـبِ راضِـيًـا ومُـوالِـيا
وإذا تَـنَـكَّـر أحْـزَنَـتْ جَـنَـبـاتُـه
سَـاسَ الأنَـامَ فـأُمِّـلَـتْ نَـعْـمـاؤُه
ونوالُـهُ وتـخُـوِّفَتْ نَـقَـمَـاتُـه
يَرْعَى بَـجَفْـنِ كَلاءَةٍ وحِـمَايَـةٍ
مَـوْصُـولـةٌ فـي رَعْـيِـه يَـقَـظَاتُه

فالخليفة إذ يلين تواضعا لرعيته فإنه يخيف حزما أعداءها، ومثلما يؤنسك بنعمته، يرعبك بنقمته، وهو في كليهما حريص على أمن رعيته وصيانة البلاد والعباد. أما قوله "يرعى بجفن كلاءة "فتعبير جميل، فمثلما يحفظ الجفنُ العين من كل قذى يعكر صفوها يستحيل الخليفة جفنا يحمي الدين والعباد والبلاد. وليس من شك أن إلحاح الشواش في الحديث عن العدل والطمأنينة يوضح إلى أي مدى كان الأندلسيون يشعرون بالخوف والظلم في دولة المرابطين، فقد أحاط بهم العِدا من كل صوب ونحب، حتى إذا جاء الموحدون ذهب خوفهم، وقرت بلابلهم، وناموا ملء جفونهم. ويتغنى بصفة الكرم، وتتفاوت صورته عنده ما بين الصورة النمطية المكرورة، والصورة الجديدة الطريفة، فمن الأولى قوله:

تـحوي نَـدَاهُ الطَّيْرُ في وُكنَاتـها
فتَـرِنُّ تَرْجِـيعًـا بشُكْرٍ دَائِـب(٤١)

فصورة الطير" التي يصيبها الكرم لكثرته فترن شكرا صورة تقليدية عن سعة البذل"(٤٢)، ومن الجديد قوله:

وَدَلَّ الـحـائـريـن عـلـى نَـدَاهُ
فَكُـلُّ مُضِلَّةٍ لَـقَـمٌ رَكُـوبُ(٤٣)
وعَـمَّ فـذُو الـتَّـبـاعُـدِ والـتَّـدانـي
سَـوَاءٌ والـحزُونـة والـسُّهـوبُ
مُـفِيدٌ أو مُـبِـيـدٌ مُـسْتَمِـرٌّ
لـحالـيه كَسُـوبٌ أو نَـهُـوبُ
تُـنَـافِسُ جُـودَهُ الـسُّحْبُ الـغَـوَادِي
فـيـبـدو فَـوْق أوجُـهِـهـا قُـطُـوبُ

فكرم الخليفة لا يضيء للضالين سبيلهم فحسب، بل يحيل الوعر سهلا هينا، ويمنح القريب ويصل البعيد، حتى بلغ درجة توارت فيه السحب الغوادي خجلا من مزاحمته في الكرم. ومثلما هو معطاء لرعيته خيرا وفيرا، معطاء لأعدائه شرا مستطيرا، فهو في الحالين معطاء. والحق أن الخليفة الموحدي ليس كريما معطاء أو عادلا مقسطا، بل هو بطل نشأ في مهاد الحزم والبسالة، فعلى نحو ما غذته الخلافة لبانها في المهد، ارتضع الشجاعة من أخلافها فارتوى نهلا وعللا:

تَـرَكَ الـمِهَادَ لِـسَـرْجِ أجْـرَدَ سَابِحٍ
وَصَفَا عليه سَـرْدُه الـمَوضُونُ(٤٤)
شِـبْـلٌ غَـذَتْـه لـبُـحُومُ آسَـادِ الـوَغَى
فـي حـيْـثُ مُـلْـتَـفُّ الـوَشِـيـجِ عَـرِيـنُ
وكـأنَّـمـا الـهَـيْـجَـاءُ أمٌّ بَـرَّةٌ
تَـحْـنُـو عـلـيه بـرِفْـقِـه وتَـلِـيـنُ

والشواش لا يرسل صفة الشجاعة على الخليفة إرسالا، وإنما يدعمها بالدليل المادي الذي يؤكد

به صدق مقولته:

شَـهِـدَتْ بِفَضْلك صَـادِقَـاتُ وَقَـائـعٍ

لـم تَلْتَبِسْ بـشُهُودِهِنَّ ظَـنِـينُ[٤٥]

وتَحَدَّثَتْ بِيضُ الصَّوارِم في الطَّلى

بحديث مَـجْـدِك والـحَـدِيـثُ شُـجُـونُ

لله دَرُّكَ والـفَـوارِسُ تَـدَّعِـي

والحربُ خاسِرةُ المَتَـاعِ زَبُـونُ

ويصور شجاعته وقوة شكيمته وشدة بأسه، فهو يقابل أعداءه كمن يقابل سرب الغيد الرعابيب، أو على نحو ما يلقى الحبيب محبوبته، فكلاهما- الخليفة والعاشق- يلقى من يحب (المحبوبة عند العاشق والحرب عند الخليفة) مطمئن البال، سعيد الفؤاد.

تَـلْـقَـاهُ آسَـادُ الـوَغَى وكُمَاتُها

فكأنَّـما يَلْقاهُ سِرْبُ كَـوَاعِبِ[٤٦]

ومهما يكن الأمر فالمدح عند الشواش ليس مجموعة من الصفات التي يخلعها على الخليفة الموحدي، وإنما هو أطروحة سياسية ترتكز- إلى جوار منطلقات الموحدين العقدية- على المنطق والعقل لتجيب بصورة حاسمة على المتشككين، أو الحائرين، أو المؤلفة قلوبهم، كما تؤكد حق الموحدين في الخلافة بالدليل العقلي والبرهان المنطقي، وبذلك يلعب الشاعر في عصر الموحدين دورا لا يقل خطرا وأثرا عن السياسي في تعضيد الحكم وتقويته:

عَـهْدٌ أنـارَ بـه الـهُدَى والـدِّين

واسْتُظِهر التَّأييدُ والـتَّمْكِينُ[٤٧]

بُـشْـرَى الـخِلافـةِ إذْ تَـقَـلَّـدَ عَهْدَها

الـبَـرُّ الـتَّـقِـيُّ الـطَـاهِـرُ الـمَيمُونُ

نَجْلُ الإمـامِ وَنَـشْـأةُ الخُلْقِ الرِّضَى

يـبـدو عـلـيـه هَدْيُـه ويَبِـيـنُ

النَّاصِرُ الـمَنْصُورُ أوضَـحَ نَهْجَهُ

فـي الـصَّـالـحـاتِ فَنَجْحُه مَضْمونُ

فعندما يكون الخليفة نجل الإمام المعصوم، ويكون برا تقيا طاهرا ميمونا، يحفظ ذمار الإسلام ويحمي بيضته، ويحرر البلاد المغتصبة فضلا عن فتح بلاد الأعداء شرقا ومغربا ألا يستحق بعد ذلك كله أن يكون خليفة المسلمين. ويسلك في قصيدة أخرى السبيل نفسه، أعني جملة الحجاج المنطقي لتأكيد صدق الأطروحة:

وَصَـحَّ بـه الـزَّمـانُ فـكُـلُّ داءٍ

عَـيَـاءٍ عَـالَـهُ مـنـه طَـبِـيبُ[٤٨]

وَدَلَّ الـحـائـريـن عـلـى نَـدَاهُ

فَـكُـلُّ مُـضِـلَّـةٍ لَـقَـمٌ رَكُـوبُ

ونلاحظ أنه في كل بيت يقدم في شطره الأول النتيجة بينما يجعل الشطر الثاني مسوغات تؤكد صدق ما ذهب إليه في الشطر الأول، مخالفا بذلك المنطق الأرسطي القائل إن المقدمات تقود إلى النتائج، فقد صح الزمان به لأنه طبب كل من به داء، وكرمه فاض وغمر بدليل أنه نفي العثار وجعله جددا.

والشواش-كغيره من شعراء المديح- ينظر إلى الخليفة "بوصفه واحدا من النماذج العليا والقدوة الحسنة، فهو القائد الذي تتجسد فيه كل الفضائل"[٤٩]، وليس أعظم من أن يكون الخليفة حريصا على أداء الفرائض الدينية والواجبات،

فالخليفة صوَّام وقوَّام، والخليفة محب للعلم، ومعلم لرعيته:

تُقَضِّي شَهْرَ صَوْمِكَ مُسْتَدِيمًا

وصَالَك والمقامُ لـه حَبِيبُ[٥٠]

وعَلَّمْتَ الجَهُولَ فليس إلا

عَلِيمٌ رَائِدٌ فَطِنٌ لَبِيبُ

فأوْسَعْتَ الأنامَ هُدًى يُرِيهم

مَعَالمَ دِينِهم وَنَدًى يَصُوبُ

ونلاحظ أن الشواش ينحو في مدائحه منحا يوازن فيه بين الصفات التي ورثها الخليفة عن آبائه وبين الصفات التي يكتسبها الإنسان بعرق الجبين، وسعة الطموح، وشدة البذل، والهمة العالية:

ضَمِنَ السِّيادَةَ في الطُفُولةِ وازْدَهَتْ

بسُعُودِه الأيَّامُ وهو جَنِينُ[٥١]

عِزٌّ رَبِيبٌ والعُلُومُ لِدَاتُه

والمَشْرَفِيُّ أخٌ له وخَدِينُ

تَرَكَ المِهَادَ لِسَرْجِ أجْرَدَ سَابِحٍ

وَصَفَا عليه سَرْدُه المَوضُونُ

ونلاحظ خلو مدائحه- باستثناء إشارة واحدة مبتسرة- من وصف الخليفة بجمال الوجه، وبهاء الطلعة، وغيرها من الصفات التي لا يتفاضل بها الرجال؛ لأنها صفات لا يكتسبها الإنسان اكتسابا، بل هي مقدرة له تقديرا، يقول حازم:" فأما خلقة الإنسان وصورته فليس في قدرته نقل شيء منها عما وجد به، فحمد الإنسان بما يستحسن من هذا القبيل مخادعة، وذمه بما يستقبح من ذلك تحامل عليه"[٥٢]. وقبل أن نغادر قصيدة المديح نشير إلى ثلاث ملاحظات، الأولى، تكرار المعاني والصور، فكان إذا أعجبه معنى، أو خلبته صورة عمد إلى تكرارها، ونحن لا نلقي القول على عواهنه، خذ مثلا قوله في وصف الحرب بالأم البرَّة التي تحنو على الخليفة ابنها:

وكأنَّما الهَيْجَاءُ أمٌّ بَرَّةٌ

تَحْنُو عليه برِفْقِه وتَلِينُ[٥٣]

تَحْنُو عليه الحربُ إذ كان ابْنَها

رَبَّتْه من حَمْسِ الوغى رَبَّاتُه[٥٤]

وقوله في التعبير عن الكثرة الكاثرة اعتمادا على عدد الحصى:

كاثَرْنَ أعْدَادَ الحصى وتَضَاءلَتْ

منها فِساحُ أجَارعٍ وأخَاشِبِ[٥٥]

كَثُرتْ فَضائِلُه فَكَاثَرتِ الحَصَى

عَدًا وقَدْ قَلَّتْ به سَنُواتُه[٥٦]

والملاحظة الثانية: أن ثمة جانبا أشار إليه في مدائحه بصورة خجولة، ولم يتوسع فيه توسعا كبيرا "وهو تصويره لجانب مما يخوضه الخليفة من معارك وما يحققه من انتصارات"[٥٧]. أما **الملاحظة الثالثة**: وهي الصدق الفني في مدائحه، فأكبر الظن أن الصفات التي تحلى بها خلفاء الدولة الموحدية، لاسيما عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف، لم تمنح الشواش أو غيره من شعراء عصره معينا خصبا ينهلون منه، أو داعيا يستحث قرائحهم الشعرية، بل جعلتهم يحققون شرطا من أهم شروط الشعر المؤثر، وهو الصدق الفني، فصورة الخليفة في كتب التاريخ

تكاد إلى- حد كبير- تطابق الصورة التي رسمها له الشواش في شعره: فإذ يقول الشواش عن الخليفة عبد المؤمن بن علي:

وعَـلَّـمْـتَ الـجَـهُـولَ فـلـيس إلا

عـلِـيـمٌ رَائِـدٌ فَـطِـنٌ لَـبِيبُ[٥٨]

فـأوْسَـعْـتَ الأنـامَ هُـدًى يُـرِيـهـم

مَـعَـالِمَ دِيـنِـهـم وَنَـدًى يَـصُـوبُ

وعن ابنه يوسف:

عِزٌّ رَبِـيـبٌ والعُـلُـومُ لِـذَاتُـه

والـمَـشْـرَفِيُّ أخٌ له وخَـدِيـنُ[٥٩]

غِـرٌّ لَـبِـيـبٌ والـعُـلُـوم لـذَاتُـه

والـمَـعْـلُـواتُ كرَائِـمًا دايَاتُـه[٦٠]

يقول المراكشي:" كان عبد المؤمن مؤثرا للعلم محبا له"[٦١]، ويقول عن ابنه يوسف:" كان أحسن الناس ألفاظا بالقرآن، وغامض النحو، وأحفظهم للعربية"[٦٢]، ولعل في قوله "العلوم لداته" تأكيد لعلم الخليفة وسعة معارفه.

الخصائص الفنية:

اللغة والأسلوب:

تأثرت لغة الشواش بالقرآن الكريم، وتفاوت هذا التأثير ما بين اقتباس الآيات الكريمة بحذافيرها، أو الأخذ من مفرداتها، فمن الأولى قوله:

فهُـنَـاك أسَّسَ بـالتُّقى بُـنْيانَه

وهُـنَـاك شُـيِّدَ بالهُدَى حُـجُـراتُـه[٦٣]

فالشطر الأول اقتباس من قوله تعالى M أفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللهِ L[٦٤]، وقوله:

يَـرْعَـاك مَـنْ يُـرْعِـيك عَـهْـدَ عِـبَـادةٍ

ويَـقُـولُ للأشْـيَـاءِ كُـنْ فَـتَـكُـونُ[٦٥]

فالشطر الثاني اقتباس من قوله تعالى" إِنَّما أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"[٦٦]. وأحيانا يستعير التعبير القرآني الجاهز مثل:" عذاب واصب"[٦٧]و"الفتح القريب"[٦٨]و"ارتد طرفك"[٦٩]. ويلفق بيتا من القرآن الكريم والشعر القديم فقوله:

ولَّـى الأمَـانَـةَ أهْـلَـهـا وسَـمَـا لها

بِـغِنائِـه رَحْـبُ الـذِّراعِ أمِـيـنُ[٧٠]

وفي البيت اقتباس من قوله تعالى Mإنَّ اللهَ يَأمُرُكُمْ أنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا L[٧١]، فضلا عن إفادته من قول لقيط بن يعمر الإيادي:

فـقَـلِّـدُوا أمـرَكـم لـلـهِ دَرُّكُـم

رحبَ الذِّراع بأمْرِ الحربِ مضطلعا[٧٢]

ويقتبس من الحديث النبوي الشريف، فقوله:

وَصَـحَّ بـه الـزَّمـانُ فـكُـلُّ داءٍ

عَيَاءٍ عَـالَـهُ مـنـه طَـبِـيبُ [٧٣]

فيه نظر لقول النبي صلى الله عليه وسلم" إن لكل داءٍ دواءً، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل"[٧٤]. ومن أدواته اللغوية الإفادة من الأمثال العربية، فهو لا يفيد من المثل العربي" أثقل من جبل رضوى" فحسب، بل يعيد إنتاجه على نحو جديد، إذ يجعله على ثقله ورسوخه أقل وزنا وأخف رزانة إذا قِيس بسيده الخليفة:

أرى جَـبَلًا من رحْـمَـةِ الله خَاشِعًا

يَخِفُّ له رَضْـوَى إذا عَقَدَ الحُبَا[٧٥]

ومن بديع تضمينه، توظيفه للمثل العربي" الحديث ذو شجون"[٧٦] الذي ينقله من عالم السرد والحكاية إلى عالم القتال، فإذا كان الحديث- بمنطوق المثل- ذا طرائق متعددة ومتشابكة فإن حديث سيفه في أعناق العدا حديث واحد هو البطولة والشجاعة، وإذا كان الحديث- بحسب المفهوم من المثل-مرتبط بالقص والخيال فإن حديث سيفه مرتبط بالواقع الملموس، فحديث سيفه أو مجده إذا صورة تُرى وتسمع(واقع)لا قصص تسرد(خيال):

وتَحَدَّثَتْ بِيضُ الصَّوارِم في الطَّلى

بحديث مَجْدِك والحَدِيثُ شُجُونُ[٧٧]

وتتأثر أداته اللغوية بأصداء الشعر القديم الذي بقي في روعه حتى إذا جرى نبع القصيدة استدعاه، فقوله:

عَزَمَاتُ مَنْصُورِ العَزَائمِ غَالِب

ضَمِنتْ فُتُوحَ مَشَارقٍ ومَغَارِب[٧٨]

يذكرنا بقول المتنبي:

عَلَى قَدْرِ أهْلِ العَزْم تأتي العَزَائِمُ

وتَأتِي على قَدْرِ الكِرَامِ المكَارِمُ[٧٩]

ولا يقتصر تأثره بالمتنبي، بل نجده كما يقول شفيق الرقب" ينقل بعض معاني البحتري وقوافيه وطريقة نظمه"[٨٠] إذ يقول الشواش:

يمضي لأمْرِ الله غَيْرَ معرَّجٍ

مُتَوجِّهًا بالنَّصرِ ضَرْبة لازِبِ[٨١]

بسَوابِقٍ كبَوارِقٍ ومَوَاكِبٍ

كَكَوَاكِبٍ وجَنَائِبٍ كخَبَائِبِ

يَقْضِي فَيُمْضي كُلَّ حَقٍّ واجِبٍ

إلا إذا أعطى فَفَوْقَ الواجِبِ

تَلْقَاهُ آسَادُ الوَغَى وكُمَاتُها

فكأنَّما يَلْقاهُ سِرْبُ كَوَاعِبِ

فإنه يغير على البحتري في قوله[٨٢]:

وإذا رأيْتَ الهَجْرَ ضَرْبَةَ لازِبٍ

أبدا رأيْتَ الصَّبْرَ ضربةَ لازبِ

ببوارِقٍ كطرائقٍ وخلائِقٍ

كخلائِقٍ وضَرائِبٍ كضرَائِبِ

ومَوَاهِبٍ كَعْبِيةٍ وهيبةٍ

يوجِبْنَ في الإفضال فَوْقَ الوَاجِبِ

ما كان أحْسَنَ هذه من وَقْفةٍ

لو كان ذاك السِّرْبُ سِرْبَ كَوَاعِبِ

وتتعدد وسائله الأسلوبية في تبليغ خطابه الشعري ومنها، الحذف، كحذف المبتدأ(العمدة) تاركا الخبر مفصحا عنه ودالا عليه، ويكثر هذا في حديثه عن الخليفة، ومنه:

نَدْبٌ أشَمُّ الأنْفِ إنْ سُئِل الذي

لا يَرْتَضِي ثَارَتْ له أنَفَاتُه[٨٣]

ريَّانُ من ذاك النَّعِيم هَنَا له

وصَفَا له اليَنْبُوعُ وهو مَعِينُ[٨٤]

فقد حذف المبتدأ "هو" في البيتين السابقين؛ لأن المتحدث عنه معلوم وواحد، لكن صفاته التي يريد الإخبار عنها كثيرة ومتنوعة، "ريان-ندب-أشم". ويحذف جواب "لولا" في قوله:

فلولا نـدًى فـي راحتيـه تَلَهَّبَا

ولولا اسْتعَارُ البَأسِ فيه تـسَـرَّبا(٨٥)

فلولا الندى الكامن في يديه لتلهبت العامة فاقةً، ولولا شدة بأسه لتسرب الخوف إليهم. ومثلما تتنوع أساليبه في **الحذف**، تتباين دلالاته ومقاصده، وإن كان يسعى في خاتمة المطاف إلى أن يسبغ على شعره دلالات كثيفة، وظلالا وارفة من المعاني. فمن الحذف، حذف أداة النداء:

أمِيرَ المُؤمِنين جَـزَتْكَ عَـنَّا

جَـوَازِي الخَيرِ ما جَنَبَتْ جَنُوبُ(٨٦)

أمـيـنَ الـلـهِ قـد وَفَّـيْـتَ عَـدْلاً

وفَـضْلاً والإلَـهُ هـو الـمُـثِـيبُ

وهو إذ يسقط أداة النداء "يا" فإنه لا يشعر بقرب الممدوح منه فحسب، وإنما يتلهف في الوصول إليه ذكرا اسمه، أو وصفه المحبب إليه" أمير المؤمنين-أمين الله". وليس من شك أن أسلوب الحذف يتيح للقارئ فرصة أكبر للتخمين وتوسيع ماعون الدلالة، وبالتالي يسبغ على النص كثافة معنى، وفيوض دلالة.

وعلى نحو ما يفيد من الحذف يلجأ إلى **الذكر** إذا أراد تأكيد المعنى، وترسيخه في روع القارئ، وتوضيحه بصورة لا ينازع المتلقي شك، أو يحوجه تأويل، مثل قوله ذاكرا-"هي"- البيعة التي رضي الله عنها في سمائه، وباركتها الخلق إذعانا لمباركة السماء:

هـي بَـيْـعَـةٌ رَضِـي الإلـهُ مَقَامَها

وأُتِيحَ فيها اليُمْنُ والتَّـأمِـينُ(٨٧)

ومن بديع الذكر قوله مخاطبا الخليفة يوسف:

أنْـتُـم لأهـلِ الأرْضِ أوْثَـقُ عِصْمَةٍ

وبـأمْـرِكِـمْ عُطِفَتْ عليه حَـيَـاتُـه(٨٨)

فالذكر في قوله "أنتم" لا يؤكد أحقية عصمة الخليفة، بل اقتصارها عليه وحده دون سواه.

ويكثر من أسلوب التقديم، أو تقديم ماحقه أن يتأخر، كأن يقدم أحرف الجر "الفضلة" ويجعلها في أول البيت، مثل:

بِـأمْـرِكَ أُسْـمِـعَ الـدَّاعِـي الـمُـهِيبُ

وسَـعْـدِك يُـسِّرَ الـفَـتْـحُ الـقَرِيبُ(٨٩)

فـي الله أعْـمَـلَ سَـعْـيَـهَ فَـحَـوتْ له

جَـمْـعُ الفَضائلِ والـعُلا مَسَعَاتُه(٩٠)

في الله أعْمَلها على بُـعْدِ المدى

فَجَزَعْنَ غَـوْلَ مَفَاوزٍ وسَبَاسِبِ(٩١)

ونلاحظ أن هذا السبيل يميل إليه في التعبير عن القصر والاختصاص، وخاصة في حديثه عن الخليفة الموحدي، فبأمر الخليفة وحده سمع النداء وبسعده تم الفتح، وفي سبيل الله- وحده- كان سعيه وأمره وعزمه.

وللشواش مقدرة لغوية ومعرفة عميقة بدقائق اللغة، وربط الجمل أو وصلها بعضها ببعض، تارة بالأحرف العاطفة، وتارة بالاستغناء عنها، فمن الأولى قوله:

يَـقْـضِـي فَيُمْضي كُـلَّ حَـقٍّ واجِـبٍ

إلا إذا أعـطـى فَفَوْقَ الـواجِبِ(٩٢)

فقد عطف بالفاء في قوله" فيمضي "على الفعل" يقضي"، أو بمعنى ثان عطف إنفاذ القضاء" يمضي" بسرعة على الحكم به

"يقضي"، فالفاء التي تفيد العطف دون تراخٍ تناسب المقام، لأن القضاء إذا تهاون في الإنفاذ ضاع الحق. ومثلما يفيد الترتيب والتعقيب في مواضع يحسن التراخي في أخرى:

سَـــاسَ الأنـــامَ فـأُمِّـلَـتْ نَـعْـمـاؤُه

ونوالُــهُوتُخُـوِّفَـتْنَـقَـمَـاتُــه(٩٣)

انظر كيف راوح بين الفاء في قوله" فأملت" والواو في" نواله وتخوفت"، فالأمل بحصول النعمة والرجاء بتغيير الحال- عقب وصول الخليفة للحكم - أسرع من الخوف من غضبه، فعطايا الخليفة سابقة ومتعجلة، أما غضبته فمتراخية عنها؛ لأنها تفتح باب التوبة والأوبة للحق. إن أدوات العطف تلعب دورا في أداء المعنى، وقد كان ابن الأثير مصيبا إذ وصف موضعها بأنه" لطيف المأخذ، دقيق المغزى"(٩٤). وعلى أهمية العطف في خلق الترابط وتبليغ الخطاب إلى المتلقي قد يكون الاستغناء عنه أكثر أهمية من ذكره:

بُشْرَى الـخِلافـةِ إذْ تَـقَـلَّـدَ عَهْدَها

البَرُّ التَّقِيُّ الطَّاهِرُ الـمَيمُونُ(٩٥)

نَـدْبٌ أشَـمُّ الأنْـفِ إنْ سُئِـل الـذى

لا يَرْتَضِي ثَـارَتْ لـه أنَفَـاتُــه(٩٦)

عــادَاتُ مُـخْـتـرِمِ الـعُـدَاةِ مُـظَـفَّـرٍ

مُغْتَالُ كُــلَّ مُعَانِدٍ ومُـحَـارِبِ(٩٧)

ففي البيت الأول يصفه" بالبر التقي الطاهر الميمون"، وفي البيت الثاني" ندب أشم"، وفي البيت الثالث" مخترم ومغتال"، وهو في كل موضع من المواضع أعلاه يشير إلى أن" هذه الصفات كأنها تلاقت من داخلها وشكلت صفة واحدة تشتمل عليها دون أن يكون هناك إشعار بأنها صفات متغايرة، وإن كانت كذلك في الواقع- فلو قال في البيت الأول مثلا، البر والتقي والطاهر والميمون-لأعلنت الواو بتغاير هذه الصفات واستقلالها، وأنها تتلاقى فيه كما تتلاقى الأشياء المتعددة والتي يجمعها شيء خارج عنها"(٩٨)، والشواش لم يترك سبيلا يؤكد به معانيه، أو يعضد به أحقية الموحدين إلا وسلكه، انظر إفادته من البدل" أمر الله- حبل الله" في تأكيد المعنى وتقويته في قوله:

الأمْـــرُ أمْـــرُ الـلـه وهـو مُـؤيَّدٌ

والحَبْلُ حَـبْـلُ اللهِ وهـو مَتِينُ(٩٩)

سبق أن أشرنا في موضع سابق من هذه الدراسة إلى أهمية المبالغة في قصيدة المديح بوصفها أحد أهم عناصر البناء، وأداء المعنى وترسيخه، والحق أن الشواش قد ألح في سبيل تحقيق هذا المقصد على" بعض الصيغ اللغوية التي تنتظم في بنى تركيبية محددة تتجلى من خلالها دلالات المبالغة داخل السياق الشعري"(١٠٠)، ومنه هذه الصيغ، الجمل الشرطية:

مَـنْ يُـصْـفِ حُبَّك أُسْـعِـدَتْ أحْـوَالُـه

ومِثَــالُــــه وَتُـقُـبِّـلَـتْ قُــرْبـاتُه(١٠١)

مَـنْ يَقْتَدِي بك يَهْتَدِي أو من يَـرُمْ

سُـبُـلَ النَّـجَـاةِ فـأنْـتُـمُ مَنْجَاتُه

انظر كيف استقام له أن جعل الهداية مشروطة بالاقتداء به والنجاة رهينة باتباعه. ومن أدوات المبالغة" لو" الشرطية:

لـو تَـعْـلَـمُ الـوحْـشُ الـغَـوادِي بأسَهُ

لـم تَسْتَعِدّ لصَيْدِها بمَخَالِبِ(١٠٢)

ومن أدواتها أيضا صيغة فاعل (سامى-طاول-عاجل) التي "تدل على وصف الفاعل الموصوف بالحدث على سبيل الانقطاع والتجدد"(١٠٣):

سَـامَـى وطَـاولَ في سَـمَـاواتِ الـعُلا

صَعْدًا وَعَاجل غَرْسَه ثَمَراتُه(١٠٤)

المعجم الشعري:

لما كان الشعر الذي بين أيدينا يدور كله حول محور المديح كان من الطبيعي بمكان أن تطغى عليه الصفات المدحية، فضلا عن حقول دلالية أخرى مرتبطة بمعجم المديح. من خلال استقرائنا للنصوص نستطيع أن نقسم حقول معجمه إلى المحاور التالية:

الألفاظ الدينية: لا غرو أن تسيطر الألفاظ الدينية على معجمه، خاصة والـروح الديني كان هو اللون الغالب على دولـة الموحدين: ومنها: "الهُدى- الهدي- التُقى-الحق-الرشد-البر-الطهر-الصلاح-حبل الله-أمر الله-العصمة-الإيمان-الكفر)

معجم صفات المديح: منصور العزائم-منصور اللواء- عدلك- حلمك- دليل الحائرين-الناصر المنصور- خدن التقى- سهل الجوانب-خير من ملك الـورى- أمير المؤمنين- ملك الملوك- الندب- ملاذ المعتفين)

معجم الحرب والقتال: الوغى- الحروب- القنا-البيض- المشرفي- السابغات- الردى- الموت الزؤام- الأرماح- القسي- الرماء- الكنائن)

الطبيعة الوحشية: العوادي- مخالب الصيد-آساد الوغى- المفاوز- السباسب- القفر الممحل-تنوفة- حنادس- غياهب- الذئب- الزئير)

الطبيعة الأليفة: الينبوع- الروض- النسيم-المزن- الرشا- الجوزاء- السماك الرامح- بدر السماء- الدوح- الزهر)

كذلك لم يخلُ شعره من العبارات الجاهزة التي تعين الشاعر وترفده إذ أرتج عليه القول، أو انسدّ أمامه الأفق، ومنها" الطريق اللاحب- الموت الزؤام- الحرب الزبون- ضربة لازب وغيره"، والشواش وإن أفاد من التعبيرات الجاهزة لكنه لم يظل عالة عليها، بل اصطنع لشعره معجما خاصًا به، وابتكر علاقات لغوية جديدة اخترق بها العرف اللغوي الموروث، أو الأكلشيهات القديمة، فالعلاقات الجديدة،" أو الكلمات الغريبة تحدث دهشة وتأملا فتثير السمع ويطرب لها المتلقي"(١٠٥)، ومنه:

غِـرٌّ لَـبِـيـبٌ والـعُـلُـوم لـدَاتُـه

والـمَـعْـلُـواتُ كرَائِـمًا دايَاتُـه(١٠٦)

فقد جمع" المعلوة" على" المعلوات" بدلا عن المعالي على نحو ما هو معروف، كذلك استخدامه لكلمة" دايات"(١٠٧)، وهي لفظة فارسية تطلق على القابلة أو الحاضنة. وقوله أيضا:

تَـرَامَـتْ بـي إلـيـك نَـوًى نَـدُوفُ

ورأيـي في اعْتِمَادِكُم مُصِيبُ(١٠٨)

والطرافة في قوله "نوى ندوف"، إذ استعارها من قولهم: ندفت الناقة في سيرها إذا أسرعت، وهنا يشير إلى أن الزمان رماه بعيدا، أو ربما بسرعة فلم يتح له فرصة الأوبة. ومن الجديد

قوله:

وَتَـقَـيَّـلَ الخُلْقَ الـرَّضِـيَّ فأُنْجِحَتْ

أضْحـاؤه وَتَـيَسَّـرَتْ طَلَباتُه(١٠٩)

فقد جعل " أضحاؤه" بدلا عن تضحياته، كما جمع لفظ "رعيل" على رعايل، بدلا عن أرعال أو رعال:

بـه رُعِـبـتْ رعـايـلُـهـا وكـانـت

سُدًى وأرِيـحَ سارِحُها الغَرِيبُ (١١٠)

وعلى غرار اهتمامه بألفاظه كان حريصا على تحسين معانيه والتجديد فيها، إذ لم يترك سبيلا لتجويدها إلا وسلكه، وعلى رأسه المحسنات المعنوية، ومنها، التضاد كقوله:

وَمُـلْـكُـك مَـهَّـدَ الـدُّنـيـا فَـقَـرَّتْ

وقد قَلِقَتْ بمَضْجَعِها الجُنُوبُ(١١١)

فقد جمع بين قرت(اطمأنت)وقلقت. ومن التضاد الجمع بين الكثرة والقلة في قوله:

كَـثُـرتْ فَضائِلُه فَـكَـاثَـرتِ الحَصَى

عَـدًا وقَـدْ قَـلَّـتْ بـه سَـنُـواتُـــه(١١٢)

ويبني بيتا كاملا على التضاد:

وعَـــمَّ فـذُو الـتَّـبـاعُـدِ والـتَّـدانـي

سَـوَاءٌ والحزُونـة والسُّهوبُ(١١٣)

فالتضاد بين "التباعد والتداني "و"الحزون والسهوب". ومن محسنات المعنى "اللف والنشر"، ومنه قوله جاعلا ترتيب النشر على ترتيب اللف:

ضَـمِـنَ الإلَـــهُ لِـكَفِّه ولِـسَيفِهِ

رِزْقَ الأنيسِ وكُلَّ وَحْشٍ سَاغِبِ(١١٤)

فقد ذكر الكف والسيف ثم جعل الرزق عائدا إلى الكف، والوحش الساغب عائدا على السيف بترتيبهما. وأحيانا يعدل عن الترتيب، أو بمعنى ثان يجعل النشر على غير ترتيب اللف:

تَصَوَّرَ شَخْصًا رُكِّبَ البَأسُ والنَّدى

صـريـحين فيـه للـعُـلا فَـتَـركَّبا(١١٥)

فلولا نـــدًى فـي راحتيه تَلَهَّبَا

ولولا اسْتعَارُ البَأسِ فيه تـسَـرَّبا

فقد ذكر في البيت الأول البأس والندى ثم أعادهما في البيت الثاني دون ترتيب مقدما الندى على البأس. ومن المحسنات المعنوية الجمع بين الأمور المتناسبة،" فالتناسب والائتلاف والمؤاخاة بين المعاني، أو مراعاة النظير كما يسميه القدماء"(١١٦)، سبيل ممتاز لتبليغ المعاني، وإقرارها في روع القارئ، ومنه:

أو أخْلَفَتْها مُـزْنَـةٌ بِـتَـنُـوفَـــةٍ

فـاضَـتْ أنَـامِـلُـه بِقَطْرٍ سَـاكِـبِ(١١٧)

في حيث صَـوْتُ الـمَشْرَفِيِّ مُرجَّعٌ

يَشْدُو فتُطْرِبُ في الطَّلى نَغَمَاتُه(١١٨)

شَـهِـدَتْ بِفَضْلك صَـادِقَـاتُ وَقَـائِـعٍ

لم تَلْتَبِسْ بـشُهُـودِهنَّ ظَـنِـيـنُ(١١٩)

لـو تَـعْـلَـمُ الـوحْـشُ الـغَـوادِي بأسَهُ

لـم تَسْتَعِدّ لصَيْدِها بمَخَالِبِ(١٢٠)

فقد ناسب في البيت الأول بين "المزن والقطر"، ولائم في البيت الثاني بين "الصوت والنغم"، وفي البيت الثالث ناسب بين "الشهادة

والمتهم (الظنين)"، أما في البيت الرابع فلائم بين "الوحش والمخالب". ويلجأ إلى المقابلة في التعبير عن علاقة الخليفة برعيته وموقفه من أعدائه في قوله:

فتَمُرُّ يُمْنًا بالرِّضا لمُسَالمٍ

وتمُرُّ بَرْحًا بالرَّدَى لمُحَارِبِ (١٢١)

فقد قابل بين اليمن(التفاؤل) والبرح(التشاؤم)، والرضا والردى، ومسالم ومحارب. ومن بديع المقابلة تبيين حال من التحق بركب الموحدين (فوز من لبى) ومن أعرض عنهم (ويل من أبى):

إمَامُ هُدًى يدعو إلى الحَقِّ مُعْلِنًا

فيا فَوْزَ من لَبَّى ويا وَيْلَ من أبَى(١٢٢)

ويفيد من تأكيد المدح بما يشبه الذم في تأييد الخليفة وتأكيد غلبته وانتصاره:

مَلِكُ المُلوكِ مُؤَيَّدٌ لَكِنَّه

غَلَبَتْ عليه من التُّقَى مَلَكاتُه (١٢٣)

ومن المشاكلة-وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته(١٢٤)- قوله:

فِدَاكَ سِوَاك أن تُمْنَى بخَطْبٍ

وأنْ تَحْتَلَّ شَعْبَكُمُ شَعُوبُ (١٢٥)

فأصل القول أن" يحتل شعبَكم أعداؤُكم" إلا أنه عدَل عنها لشَعُوب(الموت) لمشاكلتها لما تقدم (شعبكم). ومن المحسنات أيضا، رد الأعجاز على الصدور، وهو "أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع، أو حشوه، أو آخره، أو صدر الثاني"(١٢٦)، وشعر الشواش معرض كبير لضروب مختلفة منه، مثل:

ويَهُبُّ من ريحِ الجلادِ نَسِيمُها

فَتَشُوبُه وَتَهدُّه هَبَّاتُه(١٢٧)

يَقْضِي فَيُمْضي كُلَّ حَقٍّ واجِبٍ

إلا إذا أعطى فَفَوْقَ الواجِبِ(١٢٨)

وتَحَدثَتْ بِيضُ الصَّوارِمِ في الطُّلى

بحديث مَجْدِك والحَدِيثُ شُجُونُ (١٢٩)

حَنَّتْ مُطَهْمَةُ الجيادِ ليومها

فَصَهِيلُها شَوْقٌ لها وَحَنِينُ(١٣٠)

والحق أن أحلى أنواع رد الأعجاز على الصدور وأكثرها تأثيرا، إذا كان اللفظ الأول في صدر المصراع الأول والثاني في آخر البيت، ولعل ميزة الحسن فيه ترتد لكونك إذا قدمت ألفاظا تقتضي جوابا فالمرضي أن تأتي بتلك الألفاظ بالجواب، ولا تنقل عنها إلى غيرها مما هو في معناها"(١٣١)، ومهما يكن الأمر فإن رد الأعجاز على الصدور لا يؤكد المعنى، أو المعاني التي يرمي إليها الشاعر ويرسخها في روع المتلقي فحسب، بل يجعل "أول الكلام دال على آخره، وآخره مرتبط بأوله، وهذا عينه قصد البلاغة ووكدها"(١٣٢).

والواضح من النماذج التي ذكرناها أنه يتعذر عليك أن تجد بيتا في شعر الشواش يخلو من محسن بديعي، ولعل هذا يدحض قول أحد الباحثين "ولم يكن الشواش الشلبي- وله عدة قصائد جهادية- معنيا بتزويق شعره وتنميقه بالمحسنات البديعية"(١٣٣).

والحق أن الشواش كان ابنا بارا للعصر الذي أظله، وللروح الأدبية التي طغت عليه، فلم يكن

ليخالف الذوق الأدبي السائد حينها، وهو الاحتفاء بالصبغ البديعي بوصفه أحد المقاييس الأدبية.

الموسيقى:

لم يخرج الشواش في شعره من العروض الخليلي إلى غيره من الفنون التي شاعت في عصره كالموشحات أو الأزجال، فكان أن نظم على الكامل والطويل والوافر، أما قوافيه فمعظمها على روي الباء والتاء والنون، وبالتالي لا تفصح موسيقاه الخارجية عن شيء ذي بال. لكن موسيقاه الداخلية تشي بعنايته الشديدة بالإيقاع الداخلي، وحرصه عليه، إذ هو أحد العناصر التي تدل على براعة الشاعر كما تجعل الشعر عظيما ومؤثرا، ومن موسيقاه الداخلية، التصريع الذي حرص عليه في كل مطالعه:

عَـزَمَـاتُ مَـنْـصُـورِ الـعَـزَائـمِ غَالِبِ

ضَمِنتْ فُتُوحَ مَشَارِقٍ ومَغَارِبِ(١٣٤)

وَضَـحَـتْ بـأَنْـوَارِ الـهـدَى قَسَمَاتُه

وأَبَانَتِ الـهَدْيَ القَويمَ سِمـاتُه(١٣٥)

عَـهْـدٌ أنـارَ بـه الـهُدَى والـدِّين

واسْتُظِهر التَّأييدُ والـتَّمْكِينُ(١٣٦)

فالتصريع واضح في قوله "غالب ومغارب"، و"قسماته وسماته"، و"الدين والتمكين"، ولا شك أن للتصريع في أول القصائد أهمية كبيرة، ففضلا عن الإثراء الإيقاعي، كما يرتبط بقدرة الشاعر واقتداره، يقول قدامة بن جعفر:" والفحول المجيدون يتوخونه ولا يكادون يعدلون عنه، فهو يدل على اقتدار الشاعر وسعة بحره"(١٣٧). ويفيد من "الجناس" والقيم الصوتية التي يتحلى بها في إحداث ضرب من التناغم والانسجام، ومنه:

دانَـتْ لـه الـدُّنيا وكَـافَّـةُ أهْلِها

فَعَفَا وَعَـفَّ وسامَحَتْ عَطَفاتُه(١٣٨)

إسْـعَدْ وَلِـيَّ الْعَهْدِ واصْـعَدْ سَامِيًا

واللهُ رَبُّكَ نَـاصِـرٌ ومُـعِـيـنُ(١٣٩)

ويمزج بين الجناسين، التام-في ومضت الأولى بمعنى (لمعت) والثانية بمعنى(قطعت)- والناقص(صفحاته-صفاحه)، في قوله:

وَمَـضَـتْ بـبـرقِ غُـيُـومِـه صَفَحاتُه

وَمَضَتْ مضاءَ صِفَاحِه عَزَماتُه(١٤٠)

ويصطنع لونا من الجناس يجعله في قرار كل بيت، أو في آخر كلمتين من البيت:

أبـدَى لنا بـشَـبَـابـه وَمَـنَابِـه

عَجَبًا وظَاهَرَ حُسْنَه حَسَنَاتُه(١٤١)

وأفـادَهُ دَهْـرًا مُـفِـيدًا مُنْعِمًا

وُصِلَتْ بباهِرِ خَيْرِه خَيْراتُـه(١٤٢)

أمـيرَ الـمُـؤمِـنين جَـزَتْكَ عَـنَّا

جَوَازِي الخَيرِ ما جَنَبَتْ جَنُوبُ(١٤٣)

انظر المجانسة اللطيفة بين حسنه وحسناته، وخيره وخيراته، وجنبت جنوب. وليس من شك أن الجناس يثري الإيقاع، فالتبادل الصادر بين تماثل الكلمات تماثلا كاملا، أو ناقصا يطرب الأذن ويونق النفس، ويهز أوتار القلوب، إنه أشبه شيء بتخت موسيقى تام مختلف الأدوات، متناسق الأصوات"(١٤٤). ومن الموسيقى الداخلية نوع دقيق من **التقابل الأفقي**، وفيه تتساوى كل كلمة في صدر البيت مع الكلمة التي تقابلها في العجز، في وزنها الصرفي والعروضي:

فهُـنا ك / أ سَّسَ / بـا لتُّقى / بُـنْيا نَه

و هُنَاك/شَيَّدَ/بالـهُدَى/حُجُر اتُه[١٤٥]

فتَمُرُّ / يُمْنًـا / بـا لـرِّ ضا / لـمُسَا لمِ

وتـمُرُّ/بَـرْحًـا/بالـرَّدَى/ لـمُحَارِبِ[١٤٦]

لقد/رَضِيتْ/فيك/الخِلافَةُ/مُرْتَضًى

لما / أوْجَبَتْ /فيك/ الدِّيَانَةُ/ مُـجْتَبَى[١٤٧]

وأحيانا يجعل في شطر واحد:

إمَـامُ هُـدًى يدعو إلـى الحَقِّ مُعْلِنًا

فيا فَوْزَ مـن لَبَّى/ويا وَيْلَ من أبَـى[١٤٨]

والحق أن هذا التقابل يحدث إيقاعا متساويا تهش له الأذن، ولا تكاد تملّ سماعه. ويقوده حرصه على استكمال الإيقاع الداخلي أن تكون الكلمة التي تسبق كلمة القافية ذات ارتباط وثيق بها، أما على سبيل التلازم (أعاجم وأعارب-ابنا وأبا) مثل قوله:

أمضى إلى الشَّرْقِ القَصِيِّ عزيمَةً

نَـالَـتْ قِـيَـادَ أعَاجِمٍ وأعَارِبِ[١٤٩]

ويكفيه فَخْرًا يَضْمنُ الفَضْلَ والنُّهَى

بأن كان منك ابْنًا وكُنْتَ له أبَا[١٥٠]

أو على سبيل التضاد (غدواته روحاته- شرق وغرب) في قوله:

واسْتَقْبلوا في الـدَّهْرِ عُمْرًا بَاقِيًا

ما واصَلَتْ غَدَواتُـه رَوْحَـاتُـه[١٥١]

وأنْـجَـزَهُ في الفتح صَـادِقُ وَعْـدِهِ

فَمَكَّنَهُ في الأرضِ شَرْقًا ومَغْرِبَا[١٥٢]

ولا شك أن الـتلازم والتضاد في الأبيات السابقة لا يهيئان القارئ للقافية فحسب، بل يجعلانه يتلفظ بها قبل نطق الشاعر بها. فالقافية على هذا النحو تشعر القارئ بأنه مشارك في بناء النص. كما تنكب على بعض الضرورات الشعرية، ومنها قصر الممدود "اللواء" في قوله:

نُـصِـرَتْ كتائِبُه بمَنْصُورِ الـلِّـوَا

غَلَّاب كُـلِّ قَـرِيـعِ جَيشٍ غَـالِـبِ[١٥٣]

والإبقاء على الياء-لا حذفها- في فعل الشرط المجزوم:

مَـنْ يَقْتَدِي بك يَهْتَدِي أو من يَـرُمْ

سُـبُـلَ النَّـجَاةِ فأنْتُمُ مَـنْـجَـاتُـه[١٥٤]

فقد أبقى الفعلين المجزومين يقتدي ويهتدي على حالتيهما دون حذف الياء حفاظا على الوزن.

الصورة الفنية:

على غـرار اهتمامه بالتشكيل اللغوي والأسلوبي عني بتشكيل **الصورة الفنية** بوصفها أحد عناصر البناء الشعري ومقياسا لتفاوت الشعراء، وبها يغدو الشعر عظيما ومؤثرا، فالصورة "هي الجوهر الشعري لأنها الوحيدة القادرة على استكناه التجربة الشعرية، ونقل عالم الشاعر الداخلي"[١٥٥]، فضلا عن" نقلها للفكرة والعاطفة بأمانة ودقـة"[١٥٦]. أما دراستنا لها فستعنى بأدوات تشكيلها بحسب التصور القديم عند البلاغيين وهي دراسة التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز.

تفاوتت تشبيهاته ما بين الصور القديمة المحفوظة في ذاكرة كل شاعر، والتي يسهل استدعاؤها، وما بين الجدة والطرافة. فمن الأولى قوله مشبها كرم الخليفة الموحدي بالبحر نفعا

وأعطية:

وأنْـتُـم لـلـسمَـاحَـةِ بَـحْـرُ جـدوى

يَـفِـيـضُ ولا يَـلِـمُّ بـه نُـضُـوبُ(١٥٧)

ومن الثانية صورة الخليفة البطل الذي بلغت شجاعته مبلغا يرى فيه ملاقاة الأعداء أشبه بلقاء الحسان في لهفته عليهم، ورغبته فيهم، يقول:

تَـلْـقَـاهُ آسَـادُ الـوَغَى وكُمَاتُها

فكـأنَـمَا يَلْقاهُ سِرْبُ كَـوَاعِبِ(١٥٨)

ومن جديد التشبيه قوله:

طَلَعْتْ على الأعـداءِ سُحْبًا للردى

سَـالَـتْ دَمًـا بـأباطِحٍ ومَـذَانِـبِ(١٥٩)

فقد درج الشعراء على "تشبيه الجيش بالسحاب في الكثرة، لكن الشواش أوجد علاقة جديدة فالسحاب يحمل الماء والجيش يحمل الهلاك للأعداء"(١٦٠). ويعقد الشواش مشابهة بين عناصر لا علاقة بينها أو انسجام إلا في مخيلته المبدعة، انظر قوله:

يُلْهِيـه رَوْضٌ والـقَـنَا دَوْحَاتُـه

والْبِيضُ زَهْـرٌ والدِّمَا شُقْرَاتُه(١٦١)

والـسَّـابِـغَـاتُ مَـوَارِدٌ يَـشْـفِـي بـها

حَـرَّ الـصَّـدى وظِلالُـهُ رَايَـاتُـه

والشواش يرسم أدوات القتال على نحو جديد، فقد جعل من القنا دوحة غناء، ومن السيف زهرا، ومن الدماء التي ترقرق بين مغافر الأعداء ولحاهم شقرا" أي أُشرب بياضهم حمرة"، ولا ينسى أن يحيل الدروع(السابغات)موردا عذبا يشتفي منه الظامئ مع أن الدرع إلى دم العدو أظمأ، كما يحيل رايات الخليفة التي تخفق بالنصر ظلا يتفيؤه جنده، ولاشك أن اصطناع هذه المشابهة ينبئ بعبقرية الشواش، وقدرته الفائقة على تجاوز النمطي والسائد والإتيان بالغريب الجديد، يقول عبد القاهر الجرجاني "إن لتصور الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله، والتقاط ذلك له من غير محلته، واجتلابه إليه من النيق البعيد بابا آخر من الظرف واللطف، ومذهبا من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه في العقل"(١٦٢). وأحيانا يحشد التشبيهات في بيت واحد يكاد ينوء بكثرتها الكاثرة:

بسَـوابِقٍ كبَـوارِقٍ ومَـوَاكِبٍ

كَـكَـوَاكِـبٍ وجَـنَـائِـبٍ كـخَـبَـائِـبِ(١٦٣)

أما استعاراته فجاءت في معظمها متمكنة في موضعها، مبلغة للمعنى الذي تريده، ملائمة للسياق الذي وردت فيه، بل تكاد تنقلك من عالمك إلى عالم آخر ترى فيه" الجماد ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية"(١٦٤)، ونحن لا نلقي القول على عواهنه، انظر لقوله:

وأظُـنُّ جَيشَ اللَّيل خَـافَ مَـغَـارَهُ

عند الصَّبَاحِ فجَدَّ عَزْمَةَ هَـارِبِ(١٦٥)

أمضى إلى الشَّرْقِ القَصِيِّ عزيمَةً

نَـالَـتْ قِـيَـادَ أعَـاجِـمٍ وأعَـارِبِ

تَـبْـدُو بها شَـمْـسُ الـنَّـهـارِ سَقِيمَةً

تشْكُو الضَّنى منها بِـلَـوْنٍ شَاحِبِ

والشواش إذ يجعل ظلمات الليل جيشا - على سبيل الاستعارة- فإنه يخيف أعداء الخليفة مرتين،

مرة بالظلمة المطبقة، ومرة بكثافة الجيش. كما ينقل الخوف والرعب من الخليفة للطبيعة، فالشمس ذاتها غدت سقيمة تشكو الضنى، وتتشح بلوت باهت شاحب، فالطبيعة بليلها(ظلمة) وشمسها(نورها)كلاهما يخافه ويختبئ منه. ومن بديع الاستعارة المكنية قوله:

رَضِعَ الخِلافَةَ نَاشِئًا في حجرها

وَغَذَتْهُ حَامِلَةُ الرَّضاعِ لَبُونُ[١٦٦]

فالخليفة لم يترك مهاد الملك وإنما رضع أثداء الخلافة وارتوى منها نهلا وعَلَلا، فلِبَانُ الخلافة إذا هو شربه وغذائه. ومن الصور الاستعارية الجميلة صورته وهو يقابل بين عيون الدين وطرف الكفر:

مُلَأَتْ عُيونُ الدِّينِ منها قُرَّةً

وارْتَدَّ طَرْفُ الكُفْرِ وهو سَخِينُ[١٦٧]

فالاستعارة جميلة ما بين عيون الدين التي قرت فرحة وسعادة، في مقابل طرف الكفر الذي ارتد خاسئا حسيرا، فمثلما للسرور دمع بارد "قرت" يثلج القلب وينثر الفرح، فإن للحزن دمعا حارا" سخين". ويمزج بين الاستعارة" حنت الجياد" والتشبيه" صهيلها شوق" في قوله:

حَنَّتْ مُطَهَّمَةُ الجِيادِ ليومها

فَصَهِيلُها شَوْقٌ لها وَحَنِينُ[١٦٨]

والشواش لا يجعل الخيل تحن للحرب والقتال فحسب، بل جعل صهيلها دليلا على شوقها له وحنينها إليه. وتكثر في شعره العلاقات المجازية على شاكلة (نار الحق-سحب الردى-غمام السعد-مطلع الرضى-عاتق الجوزاء- علم الهدى-زند السعادة-قياد الهوى-حجر المعالي.....)

أما الكناية فكانت ضنينة جدا في شعره إذا قيست بنظائرها، ومنها تكنيته عن كثرة الترحال بقوله " قلق المطايا":

عَجِبَ الورى من شَامِخٍ سَامِى الذُّرى

قَلِقِ المطايا مُدْلَجٍ أو سَارِبِ[١٦٩]

وتتعدد المصادر التي يستوحي منها صوره الفنية، ومنها القرآن الكريم، فقوله:

يا سَعْدَ دِينِ اللهِ أفْلَحَ حِزبُهُ

وَهَوَتْ عِداهُ في عَذَابٍ وَاصِبِ[١٧٠]

ونلاحظ اقتباسه للصورة القرآنية في قوله تعالى "وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ"[١٧١]دون تحوير لها، بل يبقيها على النحو الذي وردت فيه، فإذا كانت الآية الكريمة تتحدث عن الشياطين الذين يدحرون في العذاب الموجع يوم القيامة فالشواش يتحدث عن أعداء الله، أو حزب الشياطين، أعداء الدين والخليفة الموحدي، والمآل الذي انتهوا إليه، إذا لا يختلف سياق الآية عن سياق الشواش، فكلاهما الشياطين وأعداء الخليفة انتهيا إلى سوء المصير أو العذاب الواصب. ويستل صوره من الميثولوجيا الشعبية مثل قوله:

فتَمُرُّ يُمْنًا بالرِّضا لِمُسَالِمٍ

وتمُرُّ بَرْحًا بالرَّدَى لِمُحَارِبِ[١٧٢]

انظر كيف تهيأ له أن يفيد من التصور الشعبي للفأل الحسن المرتبط باليمين تفاؤلا في مقابل الشؤم المرتبط بالطائر الذي يغدو شمالا، أو ما يعرف عند العرف بالبارح. فاليمين صورة لرضا الخليفة عن رعيته أو المُسَالِمة، والشمال(البارح)صورة لسخطه على الخارجين أو الأعداء. ويفيد من الثقافة الشعبية لاسيما

المرتبطة بالرقية لدفع الأذى والعين، فها هو يعوذ الخليفة الموحدي بسورة "يس" ليمنع عنه الحسد، ويدفع عنه العين:

حــازَ الــعُلا فـكَـمَـالُـه وَخِلالُـــهُ

تُـتلَى لـهنَّ مُـعَـاذَةً يـاسِـينُ (١٧٣)

وأحيانا ينتزع صـوره من أجـواء البادية المحضة لدرجة لا تجعلنا نحار في هذا النزوع فحسب، بل نوشك أن نقول إنه قد ولد في البادية، وارتضع ألبانها، وتـداوى بأبوال نوقها، مثل صورة المرضع التي تحنو على الخليفة صغيرا في المهد والتي يمثلها بناقة تحنو على وليدها وقد أصدرت صوتها(حنينها)، ومدت عنقها-من عل- إليه شوقا وحنانا:

وَحَـنَتْ إلـيه حَـانِـيَـاتٌ للـعُـلا

بِمَكانِـه مِنْ عُـلْـوهنَّ مَكِـيـنُ (١٧٤)

وقبل أن نغادر دراسة الصورة عنده نشير إلى ولعه بالصورة الصوتية:

ولــرُبَّ صَــوَّالِ الـزَّئـيـرِ حَطَمْتَـه

فـغدا لـه بـعد الزَّئِـيـرِ أنِـيـنُ(١٧٥)

وقوله:

حَـنَّـتْ مُـطَـهْـمَـةُ الـجِـيــادِ ليومها

فَصَهيلُها شَوْقٌ لها وَحَـنِـينُ (١٧٦)

فالصورة في البيت الأول توظف الصوت توظيفا فنيا، فقد جعل صوت العدو- قبيل القتال- كصوت زئير الأسد رهبة وقوة حتى إذا التقى بالخليفة فَقَدَ جلجلته وذهبت شدته، واستحال إلى أنين فيه الوجع والألم. وفي البيت الثاني يجعل للقوس- وقد عطفه مؤطره، أو عُطِف من طرفيه ليرسله لأعداء الخليفة- صوتا يشبه صوت الأنين.

بناء القصيدة:

ضرب الشواش في مقدمة قصائده صفحا عن المقدمات التقليدية من غزل ونسيب، وقطع مفاوز وقفار، واختار مقدمات تلائم الموقف النفسي الذي يقفه، أو اللحظة التي يعبر عنها، لذلك تفاوتت مطالعه، وهي وإن كانت كلها تدور في فلك المديح إلا أن الشواش كان مدركا أن التهنئة بالبيعة غير التهنئة بالنصر على الأعداء، أو مباركة العيد السعيد، يقول الشواش مهنئا يوسف بن عبد المؤمن وقد آلت إليه الخلافة:

عَـهْـدٌ أنـارَ بـه الـهُدَى والـدِّين

واسْتُظِهر التَّأييدُ والـتَّمْكِينُ(١٧٧)

بُـشْـرَى الـخِلافـةِ إذْ تَـقَـلَّـدَ عَهْدَها

الـبَـرُّ الـتَّـقِـيُّ الـطَّـاهِـرُ الـمَيمُونُ

نَجْلُ الإمـامِ وَنَـشْـأةُ الخُلُقِ الرِّضَى

يـبـدو علـيـه هَدْيُـه ويَبِـيـنُ

النَّاصِرُ الـمَنْصُورُ أوضَـحَ نَهْجَهُ

فـي الـصَّـالـحـاتِ فَنُجْحُه مَضْمونُ

فهو إذ يبدأ مدحته بالحديث عن العهد، ويقصد به العهد الذي قطعته الدولة الموحدية على نفسها منذ نشأتها والتزمت به (الهدى والدين) فإنه يتخلص مباشرة إلى اصطناع مفارقة لطيفة، فبدلا من تهنئة الخليفة بالخلافة نراه يبشر الخلافة نفسها به، ويسوق مبررات بشارته لها، إذ تقلدها البر التقي الطاهر الميمون، ثم يرتد إلى الماضي مرة أخرى ليؤكد أن صفات الخليفة الجديد (نجل

الإمام) إرث متسلسل من لدن آبائه الأئمة.

والشواش يتنقل في مقدمته بين الأزمنة ليؤكد من خلال هذا الانتقال صدق النتيجة التي يصل إليها، أو صحة الأطروحة التي بنى عليها مقدمته، فإذا كان ماضي الدولة الموحدية هو الهدى والدين، والخليفة الجديد (الزمن الحاضر) هو نجل الإمام نسبا، والخلق القويم سلوكا ومنهاجا، فلا شك أن المستقبل الذي ينتظره هو النصر والتأييد (الناصر المنصور) على أعدائه. والشواش يعلم أن لكل مقام مقالا يناسبه ويعبر عنه، ففي تهنئته لعبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين بنصره على أعدائه في وقعة السبيكة، يقول:

عَـزَمَـاتُ مَـنْـصُـورِ الـعَـزَائِـمِ غَالِبِ
ضَمِنتْ فُتُوحَ مَشَارِقٍ ومَغَارِبِ(١٧٨)
يـا سَـعْـدَ دِيـنِ الـلـه أفْـلَـحَ حِـزبُـهُ
وَهَـوَتْ عِـداهُ فـي عَـذَابٍ وَاصِـبِ
أولـى لأشْـيَـاعِ الـغَـوايـةِ والـرَّدى
ووراءَ نـــارِ الحقِّ أنْـجَـحُ طَالِبِ
يـمضي لأمْـرِ الـلـه غَـيْـرَ مُـعـرِّجٍ
مُتَوجِّهًا بـالنَّصرِ ضَـرْبَـةَ لازِبِ

ويوفق شاعرنا في اختياره الواعي للألفاظ التي تناسب هذا المقام، مثل اختياره لمفردة عزمات-جمع عزمة-التي تعني الثبات والصبر فيما يُعْزم له، ثم يلحقها بمنصور العزائم وبالغالب المنتصر في نعته للخليفة، ثم يبشر بعد ذلك بفتح البلاد شرقا وغربا مع أن الفتح لم يحدث بعد. ويأتي في البيت الثاني مهللا بالنصر المؤزر ومنذرا أعداءه بعذاب مقيم ودائم. والشواش يرى- كما يرى معظم الأندلسيين- أن الخليفة الموحدي تجاوز بحر الزقاق نصرة للدين الحنيف، وتخليصا للأندلس من براثن الأعداء لذلك وصفه بحزب الله ووصف أعداءه بشيعة الغواية والردى، ويأتي في البيتين الثالث والرابع ليؤكد أن حزب الله أو حزب الخليفة الماضي بنار الحق وسواء السبيل متوج بالنصر لا محالة (ضربة لازب).

إن معظم مقدماته تعددت ولم تسلك سبيلا واحدا، لكنها جاءت مناسبة للمقام الذي عبرت عنه. وعلى نحو ما يخلع الجلبة والقوة في تهنئته للخليفة النصر المؤزر نجده ينثر الفرح ويبث الحبور مغتبطا بمبايعة الأمير محمد بن عبد المؤمن وليا للعهد:

أهـابَ بـه داعِـي الـحيـاةِ مُـثَـوِّبـا
فبَـادَرهُ واسْتَنْجَدَ الـرِّيحَ مَـرْكِبَا(١٧٩)
وأزْمَـعَ يَقْتَادُ الهوى فـي مُـرَادِه
ويَنْحُو سَحَابَ الخَيْرِ حيْثُ تَسَحَّبَا
بحَيْثُ غَـمَـامُ السَّعْدِ يَنْشأُ حَـافِلًا
فَيَهْـمِـلُ دَفَّـاقًـا وَيَـنْـهَـلُّ صَيِّـبَا
وَتَنْبَعِثُ الأنْـوَارُ من مَطْلَعِ الرِّضَى
فتُوضِحُ للحيرانِ نَـهْـجًا ومَذْهَبَا

فالمفردات (داعي الحياة- يقتاد الهوى- سحاب الخير- غمام السعد- مطلع الرضا) لا تبشر الناس بالسعادة والأمل والتفاؤل فحسب، بل تنقل عدوى الفرح إلى الطبيعة المحيطة به، فالهوى ينقاد، والغمام يسعد، والسحب تهطل خيرا. ومهما يكن

الأمر فإن مقدمات الشواش جاءت ملائمة للأفق الذي تعبر عنه سواء في اختيارها للمفردات، أو في رسمها للصور.

أما خواتيم قصائده المادحة فغلب عليها الدعاء، تارة برعاية الله للخليفة وحفظه له، أو بطول العمر أو العيش في حبور:

يَرْعَاكَ مَنْ يُرْعِيكَ عَهْدَ عِبَادةٍ

ويَقُولُ للأشْيَاءِ كُنْ فَتَكُونُ(١٨٠)

واسْتَقْبلوا في الدَّهْرِ عُمْرًا بَاقِيًا

ما واصَلَتْ غَدَواتُه رَوْحَاتُه(١٨١)

عِشْ يا أمِيْرَ المُؤمِنين بِغَبْطَةٍ

ووقَاكَ سَعْدُك كُلَّ خَطْبٍ نَائِبِ(١٨٢)

باستثناء قصيدة واحدة ختمها بالاعتذار للخليفة، ونقدر تقدير الظن أنه يعتذر فيها للخليفة عبد المؤمن بن علي تخلفه-لأسباب قاهرة- عن حضور الحفل العظيم الذي عقده للشعراء عندما نزل بجبل الفتح سنة ٥٥٥هـ:

وما لي أنْ يُقَالَ قَصِيُّ دارٍ

نأى عنْهَا وَغُرْبِيٌّ غَرِيبُ(١٨٣)

فَاعْتَبَ خَائِفًا مِمَّا جَنَاه

وَأقْسَم أنَّهُ منها يَتُوبُ

فَعَفْوًا أيُّها المولى وَصَفْحًا

فكَمْ جَانٍ وَمُجْتَرِمٍ يُنِيبُ

الخاتمة وأهم النتائج:

بعد جمعنا لشعر الشواش الشلبي ودراستنا له نستطيع أن نسجل النتائج الآتية:

لم يصلنا من شعر الشواش الشلبي سوى قصائد المديح، التي سارت -إلى حد ما- على خطى قصيدة المديح في عصر الموحدين القائمة على ترديد الأفكار المتصلة بدعوة الموحدين (كعصمة الإمام- الأمر أمر الله.....)، كما وازن بين صورتي الخليفة الدينية (الإمام المعصوم) والسياسية. وحاول ما استطاع إلى ذلك سبيلا تعضيد أحقية الموحدين بالخلافة اعتمادا- جوار الجانب العقدي- على الأدلة المنطقية.

ثمة نزوع للروح البدوية في مدائحه سواء في ألفاظه، أو في رسمه لبعض الصور، فكثير من ألفاظه لا تكاد تنسجم مع معجم الشعر الأندلسي، بل تحوجك للمعجم بحثا عن معانيها، أما صوره فتخلو من صور الحضارة والمدنية التي لونت حياة الأندلسيين، فلا تكاد تسمع شقشقة عصافير، أو ترى خرير مياه، أو تشتم رائحة زهور، وقد يقول قائل إن ذلك بسبب أن ما وصل إلينا كله يدور حول المديح، لكن هذا الفرض لا يثبت للنقاش لأن شعر المديح نفسه يمكن أن يتلون بلون الحضارة والمدنية.

رفد الشواش لغته بالقرآن الكريم والأمثال العربية والشعر القديم، كما تعددت أساليبه اللغوية في أداء المعنى، فكان الحذف والذكر، التقديم والتأخير، والمبالغة التي جاءت في هيئات مختلفة (الجمل الشرطية- صيغة فاعل). كما أبان معجمه الشعري تمركزه حول الألفاظ الدينية، وألفاظ الطبيعة. كذلك لم يخلُ شعره من العبارات الجاهزة التي تعين الشاعر وترفد شعره، كما ابتكر علاقات لغوية جديدة اخترق بها العرف اللغوي الموروث، أو الأكليشيهات القديمة.

على غرار اهتمامه بألفاظه عُني بتجويد معانيه وتحسينها، فكان أن أفاد من اللف والنشر في إجمال المعنى وتفصيله، ومن التضاد في رسم صراعات الحياة وتقلباتها، ومن مراعاة النظير في إحداث ضرب من الائتلاف والتآخي بين المعاني.

لم تخرج موسيقاه عن العروض الخليلي وعن الأبحر الأكثر شيوعا، كالكامل والطويل والوافر، كما اهتم بموسيقاه الداخلية، فالتزم بالتصريع في كل مطالع قصائده، والجناس بشقيه، التام والناقص، كما أكثر من التقابل الأفقي، وتنكب على بعض ضرائر الشعر.

أما صوره الفنية فتميزت بتنوع وسائل بنائها (التشبيه- الاستعارة- الكناية)، كما تباينت تشبيهاته ما بين القديم المكرور والطريف المخترع، وأكثر من الاستعارة المكنية وتشخيص المعنويات وتجسيد المعقولات، مع حضور خجول للكناية. تعددت المصادر التي استوحى منها صوره (قرآن كريم- الثقافة الشعبية ...) وكان إذا أعجبته صورة عمد إلى إعادتها.

أما بناؤه للقصيدة فتميزت مطالعه بالجدة والطرافة، وكانت ملائمة تمام الملائمة للأفق الشعري الذي تعبر عنه، كما تفاوتت قصائده من حيث الطول، وغلب الدعاء للممدوح على خواتيم قصائده.

القسم الثاني:

عمدنا في هذا القسم(النصوص) إلى جمع وتوثيق كل ما توافر إلينا من شعر الشَّواش الشلبي سواء من المصادر الأندلسية أو المشرقية، ومن كتب التراجم وكتب الأخبار، وقد أسفر بحثنا وتنقيرنا بين المصادر عن مئة واثنين وثمانين بيتا، رتبناها على حروف المعجم ابتداء بالمصدر الأقدم تاريخا وصولا للأحدث مع إثبات الروايات المختلفة للأبيات، وعمدنا إلى شرح غامض اللفظ، ومعمَّى المعنى- قدر المستطاع- وأسمينا الأبحر الشعرية، وضبطنا الأبيات بالشكل حتى تسهل تلاوتها للمطلع، وانتجاعها للمنتجع.

ومهما يكن الأمر فهذا كل ما بلغناه من جهد ولأي في جمع وتوثيق شعر الشواش الشلبي، ولا شك أن هناك ما ندَّ علينا أو غفلنا عنه، فالحمد لله الذي جعل الكمال له والعصمة لأنبيائه.

شعره

١

من بحر الطويل

أهـــابَ بـــه داعِـــي الـحـيـاةِ مُـثَـوِّبـا ... فبـَـــادَرَهُ واسْـتَـنْـجَـدَ الـــرِّيـحَ مَـــرْكِبَا

وأزْمَـــعَ يَـقْـتَـادُ الـهـوى فـي مُـــرَادِه ... ويَـنْـحُـو سَـحَـابَ الـخَـيْـرِ حـيْـثُ تَـسَـحَّـبَـا

بـحَـيْـثُ غَـمَـامُ الـسَّـعْـدِ يَـنْـشَـأُ حَـافِلًا ... فَـيَـهْـمِـلُ دَفَّـاقًـا وَيَـنْـهَـلُّ صَـيِّـبَا

وَتَـنْـبَـعِـثُ الأنْـــوَارُ مـن مَـطْـلَـعِ الـرِّضَـى ... فـتُـوضِـحُ لـلـحـيـرانِ نَـهْـجًـا ومَـذْهَـبَـا

أقُـــولُ لـــوَفْـــدِ الـخـيـرِ إذْ جَـــدَّ جـدُّهُـم ... وقـد جُـشِّـمُـوا الأهْـــوالَ شَـــأوًا مُـغَـرِّبـا

وشَـــرَّفُـــهـــم قَـــصْـــدُ الإمَـــــامِ فـــجَـــرَّرُوا ... عـلـى عَـاتِـقِ الـــجَـــوْزَاءِ ذَيْلًا مُـسَـحَّـبَـا

هُـــدًى لـــمَـطَـايـاكُـم فـــإنَّ سَـبِـيـلَـهـا ... أبَـــرُّ سَـبِـيـلٍ مَـــقْـــصَـدًا وَتَـطَـلُّـبَـا

سـيـبُـدو لـكـم عـن سَـيْـرِكـم عَـلَـمُ الـهُـدى ... ويُـــورِي لَـكُـمْ زَنْـــدُ الـسَّـعَـادَةِ مُـثْـقِـبَـا

أرى جَـــبَلًا مـــن رحْـمَـةِ الـلـه خَـاشِـعًـا ... يَـخِـفُّ لـه رَضْـــوَى إذا عَـقَـدَ الـحُـبَـا

تَـصَـوَّرَ شَـخْـصًـا رُكِّـبَ الـبَـأسُ والـنَّـدى ... صريـحـين فيه لـلـعُـلا فَـتَـركَّـبَـا

فـلـولا نـــــدًى فـــي راحـتـيـه تَـلَـهَّـبَـا ... ولـولا اسْـتـعَـارُ الـبَـأسِ فيه تـسَـرَّبا

إمَـــامُ هُـــدًى يـدعـو إلـى الـحَـقِّ مُـعْـلِـنًـا ... فـيـا فَـــوْزَ مـن لَـبَّـى ويـا وَيْـــلَ مـن أبَـى

خَـلِـيـفَـةُ مَـهْـدِيِّ الـــورى وأمِـــيْـنُـــهُ ... تـــوَلَّاه فـي الْمَـحْـيَا وولَّاه مَـعْـقِـبَـا

حَـــوَاهُ أمِـيـنٌ للإمَـامَـةِ حَـافِـظٌ ... وأدَّى حُـقُـــوقَ الـلـهِ فـيـه وأوْجَـبَـا

وأنْـجَـزَهُ فـي الـفـتـح صَـــادِقَ وَعْـــدِهِ ... فَـمَـكَّـنَـهُ فـي الأرضِ شَـرْقًـا ومَـغْـرِبَـا

لـقـد رَضِـيـتْ فـيـك الـخِـلافَـةُ مُـرْتَـضًـى ... لـهـا أوْجَـبَـتْ فـيـك الـدِّيَـانَـةُ مُـجْـتَـبَـى

وبـالأمْـنِ والإيـمـانِ والـفَـوْزِ والـرِّضَـا ... ولِايَـةُ عَـهْـدٍ تُـطْـلِـعُ الـسَّـعْـدَ كَـوْكَـبَـا

ونُـوجِـيـتَ بـالـسـعـد الـذي قُـــدِّرتْ لـه ... فـأمْـضَـيْـتَ أمْـــرًا كـان أوْلَـــى وأوْجَـبَـا

هـو الـمـلـكُ الـمـيـمُـونُ فـي مَـطْـلَـعِ الـرِّضـا ... أنَـــارَ وفـــي حُـجْـرِ الـــمَـعَـالـي تَـرَبَّـبـا

فـأنـشـئ مـن صـفـو الـحـيـاة وسِـرِّهـا ... وبـــوئ مـــن مـغـنـاك غَـــيْلا مـؤشَّـبـا

ويـكـفـيـه فَـخْـرًا يَـضْـمـنُ الـفَـضْـلَ والـنُّـهَـى ... بـأن كـان مـنـك ابْـنًـا وكُـنْـتَ لـه أبَـا

التخريج:

الأبيات (١-١١)، في تحفة القادم ٦٥-٦٦، وفي الوافي :٩/ ١٠٨، الأبيات (١-٤) في المقتضب:١٠١ وفي البيان المغرب الأبيات (١، ١٢-٢١): ٣/ ١٣٥

قلت: حاولنا جاهدين أن نصطنع نصا متماسكا بين ما جاء به ابن الأبار وابن عذاري فتعذر علينا الأمر.

المناسبة:

قالها في مبايعة الأمير محمد بن عبد المؤمن بن علي بولاية العهد بمراكش سنة ٥٤٧ه كما يقول ابن الأبار، وسنة ٥٤٨ه على حد قول ابن

عذاري المراكشي.

المعاني:

مثوبا: داعيا

شأو مغرب: إذا ترك الشيء ونأى عنه

الجوزاء: نجم، والعرب تشبهه بامرأة تتوسط السماء وتحمل قوسا لتضرب به الأسد، واختار الجوزاء لأنها على صورة إنسان، وجعل للجوزاء عاتقا على سبيل الاستعارة.

٢

من بحر الوافر

بِـأمْـرِكَ أُسْـمِـعَ الـدَّاعِـي الـمُـهِيبُ ... وسَـعْـدِك يُـسِّرَ الـفَـتْـحُ الـقَرِيبُ

وَمُـلْـكُـك مَـهَّـدَ الـدُّنـيـا فَـقَـرَّتْ ... وقـد قَـلِـقَـتْ بـمَـضْـجَـعِـهـا الـجُـنُـوبُ

وهَـذْيُـك مَـلَّـكَ الأهْـواءَ طَـوعًـا ... فَـحَـنَّـتْ أنْـفُـسٌ وصَـبَـتْ قُـلُـوبُ

وعَـدْلُـكَ ألَّـفَ الأشْـتَـاتَ حَـتَّـى ... تَـوَادَّ الـذِيـبُ والـرَّشـأ الـرَّبِـيـبُ

وحِـلْـمُـك أرْجَـحَ الـشُّـمَّ الـرَّواسِـي ... فـمِـنْـهُ فـي شَـوامِـخِـهـا رُسُـوبُ

ورَوْحُـك وارتِـيـاحُـك لـلـمعـالـي ... تَـمَـايـلَ عـنْـهُـمـا الـغُـصْـنُ الـرَّطِـيـبُ

وَرَبْـعُـك لـلـعُـفَـاةِ إذا ألَـمُّـوا ... كَـصَـدْرِك إنَّـه -أبـدا- رَحِـيـبُ

تَـفَـادَتْ مـن سَـمَـاحَـتِـك الـعطـايـا ... وَعَـاذَتْ مـن بـسـالـتِـكَ الـحُـرُوبُ

قَـتَـلْـتَ صُـرُوفَـهـا قَـسْـرًا فمنها ... عـلـى شَـفَـقِ الـدُّجـى عَـلَـقٌ صَـبِـيـبُ

وَخَـافَـتْ مـنـك قَـاصِـيـةُ الـذَّرَارِي ... فَـيَـلْـزَمُ قَـلْـبَهـا ذاك الـوَجِـيـبُ

وجُـودُك فـي الـورى شَـيءٌ عَـجِـيـبٌ ... يُـرَجِّـمُ ظَـنَّـهُ فـيـه الـلَّـبِـيـبُ

ومـا فـي أمْـرِك الـصَّـدْقِ امْـتِـرَاءٌ ... وَلَـكِـنِّـي بِـخُـلْـفِـك أسْـتَـرِيـبُ

أمِـيـرَ الـمُـؤمِـنـيـنَ جَـزَتْكَ عَـنَّا ... جَـوَازِي الـخَـيـرِ مـا جَـنَـبَـتْ جَـنُـوبُ

ألا لـلـه مـنـك إمَـامُ صِـدْقٍ ... تَـقَـدَّس لايُـلِـيـمُ ولا يَـخُـوبُ

إمَـامُ الـدِّيـنِ والـدُّنـيـا بِـجِـدٍّ ... وَجَـدٍّ لا يَـمِـيـلُ ولا يَـخِـيـبُ

بـه رُعِـبَـتْ رعـايـلُـهـا وكـانـت ... سُـدًى وأرِيـحَ سـارِحُـهـا الـغَـرِيـبُ

وَصَـحَّ بـه الـزَّمـانُ فـكُـلُّ داءٍ ... عَـيَـاءٍ عَـالَـهُ مـنـه طَـبِـيـبُ

وَدَلَّ الحائرين على نَدَاهُ ... فَكُلُّ مُضِلَّةٍ لَقَمٌ رَكُوبُ

وعَمَّ فذُو التَّباعُدِ والتَّداني ... سَوَاءٌ والحزُونة والسُّهوبُ

مُفِيدٌ أو مُبِيدٌ مُسْتَمِرٌّ ... لحاليه كَسُوبٌ أو نَهُوبُ

تُنَافِسُ جُودَهُ السُّحْبُ الغَوَادِي ... فيبدو فَوْق أوجُهِها قُطُوبُ

ويَحْسِدُ نُوْرَه بَدْرُ الدَّياجي ... فَتَعْرُوه الضَّمانَةُ والشُّحُوبُ

وكيف وبينهم قُرْبى تُرَاعى ... وَكُلُّهُمُ حَلِيفٌ أو نَسِيبُ

أمينَ اللهِ قد وَفَّيْتَ عَدْلاً ... وفَضْلاً والإلَهُ هو المُثِيبُ

وقد وَهَبَ الرِّضَا لكُمُ وأيٌّ ... أراه إلى إرادَتِكم يُجِيبُ

دَعَوْتَ إلى الإله ففاز فَوْزًا ... عَظِيمًا سَامِعٌ لك مُسْتَجِيبُ

وعَلَّمْتَ الجَهُولَ فليس إلا ... عَلِيمٌ رَائِدٌ فَطِنٌ لَبِيبُ

فأوْسَعْتَ الأنامَ هُدًى يُرِيهم ... مَعَالِمَ دِينِهم وَنَدًى يَصُوبُ

فأنْتُم للجميع أبٌ عَطُوفٌ ... وَكُلٌّ في كَفَالَتِكم رَبِيبُ

تُقَضِّي شَهْرَ صَوْمِكَ مُسْتَدِيمًا ... وِصَالَك والمقامُ له حَبِيبُ

وَفَارَقَ غَيْرَ مُخْتَارٍ فَحَرُّ الـ ... ـهجِيرةِ من جوانِحِه لهِيبُ*

وَبَشِّر أنْ يُعَاودَكم فعنه ... تَبَسَّمَ للضُّحى ثَغْرٌ شَنِيبُ

ووافى العِيدَ والأيَّامُ عِيدٌ ... يَرُوقُ بِكُم ودنيَاكُم عَرُوبُ

وأنْتُم للسَمَاحَةِ بَحْرُ جدوى ... يَفِيضُ ولا يَلِمُّ به نُضُوبُ

لِيَهْنِ الدَّهْرَ والأعْيَادَ بُقْيا ... زَمَانِك إنَّهُ الزَّمَنُ الخَصِيبُ

سَتَصْحَبُها مُدَاومةٌ بِنَصْرٍ ... عَزِيزٍ ضِمْنُه عُمْرٌ قَشِيبُ

وتَبْقَى مِثْلَ ما تَبْقَى الليالي ... وقد شَمَطَتْ ولاح بها المشِيبُ

فِدَاكَ سِوَاك أن تُمْنَى بخَطْبٍ ... وأنْ تَحْتَلَّ شَعْبَكُمُ شَعُوبُ

تَرَامَتْ بي إليك نَوًى نَدُوفٌ ... ورأيي في اعْتِمَادِكُم مُصِيبُ

وما لي أنْ يُقَالَ قَصِيُّ دارٍ ... نأى عنْهَا وَعُرْبِيٌّ غَرِيبُ

وعُـــدْتُ وَعَـــوْدَتـــي أوْلـــى وأجْـــدَى ... وأحْـــمَـــدُ فـــي حـــيـــاةٍ اسْـتَـــطِـيـبُ

وســالـــمَـنِـي زَمَـــانـــي فـــي ذُراكُـــم ... وقـــد سَـــلَـــفَـــتْ لـــه عـــنـــدي ذُنُـــوبُ

فَـــاعْـــتَـــبَ خَـــائِـــفًـــا مِـــمَّـــا جَـنَـاه ... وَأقْـــسَـــم أنَّـــهُ مـنـهـا يَـــتُـــوبُ

فَـــعَـــفْـــوًا أيُّـــهـــا الـــمـــولـــى وَصَـــفْـــحًـــا ... فـــكَـــمْ جَـــانٍ وَمُـــجْـتَـــرِمٍ يُـنِـيـبُ

التخريج:

المن بالإمامة: ١٤٤-١٤٦

*في المن البيت غير مدور وبه ينكسر الوزن فالصواب ما أثبتناه.

المناسبة:

قالها في تهنئة عبد المؤمن بن علي بعيد الفطر سنة ٥٥٧هـ.

المعاني:

السارح: راعي الإبل

اللقم: وسط الطريق

الجنوب: أي الجنوب من الرياح، يقول الأصمعي: "إذا جاءت جَنُوب جاء معها خير وتلقيح"

الضمانة: الداء في الجسد من بلاء أو كبر، أو الداء نفسه

رعايلها: الجماعة من الناس أو الخيل

شمط: اختلط، وشمطت الليالي اختلطت بين الظلمة والبياض

ندوف: من ندف بمعنى رمى به، يعني أن النوى رمى به بعيدا

مجترم: مجرم

٣

من بحر الكامل

عَـــزَمَـــاتُ مَـنْـصُـورِ الـعَـزَائِـمِ غَـالِـب ... ضَـمِـنـتْ فُـتُـوحَ مَـشَـارِقٍ ومَـغَـارِبِ

يـا سَـعْـدَ دِيـنِ الـلـه أفْـلَـحَ حِـزبُـهُ ... وَهَـــوَتْ عِـــداهُ فـي عَـــذَابٍ وَاصِـــبِ

أولـــى لأشْـيَـاعِ الـغَـوايَـةِ والـــرَّدى ... ووراءَ نـــارِ الـحـقِّ أنْـجَـحُ طَـالِـبِ

يـمـضـي لأمْـــرِ الـلـه غَـيْـرَ مُـعـرِّجٍ ... مُـتَـوجِّـهًـا بـــالـنَّـصرِ ضَـرْبَـة لازِبِ

عـــادَاتُ مُـخْـتـرِمِ الـعُـدَاةِ مُـظَـفَّـرٍ ... مُـغْـتَـالُ كُـــلَّ مُـعَـانِـدٍ ومُـحَـارِبِ

أمِـنـتْ كَـتَـائِـبُـه مَـكِـيـداتِ الـعِـدَا ... واسْـتَـصْـحَـبَـتْ لـلـنـصْرِ ألْـــزَمَ صاحِبِ

واسْـتَـنْـجَـدَتْ بـنَـجَـاحِـــهِ وبِـيُـمْـنِـه ... فـقَـطَـعْـنَ عَـــرْضَ الـبِـيـدِ غَـيْـرَ لـوَاغِـبِ

بسَـــوابِقٍ كـبَـــوارِقِ ومَـــوَاكِبٍ كَـكَـوَاكِـبٍ وجَـنَـائِـبٍ كـخَـبَـائِـبِ
كَـاثَـرْنَ أعْـــدَادَ الـحصى وتَـضَـاءلَـتْ منـــها فِـــساحُ أجَـــارعٍ وأخَـاشِـبِ
طَـلَـعَـتْ عـلـى الأعـــداءِ سُـحْـبًـا لـلـردى سَـــــالَـتْ دَمًـا بـــأبـاطِحٍ ومَـــذَانِـبِ
تـلـك الـــمَـخَـايـلُ أغْـدَقـتْ وَكَّـــــافَةً فَـحَـذارِ مـن زَجَـلِ الـرَّوَاعِـدِ صَـائِـبِ
تـلـك الـسُّـيـولُ تَـغُـولُ مَـنْ تَـسْـطُـو به فَـاطْـلُـبْ أمـانًـا مـن هِـزَبْـرٍ غَـاضِـبِ
خُـلُـجٌ مـــن الـبَـحْـرِ الـطَّـمُـوحِ هَـوَتْ جَيَّـاشَـةً بـزَوَاجِـرٍ وغَـوَارِبِ
يَـومُ الـعُـروبةِ أعْـرَبَتْ فَتَكاتُـه فـي الـكُـفْـرِ عـن فَـتْـحٍ مُـبِـينٍ رَاتِـبِ
وَتَـيَـقَّـنَ الأعْـداءُ أنَّ حِـمَـاهُمُ مِـنْ بـعـد هـذا الـيـومِ نَـهْـبُ الـنَّـاهِـبِ
مـا بَـعْـدَهـا إلا مـقَـادَةُ صَـاغِـرٍ يُـلْـقَـى يَـدًا أو تَـوْبَـةٌ مـن تـائِبِ
مَـنْ لـم تُـبَـصِّـرهُ بَـصِـيـرةُ مُـهْـتَدٍ فَـلْـيَـهْـدِه لـلـرُّشْـدِ عَـقْـلُ تَـجَـارِبِ
الـحـقُّ عـنـد إمَـامِ حَـقٍّ مـُجْـتَـبَـى يَـهْـدِي الأنَـامَ إلـى الـطَّـريـقِ اللاحِـبِ
يَـقْـضِـي فَـيُـمْـضِـي كُـلَّ حَـقٍّ واجِـبٍ إلا إذا أعـطـى فَـفَـوْقَ الـواجِـبِ
يَـغْـنـي ويُـغْـنـي راضِـيًـا أو سَـاطِـيًـا ويـفـي بـبَـذْلِ مَـوَاهِـبٍ ونَـوَائِـبِ
ضَـمِـنَ الإلَـهُ لِـكَـفِّـه ولِـسَـيـفِـهِ رِزْقَ الأنـيـسِ وكُـلِّ وَحْـشٍ سَـاغِـبِ
لـو تَـعْـلَـمُ الـوحْـشُ الـغَـوادِي بـأسَـهُ لـم تَـسْـتَـعِـدّ لـصَـيْـدِهـا بـمَـخَـالِـبِ
تـحـوي نَـدَاهُ الـطَّـيْـرُ فـي وُكـنَـاتِـهـا فـتَـرِنُّ تَـرْجِـيـعًـا بـشُـكْـرٍ دَائِـبِ
عَـرَفَـتْ عَـوَارِفَـهُ فَـتَـشْـكـرُ فَـضْـلَـه وتَـدِيـنُ إعْـظَـامًـا بـحُـكْـمِ الـواجِـبِ
فـتَـمُـرُّ يُـمْـنًـا بـالـرِّضـا لـمُـسَـالِـمٍ وتَـمُـرُّ بَـرْحًـا بـالـرَّدَى لـمُـحَـارِبِ
نُـصِـرَتْ كـتـائِـبُـه بـمَـنْـصُـورِ الـلِّـوَا غَـلَّاب كُـلِّ قَـرِيـعِ جَـيـشٍ غَـالِـبِ
تَـلْـقَـاهُ آسَـادُ الـوَغَـى وكُـمَـاتُـهـا فـكـأنَّـمـا يَـلْـقَـاهُ سِـرْبُ كَـوَاعِـبِ
وأظُـنُّ جَـيـشَ الـلَّـيـل خَـافَ مَـغَـارَهُ عـنـد الـصَّـبَـاحِ فـجَـدَّ عَـزْمَـةَ هَـارِبِ
أمـضـى إلـى الـشَّـرْقِ الـقَـصِـيِّ عـزيـمَـةً نَـالَـتْ قِـيَـادَ أعَـاجِـمٍ وأعَـارِبِ

تَبْدُو بِهَا شَمْسُ النَّهارِ سَقِيمَةً ... تَشْكُو الضَّنى منها بِلَوْنٍ شَاحِبِ

وكأنَّ جُنْحَ اللَّيلِ حَاذَرَ هَوْلَها ... ولذاكَ مَا أبْدَى ذَوَائِبَ شَائِبِ

عَجِبَ الورى من شَامِخٍ سَامِى الذُّرى ... قَلِقِ المطايا مُذْلِجٍ أو سَارِبِ

تدعوه داعِيةُ السَّعادَةِ والعُلا ... فيَخِفُّ منه وَقَارُ طَوْدٍ رَاسِبِ

في اللهِ أعْمَلَها على بُعْدِ المدى ... فَجَزَعْنَ غَوْلَ مَفَاوزٍ وسَبَاسِبِ

إنْ أعْوَزَتْ وِرْدًا بِقَفْرٍ مُمْحِلٍ ... وَرَدَتْ شَمَائِلُ منه غَيْرَ نَوَاضِبِ

أو أخْلَفَتْها مُزْنَةٌ بِتَنُوفَةٍ ... فاضَتْ أنَامِلُه بِقَطْرٍ سَاكِبِ

عِشْ يا أمِيْرَ المُؤمِنين بِغَبْطَةٍ ... ووقَاكَ سَعْدُك كُلَّ خَطْبٍ نَائِبِ

واهْنَأ بِبُشْرى طالَعَتْكَ سُعُودُها ... تَجْلُو ظَلامَ حَنَادِسٍ وَغَيَاهِبِ

التخريج:

المن بالإمامة: ١٤٣-١٤٤

المناسبة:

قالها مهنئا الخليفة عبد المؤمن بالنصر الذي حققه الموحدون في موقعة السبيكة سنة ٥٥٧ه.

المعاني:

لاغب: تعب

الجنائب: جمع جنيبة، وهي الناقة التي يعطيها المرء صاحبه ليجمع له الطعام عليها

الخبائب: جمع خبية، وهي الطريقة من الرمل والسحاب

الأجارع: مفردها أجرع، وهي الأرض ذات الحزونة التي تشاكل الرمل، وقيل الرملة السهلة المستوية

الأخاشب: الأخشب من الجبال هو الخشن الغليظ، وقيل هو الذي لا يُرْتَقَى فيه.

الأباطح: مفردها أبطح، وهي الأرض المنبسطة الفسيحة الأرجاء يسيل فيها الماء تاركا فيها الرمل وصغار الحصى

المذانب: مفردها مذنب، وهو مسيل الماء إلى الأرض

لواغب: من الفعل لغب بمعنى التعب والإعياء

ساغب: جائع

غول: هلاك

السباسب: المفاوز.القفر

التنوفة: الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس

الغيهب: شدة سواد الليل

الحنادس: ثلاث ليال مظلمة

٤

من بحر الكامل

وَضَحَتْ بِأَنْوَارِ الهُدَى قَسَمَاتُه ... وأَبَانَتِ الهَدْيَ القَويمَ سِمَاتُه

مَلِكُ المُلوكِ مُؤَيَّدٌ لَكِنَّه ... غَلَبَتْ عليه من التُّقَى مَلَكَاتُه

دانَتْ له الدُّنيا وكَافَّةُ أهْلِها ... فَعَفَا وَعَفَّ وسامَحَتْ عَطَفَاتُه

أبْدَى لنا بِشَبَابِه وَمَنَابِه ... عَجَبًا وظَاهَرَ حُسْنَه حَسَنَاتُه

فَرْعٌ من الدَّوْحِ الأَلِفِّ تَسَامَقَتْ ... أفْنَانُه وتقَابَلَتْ شَعَبَاتُه

سَامَى وطَاولَ في سَمَاواتِ العُلا ... صَعْدًا وَعَاجِل غَرْسَه ثَمَراتُه

غِرٌّ لَبِيبٌ والعُلُوم لِذَاتُه ... والمَعْلُواتُ كرَائِمًا دايَاتُه

كَثُرتْ فَضائِلُه فَكَاثَرتِ الحَصَى ... عَدًّا وقَدْ قَلَّتْ به سَنَواتُه

وَمَضَتْ ببرقِ غُيُومِه صَفَحاتُه ... وَمَضَتْ مضاءَ صِفَاحِه عَزَماتُه

وأفَادَهُ دَهْرًا مُفِيدًا مُنْعِمًا ... وُصِلَتْ بباهِرِ خَيْرِه خَيْراتُه

نَجْلُ الخَلِيفةِ يُقْتَدى بِرَشَادِه ... وَسَدَادِه وَتَبِينُ فيه سِمَاتُه

وَرَدَ الزُّلالَ العَذْبَ في يَنْبُوعِه ... صَفْوًا مَعِينًا لَمْ تَشُبْه قَذَاتُه

صَفْوًا مَعِينًا لَمْ تَشُبْه قَذَاتُه ... وهُنَاك شُيِّدَ بالهُدَى حُجُراتُه

ولَّاه مَرْتَبَةَ الفَخَارِ وُلاتُه ... وبَنَى له المَجْدَ الطَّمُوحَ بُنَاتُه

وَتَقَيَّلَ الخُلْقَ الرَّضِيَّ فأُنْجِحَتْ ... أضْحَاؤه وَتَيَسَّرَتْ طَلَباتُه

صَبٌّ يُوَكَّلُ بالوغى أو بالنَّدى ... لا تُرْتَجى من وَجْدِه مَسْلاتُه

أَلِفَ الْحُرُوبَ فلم يُخِلَّ بعَهْدِها ... والخِلُّ لا تُنْسى له حُرُمَاتُه

وإذا تَذَكَّرها أجَدَّ نِزَاعُه ... وحَنِينُه وتَوَاصَلَتْ ذِكْرَاتُه

يُلْهِيه رَوْضٌ والقَنَا دَوْحَاتُه ... والْبِيضُ زَهْرٌ والدِّمَا شُقُرَاتُه

والسَّابِغَاتُ مَوَارِدٌ يَشْفِي بها ... حَرَّ الصَّدى وظِلالُهُ رَايَاتُه

فـي حـيـث صَـــوْتُ الـــمَـشْـرَفِـيِّ مُـرجَّـعٌ ... يَـشْـدُو فـتُـطْـرِبُ فـي الـطَّـلـى نَـغَـمَـاتُـه

ويَـــهُـــبُّ مـن ريـــحِ الـــجلادِ نَـسِـيـمُـهـا ... فَتَـشُـوبُـه وَتَـــهـــدُّه هَـبَّـاتُـه

تَـحْـنُـو عـلـيـه الـحـربُ إذ كـان ابْـنَـهـا ... رَبَّـتُـه مـــن حَـمْـسِ الـوغـى رَبَّـاتُـه

فـتَـقِـيـه بَـــادِرَةَ الـغـوائـلِ والـــرَّدى ... وتُـطِـيـحُ بـالـمـوتِ الـــزُّؤامِ عِـدَاتُـه

يـاخَـيْـرَ مـن مَـلَـكَ الـــورى وَدَعَـــاهُـــمُ ... لـلـه فَـابْـتَـدَرَتْ لـه دَعَـواتُـه

جُـوزِيـتَ بـالـحُـسْـنَـى إذا مـا مُـحْـسِـنٌ ... فـــي فـعـلـه جُـزِيـتْ لـه فَـعَلاتُـه

مَـنْ يُـصْـفِ حُـبَّـك أُسْـعِـدَتْ أحْـوَالُـه ... وَمَـآلُـــه وَتُـقُـبِّـلَـتْ قُـرُبـاتُه

مَـنْ يَـقْـتَـدِي بـك يَـهْـتَـدِي أو مـن يَـرُمْ ... سُـبُـلَ الـنَّـــجَـــاةِ فـأنْـتُـمُ مَـنْـجَـاتُـه

وتـــهَـنَّـأ الـبُـشْـرى بـــأوْبَـــةِ سَـيِّـدٍ ... قُـــرِنَـــتْ بـأجْـزَلِ نَـعْـمَـةٍ أوْبَـاتُـه

نَـجْـلُ الْـهُـدى وأخـــوك عَـــزَّت نِـسْـبَـةً ... والـــمَـجْـدُ تَـقْـصُـرُ دُونـهـا غَـايَـاتُـه

فـي الـلـه أعْـمَـلَ سَـعْـيَـهَ فَـحَـوتْ لـه ... جَـمْـــعُ الـفَـضـائـلِ والـــعُلا مَـسْـعَـاتُـه

سَـيـفٌ بِـكَـفِّـك مُـصْـلَـتٌ تَـسْـطُـو بـه ... مَـــاضِـي الـشَّـبـا لاتُـتَّـقَـى نَـثَـواتُـــه

نَـــدْبٌ أشَـــمُّ الأنْـــفِ إنْ سُـئِـل الـذي ... لايَـرْتَـضِـي ثَـــارَتْ لـه أنَـفَـــاتُـــه

سَـهْـلُ الـجَـوانِـبِ راضِـيًـا ومُـوالِـيـا ... وإذا تَـنَـكَّـر أحْـزَنَـتْ جَـنَـبـاتُـه

سَـــاسَ الأنـــامَ فـأُمِّـلَـتْ نَـعْـمـاوُه ... ونـوالُـــهُ وتـُخُـوِّفَـــتْ نَـقَـمَـاتُـه

يَـرْعَـى بَـجَـفْـنِ كَلاءَةٍ وحِـمَـايَـةٍ ... مَـوْصُـولـةٌ فـي رَعْـيِـه يَـقَـظاتُه

أنْـتُـم لأهـلِ الأرْضِ أوْثَـقُ عِـصْـمَـةٍ ... وبـأمْـرِكِـمْ عُـطِـفَـتْ عـلـيـه حَـيَـاتُـه

لازِلْـــتُـــمُ لـلـمَـكْـرُمَـاتِ ولِلْـعُلا ... شَـــمْلاً ولايَـقْـضِـي عـلـيـه شَـتَـاتُـه

واسْـتَـقْـبِـلـوا فـي الـدَّهْـرِ عُـمْـرًا بَـاقِـيًـا ... مـا واصَـلَـتْ غَـدَواتُـــه رَوْحَـاتُـــه

التخريج:

المن بالإمامة: ١٨٨-١٨٩

البيان المغرب :٣/١٨٢-١٨٣: الأبيات ١-٤، ٨-١٣، ١٥، ٢٥-٢٨، ٣٠- ٣١، ٣٧-٣٩

الروايات:

البيت ٤: في البيان المغرب: بسنائه وهنائه بدلا عن بشبابه ومنابه

البيت ٨: في البيان المغرب: سقواته بدلا عن

سنواته

البيت ١٠: في البيان المغرب: بعيدا بدلا عن مفيدا

البيت ١٥: في البيان المغرب: فأينعت بدلا عن فأنجحت

البيت ٢٨: في رواية البيان المغرب: من يقتدي بسناك يُهْدَ ومن يرم

المناسبة:

قالها مهنئا الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمقدم أخويه أبي حفص وأبي سعيد إلى مراكش من جبل طارق

المعاني:

الإلف: الكثير

داياته: القابلة أو المرضع

القذى: ما يقع فيعكر الصفو

تقيل: نزع إلى أبيه في الشبه والعمل

السابغات: الدروع

عداته: أعداؤه

نثواته: النثوة حد السيف

٥

من بحر الكامل

عَـهْـدٌ أنـارَ بـه الـهُـدَى والـدِّيـن ... الـبَـرُّ الـتَّـقِـيُّ الـطَّـاهِـرُ الـمَـيـمُـونُ

واسْـتُـظْـهِـر الـتَّـأيـيـدُ والـتَّـمْـكِـيـنُ ... بُـشْـرَى الـخِلافـةِ إذْ تَـقَـلَّـدَ عَـهْـدَهـا

نَـجْـلُ الإمـامِ وَنَـشْـأةُ الـخُـلُـقِ الـرِّضَـى ... يـبـدو عـلـيـه هَـدْيُـه ويَـبِـيـنُ

الـنَّـاصِـرُ الـمَـنْـصُـورُ أوضَـحَ نَـهْـجَـهُ ... فـي الـصَّـالـحـاتِ فَـنَـجْـحُـه مَـضْـمـونُ

يُـنْـمَـى إلـيـه ولادَةً وسِـيَـادةً ... وكـذاك تـنـمِـي للأُصُـولِ غُـصُـونُ

بـالـمَـنْـبَـتِ الـزَّاكـي تـأصَّـلَ واعْـتَـلى ... وسـقـاه صَـوْبَ الْـفَـضْـلِ وهـو هَـتُـونُ

ريَّـانُ مـن ذاك الـنَّـعِـيمِ هَـنَـا لـه ... وصَـفَـا لـه الـيَـنْـبُـوعُ وهـو مَـعِـيـنُ

رَضَـعَ الـخِلافَـةَ نَـاشِـئًـا فـي حجرها ... وَغَـذَتْـه حَـامِـلَـةُ الـرَّضـاع لَـبُـونُ

وَحَـنَـتْ إلـيـه حَـانِـيَـاتٌ للـعُـلا ... بِـمَـكـانِـه مـنْ عُـلْـوهنَّ مَـكِـيـنُ

ضَـمِـنَ الـسِّـيـادَةَ فـي الـطُّـفُـولـةِ وازْدَهَـتْ ... بـسُـعُـودِه الأيَّـامُ وهـو جَـنِـيـنُ

عِـزٌّ رَبِـيـبٌ والـعُـلُـومُ لِـذَاتِـه ... والـمَـشْـرَفِـيُّ أخٌ لـه وخَـدِيـن

تَـرَكَ الـمِـهَـادَ لِـسَـرْجِ أجْـرَدَ سَـابِـحٍ ... وَصَـفَـا عـلـيـه سَـرْدُه الـمَـوضُـونُ

شِبْلٌ غَذَتْه لُحُومُ آسَادِ الوَغَى ... فِي حَيْثُ مُلْتَفُّ الوَشِيجِ عَرِينُ

وكأنَّما الهَيْجَاءُ أمٌّ بَرَّةٌ ... تَحْنُو عليه بِرِفْقِه وتَلِين

يا سَيِّدًا أعطى السِّيادَةَ حَقَّها ... واخْتَصَّه التَّرْجِيحُ والتَّبْيِين

شَهِدَتْ بِفَضْلِك صَادِقَاتُ وَقَائعٍ ... لم تَلْتَبِسْ بشُهُودِهنَّ ظَنِينُ

وتَحَدَّثَتْ بِيضُ الصَّوارِم في الطُّلى ... بحديث مَجْدِك والحَدِيثُ شُجُونُ

لله دَرُّكَ والفَوارِسُ تَدَّعِي ... والحربُ خاسِرةُ المَتَاعِ زَبُونُ

واليومَ يَظْلُمُ للعُيونِ قِتَامُه ... فتُثِيرُه لك غُرَّةٌ وجَبِينُ

في مَأْزِقٍ ضَنِكٍ تَزِلُّ كُمَاتُه ... وَمَقَامُكُم صِدْقٌ هناك رَصِينُ

ولَرُبَّ صَوَّالِ الزَّئِيرِ حَطَمْتَه ... فغدا له بعد الزَّئِيرِ أنِينُ

هي بَيْعَةٌ رَضِيَ الإلهُ مَقَامَها ... وأُتِيحَ فيها اليُمْنُ والتَّأمِين

أُمْنِيَّةٌ للأولِياءِ كَرِيمَةٌ ... وعلى العُدَاةِ الأشقياءِ مَنُونُ

مُلِئَتْ عُيونُ الدِّينِ منها قُرَّةً ... وارْتَدَّ طَرْفُ الكُفْرِ وهو سَخِينُ

حَسَدَتْ لنا زُهْرُ النُّجومِ سُعُودَها ... فَتُقِيمُ خِدْمَةَ أمْرِها وتَدِينُ

أخَذَ السِّماكَ لها بأُهْبَةِ حَازِمٍ ... فَسِنَانُهُ مُتَأَلِّقٌ مَسْنُونُ

وسَرَتْ إلى الأرْمَاحِ بُشْرَى سَعْدِها ... فَهَفَتْ مَعَاطِفُ لَدْنَةٌ ومُتُونُ

وَجَلَتْ وُجُوهَ البِيضِ فَاعْتَقَدَتْ لها ... حُسْنَ الجَلاءِ صَيَاقِلُ وقُيُونُ

حَنَّتْ مُطَهْمَةُ الجِيادِ ليومها ... فَصَهِيلُها شَوْقٌ لها وَحَنِينُ

وَحَنَتْ مُوَطَّرَةُ القِسِيِّ سِيَاتِها ... وعلا لها إثْرَ الرِّماءِ رَنِينُ

شُكْرًا لمَوْلانا الخَلِيفَةِ إنَّه ... بِمَقَامِه الأرْضَى يُحاطُ الدِّيْنُ

ولَّى الأمَانَةَ أهْلَها وسَمَا لها ... بِغِنائِه رَحْبُ الذِّراعِ أمِينُ

لم يَعْدُه الرَّأيُ السَّدِيدُ وَهَدْيُه ... بجَمِيعِ أحْوالِ الصَّلاحِ ضَمِينُ

خِدْنُ التُّقَى وسَلِيلُ أنْوَارِ الهُدى ... أدَّتْه عن خَيْرِ الظُّهُورِ بُطُونِ

حازَ العُلا فكَمَالُه وَخِلالُهُ ... تُتْلَى لهنَّ مُعَاذَةً ياسِينُ

إسْـعَـدْ وَلِـيَّ الْـعَـهْـدِ واصْـعَـدْ سَـامِـيًـا ... والـلـهُ رَبُّـكَ نَـاصِـرٌ ومُـعِـيـنُ

واسْـتَـخْـلِـصِ الـعِـلْـقَ الـثَّـمِـينَ فـأنْـتُـمُ ... عِـلْـقٌ نَـفِـيـسٌ لـلـعُلاءِ ثَـمِـيـنُ

وتـهـنَّـأوا الـحَـظَّ الـجَـسِـيـمَ فَـفَـضْـلُـكُـم ... بـوفُـورِ خَـيْـرَاتِ الإلـه قَـمِـينُ

الأمْـرُ أمْـرُ الـلـه وهـو مُـوَيِّـدٌ ... الأمْـرُ أمْـرُ الـلـه وهـو مُـوَيِّـدٌ

يَـرْعَـاك مَـنْ يُـرْعِـيـك عَـهْـدَ عِـبَـادةٍ ... ويَـقُـولُ للأشْـيَـاءِ كُـنْ فَـتَـكُـونُ

التخريج:

المن بالإمامة: ١٧١ ـ ١٧٣

المناسبة:

قالها في تهنئة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمبايعته بعد وفاة أبيه عبد المؤمن بن علي وخلع ولي العهد أخيه محمد سنة ٥٦٠هـ

المعاني:

السرد: الدرع

الموضون: المحكم النسج

السماك: هناك نجمان يعرفان بالسماك، وهما الأعزل والرامح، والذي يقصده الشاعر هنا السماك الرامح، والعرب سمته رامحا لأنها شبهت الكوكب السادس عشر الذي على فخذه والعشرين الذي على ساقه اليسرى برمح له.

صياقل: جمع صيقل، وهو من يجلو السيف

قيون: جمع قين وهو الحداد

مطهمة الجياد: جواد مطهم مكتمل متناه في الرشاقة

سياتها: سية القوس: ما عطف من طرفيها. والجمع سيات

(١) انظر في أخباره وأشعاره: المن بالإمامة، لابن صاحب الصلاة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧: الصفحات ١٤٣-١٤٦، ١٧١- ١٧٣، ١٨٨. تحفة القادم، لابن الأبار، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ ،١٩٨٦: ٦٥-٦٦. المقتضب من كتاب تحفة القادم، لابن الأبار، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٣، ١٩٨٩: ١٠١. الوافي بالوفيات، للصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠: ١٠٨/٩(وهو ينقل ما قاله ابن الأبار في تحفة القادم بحذافيره). البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، لابن عذاري، تح: بشار عواد ومحمود بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١ ،٢٠١٣: ٣/ ١٣٥، ١٨٢- ١٨٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة عيسى الحلبي ط ١، ١٩٦٥: ٢٠٢/١. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن إبراهيم السملالي، تح عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٨: ٤/ ١٠٨،"وهو ينقل ما قاله السيوطي بحذافيره".

(٢) أسماه ابن عذاري في البيان المغرب (إسماعيل بن محمد) والسيوطي في بغية الوعاة (محمد بن عمر)، أما البقية الباقية فأسمته -وهو المختار لدينا- إسماعيل بن عمر، ولعلنا لا نحتاج لدليل

قطعي أكثر من تسمية ابن صاحب الصلاة له، فهو من رآه بأم عيني رأسه، واستشهد شعره، بل كان حاضرا لكل المواقف التي قال فيها شعره

(٣) أسماه صاحب المقتضب: ابن الشواش (انظر كتابه:١٠١)، أما صاحب بغية الوعاة فنعته بالشواشي: البغية :١/ ٢٠٢

(٤) هكذا ضبطه ابن الأبار: انظر تحفة القادم :٦٥

(٥) شِلْبُ: مدينة بغرب الأندلس، وهي قاعدة كورة أكشوبنة وهي بقبلي باجة، لها بسائط فسيحة وبطائح عريضة، ولها جبل منيف كثير المسارح والمياه، وهي حسنة الهيئة بديعة البناء، مرتبة الأسواق، وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيره وكلامهم بالعربية الصريحة، وهم فصحاء يقولون الشعر، بل قَلَّ أن ترى من أهلها من لا يقول شعرا ولا يعاني أدبا، ولو مررت بالفلاح خلف فدانه وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه، وأي معنى طلبته منه. وهم نبلاء خاصتهم وعامتهم، وأهل بوادي هذه البلدة في غاية الكرم لا يجاريهم فيه أحد" انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤: ٣٤٢. تقويم البلدان، لأبي الفداء صاحب حماة، اعتنى بتصحيحه: البارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م: ١٩٧، معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، د.ت.ط:٣٥٧/٣

(٦) بغية الوعاة: ٢٠٢/١

(٧) السابق نفسه، الصفحة نفسها

(٨) السابق نفسه، الصفحة نفسها

(٩) المن بالإمامة: ٨٤

(١٠) تحفة القادم :٦٦

(١١) البيان المغرب: ١٣٥/٣

(١٢) نعني قوله:

تَرَامَتْ بي إليك نَوًى نَدُوفٌ

ورأيي في اعْتِمَادِكُم مُصِيبُ

وما لـي أنْ يُقَالَ قَصِيُّ دارٍ

نـأى عنـهَا وَعُرْبِـيٌّ غَـرِيبُ

فَاعْتَبَ خَائِفًا مِمَّا جَنَاه

وَأَقْسَم أَنَّهُ منها يَـتُوبُ

فَعَفْوًا أَيُّها المولى وَصَفْحًا

فكَمْ جَـانٍ وَمُـجْتَـرِمٍ يُنِيبُ

(١٣) تحفة القادم :٦٦

(١٤) المن بالإمامة: ١٨٧، البيان المغرب: ١٨١/٣

(١٥) بغية الوعاة :٢٠٢/١

(١٦) السابق نفسه: الصفحة نفسها

(١٧) انظر تحفة القادم :٦٥

(١٨) كنتُ قد جمعتُ شعر ابن المنخل الشلبي ودرسته دراسة فنية، وهو مقبول للنشر بمحلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد بدبي.

(١٩) كان د. علي الغريب الشناوي أول من اهتم بجمع شعر ابن حربون ودراسته، انظر بحثه: شعر أبي عمر بن حربون الشلبي (جمع وتوثيق ودراسة)، مجلة جامعة المنصورة، كلية الآداب، العدد (٢٠) يناير١٩٩٧، وجاء بعده د. عبد الله بن ثقفان فنشره تحت عنوان: من شعراء الأدب التاريخي "ابن حربون" في أربعة أعداد متتالية بمجلة دراسات أندلسية، الأعداد (من ٢٧حتى ٣٠) بين سنتي ٢٠٠٢- ٢٠٠٣م

(٢٠) انظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨: ١٤٢

(٢١) نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تح كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٧٩: ٦٦

(٢٢) (٢٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، د.ت: ١٧٠

(٢٣) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي سعد

عيسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طبعة ١٩٧٩: ٩١

(٢٤) النص: ١

(٢٥) النص:٥

(٢٦) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين :٩٣

(٢٧) النص:٣

(٢٨) النص: ٥

(٢٩) النص:٢

(٣٠) السابق نفسه

(٣١) النص:١

(٣٢) السابق نفسه

(٣٣) النص:٤

(٣٤) السابق نفسه

(٣٥) النص:٢

(٣٦) النص:٤

(٣٧) السابق نفسه

(٣٨) النص:١

(٣٩) النص:٢

(٤٠) النص:٤

(٤١) النص:٣

(٤٢) شعر الجهاد في عصر الموحدين، شفيق محمد الرقب، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٤: ١٠٢

(٤٣) النص: ٢

(٤٤) النص:٥

(٤٥) السابق نفسه

(٤٦) النص: ٣

(٤٧) النص:٥

(٤٨) النص:٢

(٤٩) مقدمات نقدية في دراسة القصيدة القديمة، عبد الله التطاوي، دار الثقافة، ط١ ،١٩٩١: ١٧٨

(٥٠) النص:٢

(٥١) النص: ٥

(٥٢) منهاج البلغاء :١٦٩

(٥٣) النص:٥

(٥٤) النص:٤

(٥٥) النص:٣

(٥٦) النص:٤

(٥٧) شعر الجهاد في عصر الموحدين:١٧٢

(٥٨) النص: ٢

(٥٩) النص:٥

(٦٠) النص:٤

(٦١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ١٤٢

(٦٢) السابق نفسه: ١٦٧

(٦٣) النص:٤

(٦٤) سورة التوبة، آية"١٠٩"

(٦٥) النص:٥

(٦٦) سورة يس، آية "٨٢"

(٦٧) النص: ٣

(٦٨) النص:٢

(٦٩) النص:٥

(٧٠) السابق نفسه

(٧١) سورة النساء، آية" ٥٧"

(٧٢) ديوان لقيط بن يعمر الإيادي، تح خليل إبراهيم العطية، وزارة الإعلام، مطبعة الجمهورية، بغداد ،١٩٧٠: ٤٦

(٧٣) النص:٢

(٧٤) صحيح مسلم:٢٢٠٤

(٧٥) النص:١

(٧٦) مجمع الأمثال للميداني، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.:٢٥٨/١

(٧٧) النص:٥

(٧٨) النص:٣

(٧٩) ديـوان المتنبي، ط المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت:٣٨٥

(٨٠) شعر الجهاد في عصر الموحدين:٢٧٢

(٨١) النص:٣

(٨٢) ديـوان البحتري، تـح: حسن الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٢٦ :١٥٩/١-١٦٠

(٨٣) النص:٤

(٨٤) النص:٥

(٨٥) النص:١

(٨٦) النص:٢

(٨٧) النص:٥

(٨٨) النص:٤

(٨٩) النص:٢

(٩٠) النص:٤

(٩١) النص:٣

(٩٢) السابق نفسه

(٩٣) النص:٤

(٩٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تـح: كامل محمد عويض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨ :٣٢/٢

(٩٥) النص: ٥

(٩٦) النص:٤

(٩٧) النص:٣

(٩٨) دلالات التركيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧: ٢٨٤

(٩٩) النص:٥

(١٠٠) قصيدة المديح في الأندلس عصر الطوائف:٣٢٨

(١٠١) النص:٤

(١٠٢) النص:٣

(١٠٣) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،١٩٧٩: ٩٩

(١٠٤) النص:٤

(١٠٥) تحولات الشعرية في الأندلس، رشا غانم، دار النابغة، طنطا، ط ١، ٢٠٢١: ٤١٧

(١٠٦) النص:٤

(١٠٧) المعجم الذهبي (فـارسـي عـربـي)، محمد التونجي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٦٩: ٢٥٧

(١٠٨) النص:٢

(١٠٩) النص:٤

(١١٠) النص:٢

(١١١) السابق نفسه

(١١٢) النص:٤

(١١٣) النص:٢

(١١٤) النص:٣

(١١٥) النص:١

(١١٦) علم البديع، بسيوني عبد الفتاح، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٨٧ :٢٩/٢

(١١٧) النص: ٣

(١١٨) النص:٤

(١١٩) النص:٥

(١٢٠) النص:٣

(١٢١) النص:٣

(١٢٢) النص:١

(١٢٣) النص:٤

(١٢٤) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢٠٠٣ :٢٦٣

(١٢٥) النص:٢

(١٢٦) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٩٤

(١٢٧) النص:٤

(١٢٨) النص:٣

(١٢٩) النص:٥

(١٣٠) السابق نفسه

(١٣١) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تح: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١٩٩٨: ٣٨٥

(١٣٢) علم البديع: ١٨٠/٢

(١٣٣) شعر الجهاد في عصر الموحدين: ٢٨١

(١٣٤) النص:٣

(١٣٥) النص:٤

(١٣٦) النص:٥

(١٣٧) نقد الشعر:٥١

(١٣٨) النص:٤

(١٣٩) النص:٥

(١٤٠) النص:٤

(١٤١) السابق نفسه

(١٤٢) السابق نفسه

(١٤٣) النص: ٢

(١٤٤) فن الجناس، علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت: ٢٩

(١٤٥) النص:٤

(١٤٦) النص:٣

(١٤٧) النص:١

(١٤٨) السابق نفسه

(١٤٩) النص :٣

(١٥٠) النص:١

(١٥١) النص:٤

(١٥٢) النص:١

(١٥٣) النص:٣

(١٥٤) النص:٤

(١٥٥) الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، مدحت الجيار، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٤: ٣٥

(١٥٦) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٣: ٢٥

(١٥٧) النص:٢

(١٥٨) النص:٣

(١٥٩) السابق نفسه

(١٦٠) شعر الجهاد في عصر الموحدين: ٢٥١

(١٦١) النص:٤

(١٦٢) أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، علق عليه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط ١٩٧٨: ١٠٩

(١٦٣) النص:٣

(١٦٤) أسرار البلاغة:٣٣

(١٦٥) النص:٣

(١٦٦) النص:٥

(١٦٧) السابق نفسه

(١٦٨) السابق نفسه

(١٦٩) النص:٣

(١٧٠) النص:٣

(١٧١) سورة الصافات، آية"٩"

(١٧٢) النص:٣

(١٧٣) النص:٥

(١٧٤) السابق نفسه

(١٧٥) السابق نفسه

(١٧٦) السابق نفسه

(١٧٧) السابق نفسه

(١٧٨) النص:٣

(١٧٩) النص:١

(١٨٠) النص:٥

(١٨١) التص:٤

(١٨٢) النص:٣

(١٨٣) النص:٢

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط ١٩٧٨
- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢ ،٧٣١٩
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن إبراهيم السملالي، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢ ،١٩٩٨
- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢٠٠٣.
- البديع تأصيل وتجديد، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط ١٩٨٦
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة عيسى الحلبي ط ١، ١٩٦٥
- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، لابن عذاري، تح: بشار عواد ومحمود بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١ ،٢٠١٣
- تحفة القادم، لابن الأبار، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ ،١٩٨٦
- تحولات الشعرية في الأندلس، رشا غانم، دار النابغة، طنطا، ط ١، ٢٠٢١
- تقويم البلدان، لأبي الفداء صاحب حماة، اعتنى بتصحيحه: البارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م
- دلالات التركيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧
- ديوان البحتري، تح: حسن الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٢٦.
- ديوان المتنبي، ط المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت
- ديوان لقيط بن يعمر الإيادي، تح: خليل إبراهيم العطية، وزارة الإعلام، مطبعة الجمهورية، بغداد ،١٩٧٠
- الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤
- شعر أبي عمر بن حربون الشلبي (جمع وتوثيق ودراسة)، مجلة جامعة المنصورة، كلية الآداب، العدد٢٠، يناير١٩٩٧
- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طبعة ١٩٧٩
- شعر الجهاد في عصر الموحدين، شفيق محمد الرقب، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٤
- الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، مدحت الجيار، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٤
- علم البديع، بسيوني عبد الفتاح، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٨٧
- فن الجناس، علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- قصيدة المديح في عصر الطوائف، أشرف محمود نجا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط ١٩٩٧
- كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تح: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١٩٩٨
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،١٩٧٩

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تح: كامل محمد عويض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨
- مجمع الأمثال للميداني، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، د.ت.
- المعجم الذهبي (فارسي عربي)، محمد التونجي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٦٩
- المقتضب من كتاب تحفة القادم، لابن الأبار، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٣، ١٩٨٩.
- مقدمات نقدية في دراسة القصيدة القديمة، عبد الله التطاوي، دار الثقافة، ط١ ،١٩٩١
- المن بالإمامة، لابن صاحب الصلاة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، د.ت.
- نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٧٩
- الوافي بالوفيات، للصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠

التجّار الأوروبيّون والشرق الأقصى إبّان القرن الرابع عشر الميلادي

د. بيار مكرزل
كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة
الجامعة اللبنانيّة

شهد القرن الرابع عشر الميلادي تحوّلاً مهمًا في خريطة التجارة العالميّة، إذ انطلق التجّار الأوروبيّون نحو الشرق الأقصى بحثًا عن مختلف السلع والمنتجات الشرقيّة وفي طليعتها التوابل والحرير، حاملين معهم الأقمشة والأجواخ المختلفة والجواهر والأشغال الميكانيكيّة، محاولين تجنّب المرور في البلدان التي كانت تخضع لسلطة السلطان المملوكي. فانفتحت أسواق آسيا أمام التجّار الأوروبيّين الذي راحوا يغامرون بالتوغّل نحو العمق الآسيوي البعيد. وشهدت هذه الحركة التجاريّة نشاطًا وازدهارًا لفترة زمنيّة محدودة، ولكن تغيّر الظروف السياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة حال دون استمراريّتها، ما ألزم التجّار الأوروبيّين على العودة إلى ارتياد موانئ السلطنة المملوكيّة في بلاد الشام ومصر، فكانت بداية عصر جديد من التبادل التجاري بين ضفّتي البحر المتوسّط.

فما هي العوامل التي أسهمت في توسيع حدود تجارة أوروبا العالميّة إبّان القرن الرابع عشر الميلادي ودفعت بالتجّار الأوروبيّين للانفتاح على الشرق الأقصى وارتياد أسواق بلدانه البعيدة؟

الطريق إلى بلاد الهند والصين

في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، في معظم البلدان الأوروبيّة وفي بلدان آسيا وإفريقيا المطلّة على البحر المتوسّط، لم تعد التجارة الدوليّة مجرّد مغامرة كما كانت في القرون السابقة، وازدادت حركة البيع واشتدّت المنافسة بين التجّار، وأصبحت هناك حاجة للحدّ من النفقات والتكاليف، والاستغناء عن السماسرة والوسطاء التجاريّين، واختيار وسائل النقل والتقنيّات التجاريّة الأكثر فعاليّة. في هذه الحقبة، كانت إيطاليا مركز التجارة الأوروبيّة، وصار التجّار الإيطاليّون يسافرون بحرًا إلى إنكلترا وبلاد الفلاندر حاملين معهم بضائعهم، كما أنّهم

زادوا نشاطهم التجاري في البحر الأسود. ولم تتطوّر التجارة في باقي البلدان الأوروبيّة على غرار إيطاليا، ولكنّ هذه البلدان وجدت نفسها مضطرّةً أن تشارك في الحركة التجاريّة التي كانت تشهد توسّعًا.

لم يسمح المسلمون للتجّار الأوروبيّين بالوصول إلى المحيط الهندي، وحتّى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي لم يصل أي تاجر بندقي أو جنوى إلى بلدان الشرق الأقصى[1]. وكانت السلطنة المملوكيّة تتحكّم بثلاث طرق للنقل والتبادل التجاري بين أوروبا وآسيا. ينطلق الطريق الأوّل من دلتا النيل (الإسكندريّة، دمياط، السويس) وينقسم بعدها إلى ثلاثة طرق:

١- الطريق الأوّل باتّجاه شمال بحر الأحمر، وهو الطريق البرّي لشبه جزيرة سيناء نحو مدينتي جدّة ومكّة، واليمن وصولاً إلى عدن.

٢- الطريق الثاني، هو الطريق البحري عبر البحر الأحمر نحو المحيط الهندي.

٣- الطريق الثالث، هو الطريق عبر نهر النيل من الدلتا إلى مصر العليا، يمرّ بعد ذلك في الصحراء باتّجاه البحر الأحمر وصولاً إلى ميناء عيذاب، ومن هناك يتابع ليتصّل بالطريق الثاني، أي في البحر الأحمر نحو المحيط الهندي.

أمّا الطريق الثاني، فتشكّل الموانئ الواقعة إلى الساحل الجنوبي لبلاد الشام نقاط الانطلاق. هذه الموانئ هي بيروت، وعكّا، ويافا. فبعد اجتياز المناطق الجبليّة التي تلي الساحل، يمكن الوصول إلى المناطق الداخليّة لبلاد الشام والالتقاء بالطريق الممتدّ بين دمشق ومكّة، وبالطريق المؤدّي إلى طور سيناء على البحر الأحمر. يمرّ هذا الطريق عبر مناطق شاسعة غير مأهولة بين شبه الجزيرة العربيّة وبلاد الشام، ولهذا الطريق دورًا مكمّلاً للطريق التجاري الرئيسي الذي يمرّ عبر مصر وصولاً إلى الإسكندرية.

ويمرّ الطريق الثالث بحلب ويصل إلى مينائي اللاذقيّة وطرابلس. ومن حلب، تنطلق عدّة طرقات باتّجاه الشمال الشرقي (كردستان، الأناضول الشرقي، أرمينيا) والشرق (شمال العراق، الموصل، أذربيجان) والجنوب الشرقي (الفرات – بغداد)، ومن بغداد تنطلق القوافل باتّجاه الشمال الشرقي نحو فارس أو باتّجاه الجنوب الشرقي وصولاً إلى البصرة على الخليج العربي.

بالإضافة إلى هذه الطرق الثلاثة، يوجد طريق رابع يؤمّن التبادل التجاري بين آسيا وأوروبا ولكنّه لا يمرّ عبر أراضي السلطنة المملوكيّة. يمرّ هذا الطريق عند الحدود الشماليّة للسلطنة المملوكيّة عبر مضائق القسطنطينيّة (البوسفور والدردانيل) في البحر الأسود وصولاً إلى مدن كافا، وسولدايا، وطرابزون، ويتابع حتّى يصل إلى مدينة تانا على ضفاف بحر أزوف. ويكمل هذا الطريق اتّجاهه نحو الشمال أو نحو الشرق عبر طرقات بريّة في شمال أو جنوب القوقاز وبحر قزوين باتّجاه آسيا الوسطى أو بلاد فارس وأفغانستان وصولاً إلى الصين[2].

التجّار الأوروبيّون والشرق الأقصى

لم يخطر ببال الأوروبيّين إيجاد طريق عبر مضيق جبل طارق والاستدارة حول إفريقيا للوصول إلى المحيط الهندي، وبعد ذلك، إلى بلدان الشرق الأقصى. فالخرائط التي كانت

متوفّرة في تلك الحقبة تضمّنت أخطاء جغرافيّة كثيرة: فوفقًا لخريطة الإدريسي، فإنّ الساحل الإفريقي يمتدّ على مساحات شاسعة ما جعل أي مشروع لاكتشافه غير معقول. ومن جهة الشرق، كان وضع الفرنج على ساحل الحوض الشرقي للبحر المتوسّط حرجًا لا يسمح لهم بالتوسّع نحو الداخل باتّجاه بلاد فارس، أو نحو مصر والجزيرة العربيّة. ولم يكن أمامهم إلّا الالتفاف حول البلاد الإسلاميّة من جهة الشمال عبر أرمينيا، والقرم، والقوقاز، ثمّ آسيا الوسطى وصولاً إلى الشرق الأقصى[٣]. في هذا الاتّجاه سينطلق عام (١٢٥٤م) تاجران شقيقان من مدينة البندقيّة هما نيقولو وماتيو بولو (Niccolò, Matteo Polo) ومعهما كميّة من الأحجار الكريمة للإتّجار بها. انطلقا من البندقيّة إلى القسطنطينيّة، ثمّ أرمينيا، وتابعا سفرهما برًّا من دون عوائق ووصلا إلى قرمانيا (مقاطعة كرمان في إيران حاليًا) ثمّ مخيّم التتر على نهر الفولغا Volga حيث باعا الأحجار الكريمة التي بحوزتهما للخان المغولي بركة.

مكث نيقولو وماتيو بولو سنة في مخيّم المغول، ولكن بسبب الحرب التي اندلعت بين الخان بركة وهولاغو[٤]، غادرا إلى مدينة بوخارا حيث بقيا لمدّة ثلاث سنوات. انتصر هولاغو على الخان بركة واحتلّ عاصمته بوخارا، وبعد ذلك قاد رجال هولاغو التاجرين البندقيين إلى خان التتر الأكبر قوبيلاي خان (الابن الرابع لجنكيز خان) إمبراطور الصين (١٢٦٠-١٢٩٤م) الذي كان يقيم خلال فصل الصيف في مونغوليا على حدود الإمبراطوريّة الصينيّة. استغرق سفرهما سنة، من بوخارا إلى مقرّ قوبيلاي خان، ولقيا استقبالاً جيّدًا من الإمبراطور الذي طلب منهما معلومات عن أحوال أوروبا وزوّدهما برسائل إلى بابا روما يطلب منه أن يرسل مئة رجل من الحكماء لتبشير الوثنيّين بالمسيحيّة. وطلب من الشقيقين بولو أن يحضرا له زيتًا من الشعلة المقدّسة على قبر المسيح في أورشليم (مدينة القدس) التي لا تنطفئ أبدًا. عام (١٢٦٦م)، غادر الشقيقان بولو عائدين إلى بلادهما ورافقهما أحد رجال بلاط الإمبراطور الذي يُدعى كوغاتال Cogatal. ومرض موفد الإمبراطور في الطريق، فانفصل الشقيقان بولو عنه وتابعا طريقهما الذي استغرق ثلاث سنوات للوصول إلى أياس ميناء مملكة أرمينيا على البحر المتوسّط. ومن أياس أبحرا إلى ميناء عكّا ومن هناك عادا إلى مدينتهما البندقيّة بعد غياب دام خمس عشرة سنة[٥].

سافر الشقيقان ماتيو ونيقولو بولو بصحبة ماركو Marco ابن نيقولو مرّة ثانية إلى بلاط قوبيلاي خان. بقي ماركو بولو في بلاط قوبيلاي خان مدّة سبع عشرة عامًا (١٢٧٤-١٢٩١م)، وبعد ذلك عاد إلى البندقيّة فوصل إليها عام ١٢٩٥م[٦].

كانت المغامرة، والمخاطر من أجل الكسب وتحقيق الربح، موجودة على حدود المناطق الداخليّة لبلدان البحر المتوسّط وكانت هذه الحدود تبتعد أكثر فأكثر مع اتّساع المساحة التجاريّة: فمثلاً خلال القرن العاشر الميلادي، كان التاجر البندقي يعد الطريق بين مدينتي البندقيّة وبافيا Pavia في إيطاليا خطرًا مليئًا بالمفاجآت، وفي القرن الحادي عشر الميلادي أصبح السفر إلى القسطنطينيّة أمرًا عاديًا، وفي القرن الثاني عشر الميلادي كان التجّار الإيطاليّون يقصدون موانئ

ومدن الساحل الشامي والمصري، وخلال القرن الثالث عشر الميلادي أصبح باستطاعة التجّار التوغّل إلى المناطق الأسيويّة الداخليّة حيث كانت الطرق المعبّدة قد وصلت إلى طرابزون وتبريز، وأستراخان، وتانا على ضفاف بحر أزوف (Azov). وبسبب نشاط حركة القوافل على طرقات آسيا الوسطى في الحقبة الواقعة بين القرنين العاشر والثالث عشر للميلاد، تمّ بناء العديد من الخانات على الطريق الفاصل بين مدينة مرو ونهر أمودارياً[٧].

وتُظهر سجلّات مدينة جنوى أنّ الحرير الصيني وصل إلى المدينة بين عامي (١٢٥٧ و١٢٥٩م) وذلك قبل وصوله إلى مدينة البندقيّة، أي قبل سنتين أو أربع سنوات من سفر الأخوة نيقولو وماتيو بولو إلى الصين. ولكن هذا لا يؤكّد أنّ تجّارًا جنويّين سافروا إلى الصين لشراء الحرير بل يمكن أن يكون قد اشتروه من أحد موانئ البحر الأسود أو القرم[٨]. ولكن بعد أن استرجع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن باليولوغوس Michael VIII Palaiologos مدينة القسطنطينيّة من اللاتين عام (١٢٦١م) بمساعدة الجنويّين، أقام الجنويّون محطّات تجاريّة في مدن موانئ البحر الأسود، والقرم، والقوقاز، فسهّل عليهم الاتّصال بالداخل الأسيوي بخاصّةٍ أنّ المغول كانوا يتوسّعون في آسيا الوسطى، ويحاولون إعادة إحياء البلاد التي دمّروها وقتلوا سكّانها، من خلال تنشيط أسواقها وتوفير أمن وحريّة تنقّل وسفر التجّار الذين يقصدونها [٩]. فأصبحت تانا على بحر أزوف، وطرابزون على البحر الأسود، وميناء أياس في مملكة كيليكيا الأرمنيّة، مراكز استقطاب للقوافل القادمة من الصين والهند عبر بلاد فارس. ولعبت مدينة تبريز في تلك الحقبة دورًا تجاريًا مهمًا حيث أصبحت مقصدًا للتجّار الإيطاليّين يشترون منها ما يحتاجونه من البضائع والمنتجات الشرقيّة[١٠].

وهكذا صار باستطاعة التجّار الأوروبيّين، خصوصًا الإيطاليّين، السفر إلى آسيا الوسطى لشراء التوابل والحرير من دون أن يمرّوا في البلاد الخاضعة لسلطة المماليك حيث كانت التجارة مع الشرق الأقصى محصورة بالتجّار المسلمين. ففي عام (١٢٧١م)، وصل تجّار يهود من مدينة أنكونا Ancona الإيطاليّة إلى مدينة زيتون في الصين وذكروا أنّهم شاهدوا تجّارًا أوروبيّين (بنادقة، جنويّون، بيزيّون، أنكونيّون، فرنسيّون) يعيشون في أحياء خاصّة بهم ولهم مخازن لبضائعهم[١١]. وفي تلك الحقبة، بين أواخر القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر الميلاديين، وبسبب العلاقات الجيّدة التي قامت بين الجنويّين وأرغون خان بلاد فارس (١٢٨٤-١٢٩١م)، أبحر جنويّون بمراكبهم في المحيط الهندي. وعام (١٢٩٠م)، عمل ٩٠٠ جنوي في خدمة الخان[١٢]. فازدادت أسفار التجّار الأوروبيّين إلى الشرق الأقصى، وذكر مارينو سانوتو تورسللو Marino Sanuto Torsello الذي وضع كتابًا عام (١٣٢١م)، أنّ العديد من التجّار الأوروبيّين وصلوا إلى الهند عبر البرّ بعد أنّ مرّوا ببلاد فارس وآسيا الوسطى[١٣].

وحوالى عام (١٣٣٠م)، ذكر التاجر الفلورنسي فرنشيسكو دي بالدوتشي بيغولوتي Francesco di Balducci Pegolotti في كتيّبه التجاري-المصرفي الذي يتضمّن معلومات عن التجارة، والأسواق، وأنواع السلع والبضائع،

والأسعار، والأوزان والمكاييل، والعملات المتداولة، أنّه كان باستطاعة التاجر أن يسلك كلّ آسيا، وأعطى وصفًا للمحطّات التجاريّة على الطريق الذي ينطلق من تانا إلى بكين، عبر تركستان ومونغوليا، والذي كان طريقًا آمنًا في النهار كما في الليل[١٤].

لا شكّ أنّ بيغولوتي يبالغ في حديثه عن الطريق التجاري الذي يمرّ في آسيا، فحتّى في الحقبة التي كان المغول يسيطرون فيها على ثلثي آسيا، الحقبة التي أُطلِقَ عليها اسم "السلام المغولي»(Pax Mongolica)، كان السفر من أوروبا إلى الصين يتطلّب الكثير من العناء: ثمانية إلى أحد عشر شهرًا يستغرق الطريق الذي ينطلق من تانا، بالكاد أقلّ من ذلك عبر الطريق الوعر الذي يمرّ ببلاد فارس، وحوالى سنتين عبر الطريق الأقل كلفة في البحر عبر المحيط الهندي. وبيغولوتي نفسه في مقطع آخر من حديثه عن الطريق بين تانا والصين يقول إنّه كان على التجّار أن يقطعوا السهوب، والجبال الشاهقة، وكانوا معرّضين أن يفقدوا أموالهم في البلاد الغريبة، أو أن يُصابوا بالمرض ويموتوا فتحتجز السلطات المحليّة أموالهم وبضائعهم، كما أنّهم أثناء سفرهم كانوا عرضةً لاعتداءات اللصوص وقطّاعين الطرق[١٥].

يُضاف إلى ذلك، أنّه كانت تنشب خلافات بين التجّار من الجنسيّات المختلفة، بخاصّةٍ بين البنادقة والجنويّين بسبب المنافسة الكبيرة بينهم، وبين التجّار والسكّان التتار. فمثلاً عام (١٣٤٠م)، منذ وصولهم إلى مدينة تانا على بحر أزوف وبعد انطلاقهم نحو آسيا الوسطى والشرق الأقصى، كان التجّار البنادقة يقيمون في مساكن بعيدة عن مساكن التجّار الجنويّين تجنّبًا للخلافات والشجارات[١٦]. وعام (١٣٤٣م)، صفع رجل تتري تاجرًا بندقيًا فبادر هذا الأخير إلى قتله، فتعرّض التجّار الإيطاليّون لمجزرة، وبين عامي (١٣٤٣م) و(١٣٤٦م)، حاصر التتار مدينة كافا Caffa التي كانت مستعمرة جنويّة، واضطرّ الجنويّون للدفاع عن مدينة كافا، وكان عليهم أيضًا أن يواجهوا محاولات الخان المغولي بناء أسطول لمحاربة الإيطاليّين في البحر. وانتشر الطاعون بين التتار وانتقل إلى الجنويّين المحاصرين، وكان ذلك سبب انتقال "الطاعون الأسود» إلى أوروبا بين عامي (١٣٤٧م) و(١٣٥٢م) وتسبّب في موت ما لا يقلّ عن ثلث سكّان القارّة[١٧]. ففي العام (١٣٤٧م)، وصلت سفن جنويّة إلى ميناء مسيّناMessina في صقلية (إيطاليا) على متنها عدد من الموتى والمصابين بالطاعون. هذا الوباء بدأ في الصين عام (١٣٣٣م) وانتشر وانتقلت عدواه عبر طرق التجارة إلى آسيا الوسطى وبلاد فارس ومناطق البحر الأسود وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا، وأخيرًا أوروبا[١٨].

إذن، نتيجة هذه السلسلة من الكوارث والصعوبات التي تعرّض لها التجّار، الذين في معظمهم هم إيطاليّون، انهارت التجارة في المناطق الحدوديّة، أي المناطق الواقعة في داخل آسيا. وتعطي المصادر البندقيّة نماذجًا عن تردّد التجّار البنادقة في السفر إلى الشرق الأقصى بسبب المصاعب التي كانوا يواجهونها: عام (١٣٣٨م)، حاول أهل التاجر جيوفاني لوريدانو Giovanni Loredano ، وكاهن من أصدقائه، ثنيه عن السفر إلى دلهي، ولكنّه

سافر بصحبة شقيقه باولو Paolo، وابن عمّه أندريا Andrea، وثلاثة تجّار آخرين، علمًا أنّ المسافة إلى دلهي هي أقرب من الصين التي كان جيوفاني لوريدانو قد سافر إليها. كان الطريق طويل، وشاقّ، وصعب. فمن مدينة تانا كان المسافرون يتجّهون جنوبًا نحو آسيا الوسطى ويقومون بالإلتفاف حول جبل باميرز، ثمّ يعبرون جبال الهندوكوش لبلوغ الهند. توفّي جيوفاني لوريدانو أثناء سفره إلى دلهي كما توفي بالدوفينو كيريني Baldovino Querini أحد التجّار الذين رافقوه، ولكنّ ذلك لم يثن أحد أفراد عائلة جيوفاني الذي يُدعى فرنشيسكينو لوريدانو Franceschino Loredano من السفر إلى الصين عام (١٣٤١م)[١٩]. حتّى العام (١٣٤٥م)، تفيد المصادر أنّ التجّار البنادقة وصلوا إلى الصين: فعام (١٣٤٤م) وصل فرنشيسكينو لوريدانو Franceschino Loredano إلى الصين، وقدم أيضًا إلى الصين قبل العام (١٣٥٠م) التاجران أدريولو بالنزانو دي سان فيليتشي Adreolo Balanzano de San Felice وفرنشيسكو كوندولمر دا سان جيريميا Francesco Condulmer da San Geremia[٢٠].

وتفيد المصادر الجنويّة أنّ السفر إلى بلدان الشرق الأقصى كان شائعًا بين التجّار الجنويّين، ولم تقتصر الرحلات إلى الهند على أفراد فقط بل على عائلات بكاملها. عام (١٢٩١م)، أراد الشقيقان أوغولينو وفادينو فيفالدي Ugolino e Vadino Vivaldi الوصول إلى الهند محاولين فتح طريق بحري جديد يربط مدينة جنوى بالهند عبر المحيط الأطلسي، ولكنهمّا اختفيا أثناء رحلتهما[٢١]. وعام (١٣١٥م)، سافر بنديتو فيفالدي Benedetto Vivaldi من جنوى إلى الهند سالكًا الطريق البرّي العادي الذي كان ينطلق من مدينة تانا على بحر أزوف، ولكنّه توفي بعد عدّة سنوات. وفي الحقبة نفسها، سافر إلى الصين التاجر الجنوي جاكوبو دي أوليفريو Jacopo di Oliverio عام (١٣٣٨م) وأقام فيها عشر سنوات حتّى وفاته. وتاجر جنوي آخر يُدعى أنطونيو سرموري أو سلمويرا Antonio Sarmore /Salmoyra توفي عام (١٣٣٠م) في بكين Beijing/Peking . ووردت في المصادر عدّة أسماء لتجّار جنويّين سافروا إلى الصين، إلى بكين تحديدًا، أو جهّزوا كل ما يلزم من استعدادات للسفر إلى الصين والهند وآسيا الوسطى[٢٢]. وبسبب التجارة مع بلدان آسيا الوسطى والشرق الأقصى، برزت في مدينة جنوى ظاهرة فريدة تمثّلت باعطاء عائلات نبيلة أسماء مغوليّة وأرمنيّة لأولادهم، فظهر بين أفراد عائلة دوريا D'Oria ، التي كانت تتقاسم مع عائلة سبينولا Spinola مراقبة الحكومة البلديّة في جنوى، أسماء ترتاترو Tartaro (تتري)، ألاون Alaone (هولاغو)، أبغا Abaga (أبغا Abagha وهو اسم مغولي)، كسانو Casano(قازان وهو اسم مغولي)، أيتوني Aitone (هيتوم Hethoum وهو اسم أرمني)[٢٣]...

تجارة الحرير والتوابل

ما هي الآمال التي كانت تدفع بالتجّار الإيطاليّين للسفر إلى أعماق آسيا؟ وهل كان الشرق الأقصى يشكّل عالم المغامرة والأخطار والذي يمكن للتجّار تحقيق مكاسب مهمّة واستثنائيّة؟ أو أنّه

كانت توجد فرصة أن تتحوّل آخر حدود للتجارة الأوروبيّة إلى بلد مألوف فاتحًا مجالاً للتجارة المتنامية في أوروبا خصوصًا في مدن إيطاليا؟

نعتقد أنّه يمكن البحث عن الجواب في حسابات التجّار للتكاليف والأرباح التي يتوقّعونها في تجارتهم وليس في اعتبارات المسافات والمخاطر لأنّها لم تحدّ من اندفاع التجّار للسفر. فبعض السلع والمنتوجات الشرقيّة وفي طليعتها الحرير، والفلفل، والتوابل المختلفة، كان لها أسواق كبيرة في أوروبا وكان استهلاكها مرتبطًا بأسعارها حيث كان بإمكان التجّار أن يبيعوا كميّات كبيرة من الحرير والتوابل لو استطاعوا الحصول عليها بأقلّ كلفة. ومن جهة أخرى، كان بإمكان مدن الشرق الأقصى أن تشكّل مجالات ممتازة لتصريف المنتوجات الأوروبيّة، لذلك فإنّ العقدة الأساسيّة لهذه المسألة تكمن في كيفية خفض التكاليف واختيار المنتوجات والسلع الأكثر قدرة على أن تُباع وتعطي مردودًا مربحًا. للأسف، فإنّ ضآلة الوثائق المتبقيّة لا تسمح بإجراء تحليل كمّي ومقارن دقيق، ولكن هذا لا يمنع من إعطاء إجابات جزئيّة عن الأسئلة التي نطرحها.

أوّلاً، الحرير. من دون شك أنّه سلعة كماليّة، ولكنّه لم يعد نادرًا كما كان في الأزمنة السابقة، ولم يعد ثمينًا كما يمكن أن نتوقّع. فخلال القرن الثالث عشر الميلادي، ازداد استهلاك الحرير المنسوج إلى درجة أنّ معامل النسيج اعتمدت ماكينات لغزل خيوط الحرير تعمل بواسطة المياه: كان هذا أوّل اعتماد لمبدأ الطاحون الذي يعمل على المياه في مصانع النسيج. وكانت مدينة لوكاLucca الإيطاليّة، والتي كانت تُعتبَر عاصمة صناعة الحرير في الغرب، أوّل مدينة استخدمت الماكينة الجديدة. وعام (١٢٧٣م)، أدخل رجل يُدعى فرنشيسكو بورغيسانو Francesco Borghesano تقنيّة الماكينة الجديدة إلى مدينة بولونيا، وقيل آنئذٍ إنّ هذه الماكينة حلّت محل العمل اليدوي لأربع مئة عامل. وبعد ذلك، انتشرت صناعة الحرير في العديد من المدن، وعندما شهدت مدينة لوكا أزمةً تزايد خطرها عام (١٣١٤م) بعد حصول اضطراب سياسي دفع بالعديد من العائلات إلى مغادرة المدينة. ولكنّ على الرّغم من ذلك، فإنّ مدينة لوكا لم تفقد دورها كمركز لانتاج الحرير إذ إنّ سجلّات الضرائب في المدينة تشير إلى أنّه بين عامي (١٣٣٥م) و(١٣٤١م) كان المعدّل السنوي للحرير المصنّع والمصدّر حوالى ١٢٥٠٠٠ ليبرا libra أي حوالى أكثر من أربعين طنًا[٢٤].

ولكن، من أين يأتي الحرير الخام، المادّة الأوليّة لهذه الصناعة؟ في الأراضي التابعة لمدينة لوكا الإيطاليّة، كان يتمّ انتاج كميّات قليلة من الحرير من النوعيّة المتدنيّة. وفي بلاد اليونان، كانت كميّات الحرير المنتجة تغطّي حاجات معامل النسيج ولم يتوفّر فائض في الانتاج يمكن تصديره. إذن، فإنّ القسم الأكبر من الحرير الخام الذي كان يغذّي معامل النسيج في أوروبا كان مصدره آسيا. في الواقع، أورد بيغولوتي في كتيّبه التجاري سنة (١٣٣٠م) لائحة غير مكتملة، منقولة عن لائحة وردت في كتّيب تجاري بيزاني أقدم عهدًا من كتيّبه، تتضمّن خمسة عشر نوعًا من الحرير الأسيوي المنتج بالتدرّج من منطقة بلاد الشام وصولاً إلى الصين[٢٥].

من جهة أخرى، تضمّنت سجلّات الجمارك في مدينة لندن عام (١٣٠٤م) ذكرًا لبالتين من الحرير المسمّى كاتويCatewy نسبةً لمدينة كاتايCathay الصينيّة، مستوردتين لحساب شركة فرسكوبالديFrescobaldi في مدينة فلورنسا الإيطاليّة. وفي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، ورد في المصادر الجنويّة ذكر للحرير الصيني تحت اسم كاتويا ,catuya catuxta.

إذن، من دون شك، فإنّ الصين كانت تحتلّ المرتبة الأولى بين البلاد الأسيويّة المصدّرة للحرير إلى أوروبا طالما كانت طرق المواصلات التجاريّة، البرّية والبحريّة، آمنة وسالكة. غير أنّ الحرير الصيني لم يكن الأكثر شهرة والأكثر طلبًا بين أنواع الحرير التي كانت تصل إلى الأسواق الأوروبيّة. عام (١٣٣٩م)، باع تاجر جنوي في مدينة لوكا ليبرا(٣١٧ غرام) من الحرير الصيني بسعر قدره ٢,١٥,٧ ليرة، في حين أنّه اشترى ليبرا من الحرير الذي مصدره تاليشTalish (القوقاز الجنوبي) بسعر ٢,١٨ ليرة. وعام (١٣٤٠م)، ورد في سجلّ مخازن بلديّة مدينة جنوى أنّ سعر ليبرا حرير مرو (تركستان) هو ١,١٠,٧ ليرة، ولكن ليبرا الحرير الصيني يتراوح سعرها بين ١,٣,٦ و١,٤,٣ ليرة[٢٦].

كيف يمكن تفسير هذه الفروقات في الأسعار؟ الجواب عن هذا السؤال نجده في الكتيّب التجاري لبيغولوتي: إنّ الحرير الذي كان يصل إلى أوروبا هو حرير خام، وبالتالي، يجب الأخذ بعين الاعتبار أن لا يتعرّض الحرير للضرر أثناء تحميله على ظهور الجمال أو البغال خلال السفر الطويل بسبب احتكاكه، بالصخور، أو بالأعشاب وأغصان الأشجار، كذلك لدى تفريغ وتحميل بالات الحرير، فمن الممكن أن يتمزّق كيس الخيش الذي يغلّف الحرير فيعرّضه للأذى ويتعرّض لخدوش، وبما أنّ الحرير الصيني المسمّى كاتواCattuia يسلك طريقًا طويلًا، يصبح معرّضًا للضرر والأذى أكثر من غيره من أنواع الحرير[٢٧].

إذن، ليس سعر إعادة بيع الحرير الصيني هو سبب جذب التجّار الأوروبيّين لشرائه، ولكن سعر الشراء من مصدر إنتاجه. فوفقًا لما أورده بيغولوتي، يمكن في الصين شراء ١٩ إلى ٢٠ ليبرا مقابل وزن الحمل(sommo) المُعتمَد في شبه جزيرة القرم الذي يساوي ١٩٠ أسبري aspri (عملة فضيّة): أي كل ليبرا مقابل ١٠ أسبري تقريبًا. وبالعودة إلى أحد السجلّات التجاريّة الجنويّة الرسميّة في القسطنطينيّة، فإنّ قيمة الأسبرو(aspro جمعه aspri) تساوي ١٠ دونييه(denier عملة فضيّة) جنويّة. لذلك، فإنّ سعر ليبرا الحرير في الصين يصل بالكاد إلى ٨ سو(sous عملة نحاسيّة معتمدة في مدينة جنوى) في حين أنّه يمكن بيعها في سوق جنوى بين ٢٣ و٢٥ سو، إذن أغلى بثلاث مرّات[٢٨].

هذا صحيح من دون شك، ولكن، هل فرق السعر يرتبط أيضًا بكلفة النقل؟ مرّة أخرى يعطي بيغولوتي جوابًا لهذا السؤال فيقول إنّ طول طريق العودة من الصين إلى مدينة تانا على ضفاف بحر أزوف، تتضمّن كلفة السفر مصاريف الغذاء وأجرة الحمّالين، ومصاريف أخرى (حيوانات النقل، علف، وغير ذلك، إلخ...) علمًا أنّ كلّ حيوان نقل في القافلة يحمل

خمسة أحمال أو أقلّ. فالحرير يغلّف ببالات تسمّى شيبتّيscibetti تزن الواحدة منها بين ١١٠ و١١٥ ليبرا جنويّة (ليبرا= ٣١٧ غرام)، سعر كلّ ليبرا أكثر بقليل من ٤ أسبري (وفقًا لعملة مدينة جنوى تساوي ٣ سو وثلث) في حال كان كلّ حيوان نقل يحمل حملين أي ٢ شيبتّي، أو ٢ أسبري لكلّ ليبرا في حال كانت حمولة كلّ حيوان نقل ٤ شيبتي. يُضاف إلى ذلك، كلفة النقل البحري على متن السفن من تانا إلى مدينة جنوى[٢٩].

إذن، يصبح هامش الربح ضئيلاً جدًا بالمقارنة مع طول مدّة السفر خصوصًا إذا أضفنا نسبة الفائدة على الأموال التي يستدينها التجّار لاستثمارها في التجارة. ففي إيطاليا، يمكن للدائن الذي يتعامل مع تاجر معروف أن يستوفي فائدة ٨٪ ، أمّا في الشرق، فالفائدة كانت أكثر ارتفاعًا: استدان التاجر البندقي جيوفاني لوريدانوGiovanni Loredano وشركاؤه من تاجر عربي مبلغًا من المال قدره ٤,٠٠٠ بيزون(besants)[٣٠]، فاستوفى هذا الأخير منهم فائدة قدرها ٤٠٪[٣١].

تجارة الأجواخ والجواهر

في الواقع، لكي يتمكّن التجّار الأوروبيّون من تحقيق الأرباح من خلال التجارة العالميّة، لا بدّ لهم من إيجاد توازن بين الصادرات والواردات. فكلّ ما ازدادت القروض الماليّة والفوائد وكلفة النقل، تزداد الحاجة أكثر إلى تحقيق التوازن في التبادلات التجاريّة لكي يتمكّن التجّار من خلال البضائع التي يصدّرونها أن يغطّوا بسعر بيعها تكاليف السفر ذهابًا إلى آسيا وبديلاً مساويًا لقيمة البضائع التي يستوردونها. وفي حال لم ينجح التجّار في تطبيق هذه المعادلة، عندها يصبحون مضطرّين أن يلجؤوا إلى وسطاء تجاريّين لتحقيق الربح. في تجارة البحر المتوسّط، التي تتضمّن أنواعًا عديدة من البضائع والسلع الغالية والرخيصة، يتحقّق التوازن بين الصادرات والواردات من خلال سلعتين غاليتين وقليلتي الحجم نسبيًا هما الأجواخ الأوروبيّة والتوابل الشرقيّة.

وبسبب أنّ إنكلترا بقيت لوقت طويل غير قادرة على إنتاج كميّات كبيرة من الأجواخ مقابل التوابل التي كانت تصل إلى أسواقها، اقتصر تعاطي التجّار الإيطاليّين مع الأسواق الإنكليزيّة من خلال السوق الموسمي الذي يُعقَد في مدينة شمبانيا Champagne الفرنسيّة؛ ولم ينظّم البنادقة منذ العام (١٣١٠م) خطًّا تجاريًّا بحريًّا مباشرًا يربط إيطاليا بإنكلترا وصولاً إلى بلاد الفلاندر عند مدينة بروج Bruges البلجيكيّة[٣٢] إلّا عندما ازداد انتاج كميّات الصوف الخام في إنكلترا وأصبح ممكنًا معادلة قيمة التوابل، وقصد البنادقة والجنويّون إنكلترا عندما ازدادت كميّات الشبّ المستوردة من الشرق، بعد أن صار الشبّ مادّة أساسيّة في صناعة النسيج، وأصبح ممكنًا للبنادقة والجنويّين أن يعادلوا الحمولات الثقيلة للصوف بحمولات الشبّ. فقد ذكر بيغولوتي ثلاثة عشر صنفًا من الشبّ، وأجود أنواعه كانت تشحنها السفن من موانئ البحر الأسود، وآسيا الصغرى، وميناء الإسكندريّة[٣٣]. ولكنّ التجّار الإيطاليّين لم يجدوا سلعًا في مناطق أوروبا الشماليّة يمكنها أن تعادل التوابل؛ لذلك أوقف البنادقة أعمالهم التجاريّة عند مدينة بروج

Bruges البلجيكيّة واكتفوا بلقاء التجّار الألمان في أسواق مدينتي نورمبورغ Nuremberg والبندقيّة[٣٤].

إذن، من خلال ما تقدّم فـإنّ المشكلة في التجارة مع الشرق الأقصى هي التالية: إيجاد السلعة الأوروبيّة التي يمكن تصديرها بكميّات كبيرة إلى الشرق الأقصى والتي يمكن أن تعادل وزن وقيمة السلع والبضائع المستوردة. ومن خلال تحقيق هذه المعادلة، يمكن للتجّار عندئذٍ تحويل التجارة الاستثنائيّة والمحدودة إلى تجارة ضخمة، وحـدود المناطق التي كان يجازف التجّار لدى ذهابهم إليها تحوّلت إلى منطقة شاسعة المساحة يمكن استغلالها بكثافة. في أوّل الأمـر، جـرّب التجّار الإيطاليّون تجارة المجوهرات. فالشقيقان نيقولو وماتيو بولو، والد وعمّ ماركو، سافرا من مدينة البندقيّة لأوّل مرّة إلى الشرق الأقصى حاملين معهما جواهر، وفي سفرهما الثاني، حملا معهما إلى قوبلاي خان بلّورات رقيقة مصنوعة في البندقيّة[٣٥]. وعام (١٣٣٨م)، التاجر الجنوي أندالو دي سافينيوني Andalo de Savignone، المُرسَل من الخان توغان تيمور (آخر خان مغولي في الصين حكم بين عامي (١٣٣٣-١٣٧٠م)) كسفير إلى مدينة البندقيّة، طلب من مجلس الشيوخ البندقي السماح له أن يأخذ معه إلى بلاط الخان أشغالاً من البلّور، فاشترط عليه البنادقة أن يعود على متن سفينة بندقيّة، ويمكن له أن ينزل في جنوى، ولكن من دون أن يصطحب معه البلّورات إنّما أحصنة، وترياقات (أدوية مرّكبة تدفع السموم)، وأجواخ. ومن جهة أخرى، عندما سافر التاجر البندقي جيوفاني لوريدانو Giovanni Loredano إلى الهند حمل معه الأجـواخ، وقطع من النقود الذهبيّة، وكميّة قليلة من العنبر[٣٦].

تجارة الساعات والأشغال الميكانيكيّة

أدرك التجّار الإيطاليّون أنّهم لن يستطيعوا تحقيق مكاسب كبيرة من خلال تصدير الجواهر إلى بلدان يمكن أن تحصل على الجواهر من مصادر مختلفة. لذلك، بدأ يظهر لديهم توجّهًا للرهان على جديد آخر ما توصّلت إليه التقنيّة الأوروبـيّـة التي لا يمكن أن يحصل عليها الأسيويّون ولا حتّى حكّامهم. وإذا كان غير واضح ما ورد في المصادر عن حرفي فرنسي يُدعى غيّوم بوشيهGuillaume Boucher صنع ينبوعًا ميكانيكيًا لقوبيلاي خان، وإذا لم تذكر المصادر اسم الجنوي الذي أحضر إلى أمير المغرب عـام (١٢٩٢م) شجرة مذهّبة عليها عصافير تغنّي وفق نظام ميكانيكي، فمن المؤكّد أنّه في النصف الأوّل من القرن الرابع عشر الميلادي كانت الساعات الكبيرة والينابيع الميكانيكيّة شائعة الاستعمال في إيطاليا.

فوفقًا للمصادر، عام (١٣٣٨م)، كان البندقي جيوفاني لوريدانو وشركاؤه الخمسة يملكون ينبوعًا ميكانيكيًا، وساعةً كبيرةً ربّما كانت من صنع جاكوبو دوندي Jacopo Dondi الشهير أو مواطنه أنطونيو دي كريمونا Antonio de Cremona. هذا النوع من الساعات الكبيرة عرف ازدهـارًا وتطوّرًا حيث تمّ وضع ساعة كبيرة في ساحة القدّيس مرقس في مدينة البندقيّة، ما يدلّ على أنّ الأوروبيّين، وتحديدًا الإيطاليّون، أصبحوا بارعين في صناعة الساعات والتفنّن بها وبعملها الميكانيكي وقطعوا أشواطًا كبيرةً في هذا

المجال، وكان صعبًا على غيرهم من الشعوب أن يلحقوا بهم.

ولهذا السبب لاقت هذه الصناعات اقبالاً عليها في بلدان آسيا، بخاصّةٍ في بلاط الخانات والحكّام. فسلطان دلهي، محمّد ابن طغلق (١٣٢٥-١٣٥١م)، كان يحسن استقبال التجّار الأوروبيّين الذين كانوا يحملون إليه الهدايا التي تتضمّن ساعات كبيرة وأشغالاً ميكانيكيّة، وكان يمنحهم في المقابل مبالغ كبيرة تصل إلى ٢٠٠ ألف بوزون. ولكن على الرّغم من كل ذلك، يجب الاعتراف أنّ الشغف بالساعات الكبيرة التي تمكّن من معرفة الوقت وتحديده لم يكن الهمّ الرئيسي للشعوب الشرقيّة، كما أنّ الأشخاص الذين يشترون الساعات الكبيرة كالسلطان، والأمير، والخان الكبير، والمهراجا، لا يشكّلون عددًا كبيرًا من الزبائن يسمح للتجّار الأوروبيّين أن يطوّروا تجارتهم ويحوّلوها إلى تجارة واسعة تقوم على تبادل كميّات كبيرة من السلع والبضائع[٣٧].

تجارة القماش القطني الناعم

في الواقع، إنّ الأقمشة الناعمة شكّلت أساس التجارة الأوروبيّة مع الشرق. ولم يتردّد التجّار الأوروبـيّون، وفي طليعتهم الإيطاليّون، من السفر إلى الشرق الأقصى حاملين معهم الأقمشة والأجواخ المختلفة. وعندما انطلق التاجر البندقي جيوفاني لوريدانو في رحلته إلى الهند، حمل معه أجواخًا فرنسيّة وفلورنسيّة وغيرها من مصانع النسيج الأوروبيّة، وفي المقابل في طريق عودته، جلب معه كميّة من اللؤلؤ والتوابل[٣٨].

من جهتّه، ذكر بيغولوتي أنّ التجّار عندما يسافرون إلى بلدان الشرق الأقصى لا ينطلقون من مدنهم من دون أن يحملوا معهم سلعًا وبضائع للإتّجار بها. ويقدّر بيغولوتي أنّ قافلة التجّار التي تنطلق من مدينة تانا على ضفاف بحر أزوف قاصدةً مدينة بكين الصينيّة تضمّ على أقلّ تقدير ٦٠ رجلاً برفقة مترجم، وخادمين، وبضائع بقيمة ٢٥,٠٠٠ فلوران (عملة ذهبيّة تصدرها مدينة فلورنسا)، و٦٠ إلى ٨٠ قطعة من الفضّة قيمة الأغراض المنقولة من الأثاث، وعربات تجرّها ثيران، أو جمال، أو أحصنة. ويمكن للتجّار أن يركبوا أحصنة أو حمير خلال تنقّلهم على الطرقات. ولدى وصولهم إلى الصين، تؤخذ منهم الأموال التي يحملونها معهم إلى خزينة الخان وتُستبدَل بعملة ورقيّة تُسمَّى باليتشي balisci التي تُستخدَم في عمليّات شراء الحرير وغيرها من البضائع. وينصح بيغولوتي التجّار بحمل سلعة واحدة هي القماش القطني الناعم، ويضيف أنّ مدينة أورجنك Urgench (هي مدينة جورجانيّة أو أوركنج في أوزباكستان) تشكّل سوقًا جيّدًا لتصريف البضائع، ولكن في المناطق الواقعة ما بعد هذه المدينة، لا تساوي أي من الأقمشة الأوروبيّة كلفة النقل باستثناء القماش القطني الناعم[٣٩].

إنّ معلومات ونصائح بيغولوتي تعتمد على قاموس لاتيني-فارسي-كوماني (لهجة الشعب التركي المعروف بالكومان Coman الذي كان يقيم بين هنغاريا وروسيّا الجنوبيّة. والكومانيّون الأتراك اعتنقوا المسيحيّة في القرن الثالث عشر الميلادي)[٤٠]. يعود الكتاب إلى العام (١٣٠٣م)، كتب قسمًا منه إيطاليّون، والقسم الآخر منه كتبه ألمان، وعلى الأرجح جميعهم رهبان فرنسيسكان

كانوا يبشّرون بالديانة المسيحيّة في مناطق بحر قزوين والبحر الأسود في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد. كان هذا القاموس ملكًا لشخص يُدعى أنطوان دي فينإلى Antoine de Finale[٤١]. استخدم القاموس أيضًا التجّار والمُرسَلون الفرنسيسكان إلى الشرق الأقصى، وبالكاد ورد فيه ذكر للأقمشة الصوفيّة والحريريّة، ولكنّه أعطى لائحة تتضمّن ثلاثة عشر نوعًا من الأقمشة القطنيّة، والمخمليّة، والكتّان، صنع فرنسا، وروسيا، وألمانيا، وإيطاليا[٤٢].

يعطي هذا القاموس نموذجًا عن أنواع الأقمشة التي كان يحملها الأوروبيّون في رحلاتهم إلى آسيا الوسطى في نهاية القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر الميلادي. فمنذ أن استبدلت طريقة دقّ ودعك الأقمشة يدويًا لتبييضها بالدقّ الميكانيكي، الذي اعتمدته مصانع النسيج في مختلف أنحاء أوروبا، تطوّرت صناعة غزل النسيج وانتاج الأقمشة المختلفة التي أصبحت أساس التجارة في أوروبا والصادرات الأوروبيّة إلى الشرق.

القماش القطني، الساعات الكبيرة، الأشغال البلّورية، كلّ هذه المنتجات الصناعيّة تظهر صورة عن أوروبا مغايرة للصورة التقليديّة لأوروبا المتخلّفة الباحثة على غير هدًى عن ثروات آسيا حيث البلدان الأكثر تطوّرًا من البلدان الأوروبيّة في أواخر القرون الوسطى. إنّها تعطي صورة عن أوروبا التي ذخرت مجتمعاتها بحرفيّين بارعين متفوّقين وبتجّار على علم متقن بأمور التجارة وبكيفيّة تطويرها. ولكن دراسة وتحديد حجم تجارة الأوروبيّين في بلدان الشرق الأقصى في تلك الحقبة مرتبطان بتوفّر أو غياب وثائق تتضمّن معلومات عن هذا الموضوع، فغياب الوثائق يعطي صورة جزئيّة عن نشاط التجّار الأوروبيّين في تلك البلدان.

تراجع حركة التجارة بين أوروبا والشرق الأقصى

مهما يكن من أمر، لم يدم زخم نشاط التجّار الإيطاليّين في الشرق الأقصى كثيرًا. فمن جهة، عرفت الإمبراطوريّة المغوليّة تفكّكًا منذ العام (١٣٣٨م)، ومن جهة أخرى، عرفت أوروبا أزمةً اقتصاديّة، وسياسيّة، واجتماعيّة بسبب الحروب (أبرزها حرب المئة عام التي اندلعت بين عامي (١٣٣٧م و١٤٥٣م))، وانتشار الطاعون، ونهاية النظام الفيودالي والتحوّل إلى النظام الرأسمالي. فمنذ العام (١٣٤٠م)، منعت جنوى تجّارها من السفر إلى بلاد فارس، وبعد ثلاث سنوات حصل خلاف بين المغول والإيطاليّين في مدينة كافا وتطوّر إلى قتال بين العامين (١٣٤٣م) و(١٣٤٦م)، وبعد ذلك ظهر الطاعون بين عامي (١٣٤٦م) و(١٣٤٨م). ولكن بعد أن عقد الجنويّون والبنادقة الصلح مع المغول، كانت الحرب قد اندلعت في الصين، فهرب الأجانب المقيمون فيها. وعام (١٣٤٦م)، انتزع الجنويّون من البيزنطيّين في بحر إيجيه، جزيرة كيّوس Chios الغنيّة بالمصطكى، وجزيرة فوكايا Phokaia الغنيّة بحجر الشبّ. فنتيجة هذه الأحداث، وجّه الإيطاليّون، والأوروبيّون عمومًا، تجارتهم نحو أسواق مصر والشام، وبلاد الفلاندر.

يبقى أن نشير إلى أنّ بعض التجّار الجنويّين استمرّ يقصد الصين على الرّغم من كلّ التطوّرات

والأحداث التي عصفت بالشرق الأقصى وآسيا الوسطى. ففي عام (١٣٧١م)، طرد الصينيّون تاجرًا جنويًّا اسمه نيقولا Nicolas كان لا يـزال مقيمًا في بكين. وفي وثيقة تعود للعام (١٣٧٢م)، ورد اسم تاجر جنوي جنتيلي أدورنو Gentile Adorno اشترى في أفغانستان كميّةً من الحرير والجواهر من قافلة قادمة من الصين. وعام ١٣٩٢م، كان ورثة التاجر غبريالى باسو Gabriele Basso، الذي توفي منذ زمن طويل في الصين، يحاولون استرجاع مقتنياته إلى جنوى[٤٣].

الخاتمة

نجح التجّار الأوروبيّون إبّان القرن الرابع عشر الـميلادي في السفر إلـى بلدان الشرق الأقصى دون المرور في الـبلاد التي تخضع لسلطة السلاطين المماليك. وأقاموا في تلك البلدان، ووسّعوا أعمالهم وزادوا استثماراتهم، وكانوا مهتمّين بالحصول على التوابل التي كانت تُستخدم على نطاق واسع في المأكولات، والوصفات الطبيّة، ومستحضرات التجميل. وشملت مشترياتهم الحرير الخام على اختلاف أنواعه. ولكن لتحقيق الأرباح، كان عليهم إيجاد توازن بين الصادرات والواردات، خصوصًا أنّ أسعار التوابل والحرير وغيرها من المنتجات الشرقيّة كانت مرتفعة. فاعتمدوا على الأجواخ، والأقمشة المختلفة، والقماش القطني الناعم، والمجوهرات، والساعات الكبيرة، والأشغال الميكانيكيّة، لتكون السلع الرئيسيّة في تجارتهم مع بلدان آسيا الوسطى والشرق الأقصى.

ولكن النشاط التجاري الأوروبي مع الشرق الأقصى لم يـدم طـويلاً. ففي القرن الخامس عشر الميلادي، لم يعد يهتمّ الأوروبيّون بالسفر إلى آسيا الوسطى والشرق الأقصى لأنّ كل ما يحتاجونه من توابل وسلع ومنتجات شرقيّة متوفّرة بكثرة في أسواق بلاد الشام ومصر، كما أنّ المعاهدات التي عقدها الحكّام الأوروبيّون مع السلاطين المماليك ضمنت للتجّار الأوروبيّين الأمان والحريّة وكلّ الظروف الملائمة لتفعيل أعمالهم وتطويرها.

ولكن في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، المحاولة الوحيدة للسفر إلى آسيا الوسطى تمثّلت بالسفارة التي أرسلها هنري الثالث (١٣٩٠-١٤٠٦م) ملك كاستيلا Castilla (قشتالة) إلى الخان الأوزبكي تيمورلنك (١٣٧٠-١٤٠٥م) عام (١٤٠٣م). كان السفير الموكل بهذه المهمّة يُدعى روي غونزاليس دو كلافيخو Ruy González de Clavijo. انطلق على متن مركب من قادس Cadix في جنوب إسبانيا إلى القسطنطينيّة ومنها إلى بيرا Pera ومنها تابع سفره بمحاذاة شواطئ البحر الأسود حيث توقّف في عدّة محطّات وصولاً إلى طرابزون: استغرقت رحلته قرابة أحد عشر شهرًا من قادس إلى طرابزون (من ٢٣ أيار/مايو (١٤٠٣م) إلى ١١ نيسان/أبريل (١٤٠٤م)). وأكمل طريقه عبر بلاد فارس مرورًا بالمدن التي تشكّل محطّات للقوافل التجاريّة حتّى بلوغه مدينة سمرقند بعد حوالى خمسة أشهر: غادر طرابزون بتاريخ ٢٧ نيسان/أبريل (١٤٠٤م) ووصل إلى سمرقند يوم ٨ أيلول/سبتمبر (١٤٠٤م)[٤٤].

أخيرًا، مع تركيز نشاط التجّار الأوروبيّين أعمالهم في البحر المتوسّط، سيطروا على حركة

التبادل التجاري بين الشرق وأوروبا، في حين أنّ التجارة مع الشرق الأقصى كانت بأيدي التجّار المسلمين. استمرّ هذا الوضع قائمًا حتّى العام (١٤٩٨م) مع اكتشاف البرتغاليّين بقيادة فاسكو دا غاما Vasco da Gama (١٤٦٩-١٥٢٤م) للطريق البحري الذي يدور حول إفريقيا من جهة الغرب، وبعد ذلك عبورهم رأس الرجاء الصالح (جنوب غرب دولة جنوب إفريقيا) ووصولهم إلى الهند[٤٥].

الحواشي

(١) منذ عهد السلطان صلاح الدين الأيّوبي (١١٧١-١١٩٣م)، منع المسلمون الوجود الأوروبي في منطقة البحر الأحمر بسبب الخطر الذي يمكن أن يهدّد طريق الحجّ إلى مكّة والمدينة المنوّرة، بالإضافة إلى منافسة تجّار اليمن، وتحديدًا تجّار الكارم في عدن. وعى صلاح الدّين الأيّوبي الخطر الذي يمثّله الأوروبيّون واعتبر أنّ منعهم من الوصول إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي هو واجب ديني. وقد اتّخذ هذه التدابير بعد الحملة العسكريّة التي أطلقها القائد الفرنجي رينو دو شاتيون Renaud de Châtillon عام (١١٨٣م) في البحر الأحمر في محاولة منه لإنزال قوّاته في مكان قريب من مكّة. في البداية نجح الفرنج في القضاء على بعض مراكب المسلمين، ولكنّ الحملة فشلت وتمّ القضاء عليها وقتل كل المشاركين فيها.

Jean RICHARD, Histoire des croisades, Éd. Fayard, Paris, 1996, p. 206; René GROUSSET, Histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem. II. 1187-1131. L'équilibre, Éd. Perrin, Paris, 2006, p. 696-692.

2. Pierre MOUKARZEL, La ville de Beyrouth sous la domination mamelouke (1516-1291) et son commerce avec l'Europe, Éditions de l'Université Antonine, Baabda, 2010, p. 33-32.
3. Pierre MOUKARZEL, La ville de Beyrouth, p. 33.

(٤) حرب أهليّة اندلعت عام (١٢٦٢م) بين بركة خان القبيلة الذهبيّة (مغول الشمال أو مغول القبجاق) وهولاغو خان الإلخانات (مغول فارس والعراق). كانت هذه الحرب بداية تفتّت الإمبراطوريّة المغوليّة.

5. Marco POLO, La description du monde, Édition, traduction et présentation par Pierre-Yves Badel, Librairie Générale Française, Paris, 1998, p. 61-51.
6. Marco POLO, La description du monde, p. 75-65.

شكّك بعض المؤرّخيّن في أن يكون ماركو بولو قد وصل فعلاً إلى الصين بسبب النقص الكبير في وصفه للصين وعادات شعبها. وكانت أبرز الدراسات تلك التي وضعتها الباحثة فرنسيس وود:

Frances WOOD, *Did marco Polo go to China?*, Secker and Warburg, London, ١٩٩٥.

ولكنّ الدراسة التي وضعها الباحث إيغور دو راشفيلتز عام (١٩٩٧م) حسمت المسألة وأكّدت أنّ ماركو بولو وصل فعلاً إلى الصين. فما ذكره ماركو بولو من أحداث، وأسماء أشخاص وأماكن، في رحلة عودته من الصين عام (١٢٩١م) بخصوص سفره بالبحر ومرافقته مع والده وعمّه لرسل أرغون خان بلاد فارس الذين قدموا إلى بلاط قوبيلاي خان لاصطحاب زوجة لأرغون اسمها كوكشين Kökečin، يؤكّده ما أورده المؤرّخ الفارسي رشيد الدّين فضل الله الهمذاني (توفي عام (١٣١٨م)) الذي ذكر في كتابه **"جامع التواريخ»** سفارة الخان أرغون إلى بلاط قوبيلاي خان في الصين وعودتها بصحبة عروس للخان أرغون. فالمعلومات التي ذكرها، وما حصل من أحداث أثناء السفر، تتطابق مع تلك التي أوردها

ماركو بولو. كما أنّ نصًا صينيًا يؤكّد صحّة سفارة أرغون إلى الصين.

Igor DE RACHEWILTZ, “Marco Polo went to China”, Zentral-Asiatische Studien, des Seminars für Sprach-und Kulturwissenschaft Zentralasiens der Universität Bonn, 27, Harrassowitz Verlag, 1997, p. 92-34.

7. Buchard BRENTJES, “Caravan routes through Central Asia”, Les Annales Archéologiques Arabes Syriennes, Vol. 1999 ,43, p. 228-215.

8. Robert Sabatino LOPEZ, “Nouveaux documents sur les marchands italiens en Chine à l’époque mongole”, Comptes rendus des séances de l’Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, ,2-121 1977, p. 447-446.

9. Michel BALARD, “Les Génois en Asie centrale et en Extrême-Orient au XIVe siècle: un cas exceptionnel?”, Économies et sociétés au Moyen Âge. Mélanges offerts à Édouard Perroy, Paris, 1973, p. 681.

10. Roxann PRAZNIAK, “Tabriz on the Silk Roads: Thirteenth century Eurasian cultural connections”, Asian Review of World Histories, 2013 ,1:2, p. 178-171.

11. Jacob D’ANCÔNE, Jacob D’Ancône. La cité de lumière, Texte établi et annoté par David Selbourne, Traduit de l’anglais par Pierre-Émmanuel Dauzat, Édition Fayard, Paris, 2000, p. ,166 180-179.

12. Xavier DE PLANHOL, L’Islam et la mer. La mosquée et le matelot VIIe-XXe siècle, Perrin, Paris, 2000, p. 394.

13. Marino SANUTO TORSELLO, Liber secretorum fidelium cruces super Terrae Sanctae. Recuperatione et conservation quo et Terrae Sanctae Historia ab origine. Vol. I, Éd. Jacques Bongars, 1611.

14. Francesco Balducci PEGOLOTTI, La pratica della mercatura, Ed. A.Evans, Cambridge Mass, 1936, p. 22.

15. Francesco Balducci PEGOLOTTI, La pratica della mercatura, p. 22.

16. Freddy THIRIET, Régestes des délibérations du Sénat de Venise concernant la Romanie, I, Mouton et Co, Paris-La Haye, 1958, n.III, p. 44.

17. Raimondo MOROZZO DELLA ROCCA, “Notizie da Caffa”, Studi in onore di Amintore Fanfani, III, Milano, 1962, p. 282-267.

18. Jacques ANQUETIL, Routes de la soie. Des déserts de l’Asie aux rives du monde occidental. Vingt-deux siècles d’Histoire, Éditions Jean-Claude Lattès, 1992, p. 255-254.

مايكل نورث، **اكتشاف بحار العالم من العصر الفينيقي إلى الزمن الحاضر**، ترجمة عدنان عبّاس علي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٩، ص. ٧٩.

19. Robert Sabatino LOPEZ, “L’extrême frontière du commerce de l’Europe médiévale”, Le Moyen Âge. Revue d’histoire et de philologie, Tome LXIX, Volume jubilaire 1963-1888, p. -481 482; Frederic LANE, Venise. Une république maritime, Traduction de Yannick Bourdoiseau et Marie Ymonet,

Flammarion, Paris, 1985, p. 199.

20. Alvise ZORZI, Venise. Une cité. Une république. Un Empire, Éditions de La Martinière, 2001, p. 198.

21. Robert Sabatino LOPEZ, “European merchants in the Medieval Indies: The evidence of commercial documents”, Journal of Economic History, 1943 ,3, p. 170-169.

22. Robert Sabatino LOPEZ, “Nouveaux documents sur les marchands italiens en Chine à l’époque mongole”, p. -452 ,449 453; Michel BALARD, “Les Génois en Asie centrale”, p. 687-683.

23. Robert Sabatino LOPEZ, “Nuove luci sugli italiani in Estremo Oriente prima di Colombo”, Studi Colombiani, III, Genova, 1952, p. 359-354.

24. Robert Sabatino LOPEZ, “China silk in Europe in the Yuan period”, Journal of the American Oriental Society, LXXII, 1954, p. 76-75; Lynn WHITE, Technologie médiévale et transformations sociales, Traduit de l’anglais par Martine Lejeune, École Pratique des Hautes Études, Mouton, Paris, 1969, p. 109-108; Jean GIMPEL, La révolution industrielle au Moyen Âge, Éditions du Seuil, 1975, p. 11-9.

25. Robert Sabatino LOPEZ et Gabriella AIRALDI, “Il più antico manuale italiano della mercatura”, Miscellanea di studi storici, II, Collana storica di fonti e studi 38, Genova, 1983, p. 133-99.

26. Robert Sabatino LOPEZ, “China silk in Europe in the Yuan period”, p. 75-74.

27. Francesco Balducci PEGOLOTTI, La pratica della mercatura, p. 25 ,23.

28. Francesco Balducci PEGOLOTTI, La pratica della mercatura, p. 25 ,23; Robert Sabatino LOPEZ, “L’extrême frontière du commerce de l’Europe médiévale”, p. 485.

29. Francesco Balducci PEGOLOTTI, La pratica della mercatura, p. 22.

(٣٠) في الأساس، هي العملة الذهبيّة والفضيّة المتداولة في بيزنطيا(besant تشتقّ من كلمة bisan-tium). أطلقت تسمية بيزون على كلّ العملات الذهبيّة المتداولة في الشرق.

31. Robert Sabatino LOPEZ, “L’extrême frontière du commerce de l’Europe médiévale”, p. 486-485.

(٣٢) هذا الخطّ البحري معروف في المصادر الإيطاليّة باسم مـودا الفلاندر Muda di Fiandra. يختلف معنى كلمة مودا Muda وفقًا لورودها في النصوص، فهي يمكن أن تعني موكب سفن الكاليرgalera) الذي يغادر مدينة البندقيّة في كلّ عام والذي تنظّمه الحكومة، ويمكن أن تعني المدّة التي تمضيها السفن في الميناء، أو شهر محدّد تصل خلاله السفن للتجارة، ويمكن أن تعني السوق الذي يعقد سنويًا عند وصول سفن الكالير إلى ميناء مدينة بروجBruges في بلجيكا. تختلف الآراء حول أصل هذه الكلمة، فربّما هي تحريف للكلمة العربيّة » مدّة " أو هي اشتقاق من الفعل الإيطالي mutare الذي يعني تبادل.

Frederic LANE, “Fleets and fairs: The function of the venetian muda”, Studi in onore di Armando Sapori, I, Milano, 1957, p. 651; Gino LUZATTO, “Navigazione di linea e navigazione libera nelle grandi città marinare del Medioevo”, Studi di storia economi-

ca, Venezia-Padova, 1954, p. 54; Doris STÖCKLY, Le système de l'Incanto des galées du marché à Venise (fin XIIIe-milieu XVe siècle), Éd. Brill, 1995, p. 27-26; Wilhelm HEYD, Histoire du commerce du Levant au Moyen Âge, II, Traduction de Furcy Reynaud, Amsterdam, 1959, p. 453.

33. Francesco Balducci PEGOLOTTI, La pratica della mercatura, p. 295.

34. Eliyahu ASHTOR, Levant trade in the later Middle Ages, Princeton University Press, Princeton, 1983, p. 163-157.

35. Marco POLO, La description du monde, p. 53.

36. Robert Sabatino LOPEZ, "Nuove luci sugli italiani in Estremo Oriente prima di Colombo", p. 341-340.

37. Robert Sabatino LOPEZ, "L'extrême frontière du commerce de l'Europe médiévale", p. 488.

38. Robert Sabatino LOPEZ, "L'extrême frontière du commerce de l'Europe médiévale", p. 489; Frederic LANE, Venise. Une république maritime, p. 200.

39. Francesco Balducci PEGOLOTTI, La pratica della mercatura, p. 23-22.

40. Sévérien SALAVILLE, "Un peuple de race turque christianisé au XIIIe siècle: les Comans", Revue des Études Byzantines, 1914 ,106, p. 208-193.

(٤١) يُعرَف القاموس أيضًا باسم "قاموس بترارك» لأنّ بترارك حصل على هذا القاموس بعد بضع سنوات من كتابته. وبترارك Pétrarque (١٣٠٤-١٣٧٤م) هو باحث وشاعر وأحد أوائل الإنسانيّين في عصر النهضة (La Renaissance).

42. Comes Géza KUUN, Codex Cumanicus. Bibliothecae ad templum divi Marci Venetiarum, Budapest, 1880, p. 108-107; Sévérien SALAVILLE, "Un manuscrit chrétien en dialecte turc: le "Codex Cumanicus", Revue des Études Byzantines, 1911 ,90, p. 286-278.

43. Robert Sabatino LOPEZ, "Nouveaux documents sur les marchands italiens en Chine à l'époque mongole", p. 455.

44. Ruy GONZÁLEZ DE CLAVIJO, La route de Samarkand au temps de Tamerlan, Traduite et commentée par Lucien Kehren, Imprimerie Nationale Éditions, Paris, 2006, p. 331-325.

(٤٥) للمعلومات عن تفاصيل رحلة فاسكو دا غاما، راجع:

*V*oyages de Vasco da Gama. Relations des expéditions de 1499-1497 et -1502 1503, Récits et témoignages traduits et annotés par Paul Teyssier et Paul Valentin, Préface de Jean Aubin, Éditions Chandeigne, Paris, 1995.

لائحة المصادر والمراجع

- نورث، مايكل، **اكتشاف بحار العالم من العصر الفينيقي إلى الزمن الحاضر**، ترجمة عدنان عبّاس علي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٩.
- ANQUETIL, Jacques, Routes de la soie. Des déserts de l'Asie aux rives du monde occidental. Vingt-deux siècles d'Histoire, Éditions Jean-Claude Lattès, 1992

Éditions, Paris, 2006.

- GROUSSET, René, Histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem. II. 1187-1131. L'équilibre, Éd. Perrin, Paris, 2006.
- HEYD, Wilhelm, Histoire du commerce du Levant au Moyen Âge, II, Traduction de Furcy Reynaud, Amsterdam, 1959.
- KUUN, Comes Géza, Codex Cumanicus. Bibliothecae ad templum divi Marci Venetiarum, Budapest, 1880.
- LANE, Frederic, "Fleets and fairs: The function of the venetian muda", Studi in onore di Armando Sapori, I, Milano, 1957, p. 663-651.
- LANE, Frederic, Venise. Une république maritime, Traduction de Yannick Bourdoiseau et Marie Ymonet, Flammarion, Paris, 1985.
- LOPEZ, Robert Sabatino, "European merchants in the Medieval Indies: The evidence of commercial documents", Journal of Economic History, 1943 ,3, p. 184-164.
- LOPEZ, Robert Sabatino, "Nuove luci sugli italiani in Estremo Oriente prima di Colombo", Studi Colombiani, III, Genova, 1952, p. 136-83.
- LOPEZ, Robert Sabatino, "China silk in Europe in the Yuan period", Journal of the American Oriental Society, LXXII, 1954, p. 76-72.
- LOPEZ, Robert Sabatino, "L'extrême
- ASHTOR, Eliyahu, Levant trade in the later Middle Ages, Princeton University Press, Princeton, 1983.
- BALARD, Michel, "Les Génois en Asie centrale et en Extrême-Orient au XIVe siècle: un cas exceptionnel?", Économies et sociétés au Moyen Âge. Mélanges offerts à Édouard Perroy, Paris, 1973, p. 689-681.
- BRENTJES, Buchard, "Caravan routes through Central Asia", Les Annales Archéologiques Arabes Syriennes, Vol. 1999 ,43, p. 228-215.
- D'ANCÔNE, Jacob, Jacob D'Ancône. La cité de lumière, Texte établi et annoté par David Selbourne, Traduit de l'anglais par Pierre-Émmanuel Dauzat, Édition Fayard, Paris, 2000.
- DE PLANHOL, Xavier, L'Islam et la mer. La mosquée et le matelot VIIe-XXe siècle, Perrin, Paris, 2000.
- DE RACHEWILTZ, Igor, "Marco Polo went to China", Zentral-Asiatische Studien, des Seminars für Sprach-und Kulturwissenschaft Zentralasiens der Universität Bonn, 27, Harrassowitz Verlag, 1997, p. 92-34.
- GIMPEL, Jean, La révolution industrielle au Moyen Âge, Éditions du Seuil, Paris, 1975.
- GONZÁLEZ DE CLAVIJO, Ruy, La route de Samarkand au temps de Tamerlan, Traduite et commentée par Lucien Kehren, Imprimerie Nationale

Pierre-Yves Badel, Librairie Générale Française, Paris, 1998.

- PRAZNIAK, Roxann, “Tabriz on the Silk Roads: Thirteenth century Eurasian cultural connections”, Asian Review of World Histories, 2013 ,1:2, p. 188-169.
- RICHARD, Jean, Histoire des croisades, Éd. Fayard, Paris, 1996.
- SALAVILLE, Sévérien, “Un manuscrit chrétien en dialecte turc: le “Codex Cumanicus”, Revue des Études Byzantines, 1911 ,90, p. 286-278.
- SALAVILLE, Sévérien, “Un peuple de race turque christianisé au XIIIe siècle: les Comans”, Revue des Études Byzantines, 1914 ,106, p. 208-193.
- SANUTO TORSELLO, Marino, Liber secretorum fidelium cruces super Terrae Sanctae. Recuperatione et conservation quo et Terrae Sanctae Historia ab origine. Vol. I, Éd. Jacques Bongars, 1611.
- STÖCKLY, Doris, Le système de l'Incanto des galées du marché à Venise (fin XIIIe-milieu XVe siècle), Éd. Brill, 1995.
- THIRIET, Freddy, Régestes des délibérations du Sénat de Venise concernant la Romanie, I, Mouton et Co, Paris-La Haye, 1958.
- Voyages de Vasco da Gama. Relations des expéditions de 1499-1497 et -1502 1503, Récits et témoignages traduits et annotés par Paul Teyssier et Paul Valentin, Préface de Jean Aubin, Éditions frontière du commerce de l’Europe médiévale”, Le Moyen Âge. Revue d’histoire et de philologie, Tome LXIX, Volume jubilaire 1963-1888, p. 490-479.
- LOPEZ, Robert Sabatino, “Nouveaux documents sur les marchands italiens en Chine à l’époque mongole”, Comptes rendus des séances de l’Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, ,2-121 1977, p. 458-445.
- LOPEZ, Robert Sabatino et AIRALDI, Gabriella, “Il più antico manuale italiano della mercatura”, Miscellanea di studi storici, II, Collana storica di fonti e studi 38, Genova, 1983, p. 133-99.
- LUZATTO, Gino, “Navigazione di linea e navigazione libera nelle grandi città marinare del Medioevo”, Studi di storia economica, Venezia-Padova, 1954, p. 57-53.
- MOROZZO DELLA ROCCA, Raimondo, “Notizie da Caffa”, Studi in onore di Amintore Fanfani, III, Milano, 1962, p. 282-267.
- MOUKARZEL, Pierre, La ville de Beyrouth sous la domination mamelouke (1516-1291) et son commerce avec l’Europe, Éditions de l’Université Antonine, Baabda, 2010.
- PEGOLOTTI, Francesco Balducci, La pratica della mercatura, Ed. A.Evans, Cambridge Mass, 1936.
- POLO, Marco, La description du monde, Édition, traduction et présentation par

- WOOD, Frances, Did marco Polo go to China?, Secker and Warburg, London, 1995.
- ZORZI, Alvise, Venise. Une cité. Une république. Un Empire, Éditions de La Martinière, 2001.

Chandeigne, Paris, 1995.

- WHITE, Lynn, Technologie médiévale et transformations sociales, Traduit de l'anglais par Martine Lejeune, École Pratique des Hautes Études, Mouton, Paris, 1969.

آثار الاحتلال الفرنسي على ترحال قبائل الجنوب الشرقي المغربي قبيلة آيت خباش أنموذجا

عبد الرحمن ملوكي
دكتور وباحث في التاريخ المعاصر
ومهتم بتاريخ الترحال بالجنوب الشرقي المغربي
وزارة التربية الوطنية، مكناس/ المملكة المغربية

عرفت ظاهرة الرعي والترحال بجنوب شرق المغرب خلال فترة الاستعمار الفرنسي تحولات سوسيو مجالية عميقة؛ لاسيما بالنسبة للقبائل المرتحلة المشهورة آنذاك، والتي حاول المستعمر الفرنسي تضييق مجالها الرعوي وممارسة المزيد من الضغوط عليها قصد إخضاعها لنفوذه السياسي والترابي عبر نهج سياسة استعمارية نوعية.

ولم يكن انتجاع رحل الجنوب الشرقي وليد الفترة الاستعمارية، بل امتد لعقود بعيدة. خاصة خلال القرن التاسع عشر الذي مثل فترة الاستقرار الواسع لرحل آيت خباش الذين أسهموا إلى جانب إخوانهم رحل ذوي منيع وأولاد جرير في انتعاش واحات الجنوب الشرقي عموما وواحة تافيلالت على وجه خاص. غير أن غزو هذه القبائل سيكون له أكبر الأثر في تغيير مسارات الترحال، والدفع بالقطعان نحو مراعي بعيدة عن المجالات الحدودية، ولو أن هذا الأمر ضيق على ترحال آيت خباش، فإنه لم يستطع القضاء النهائي على الظاهرة الترحالية بجنوب شرق البلاد.

وقد أشارت تقارير ضباط الشؤون الأهلية إلى معطيات غاية في الأهمية حول الحياة الرعوية لآيت خباش خلال الفترة الاستعمارية، حيث مكنتنا هذه المعلومات من بناء تصور عام حول **نمط عيش** رحل هذه القبيلة، وزودتنا أيضا بإحصائيات وأرقام توضح بشكل جلي معالم تطور الرعي والترحال لدى أفراد آيت خباش خلال الفترة المذكورة، وبخاصة أن الاسطوغرافية الوطنية لا تفي بالغرض، ولا تشفي الغليل في هذا الموضوع الذي يندرج ضمن **تاريخ المهمشين** أو **التاريخ المنسي**، وهو مجال بحثي جديد في الدراسات التاريخية المعاصرة غالبا ما يتطلب من الباحث الوصول إلى معطيات رقمية وإحصائية دقيقة لا يمكن العثور عليها إلا بين ضفتي الأرشيف الأجنبي

عموما والفرنسي على وجه الخصوص.

تتجلى أهمية هذه الدراسة في محاولتها كشف النقاب عن معطيات تاريخية جد هامة حول تطور ظاهرة الترحال لدى قبائل الجنوب الشرقي خلال فترة حرجة من تاريخ المغرب وهي مرحلة الاستعمار الفرنسي، مع التركيز على رحل آيت خباش الذين كان لهم دور أساسي في ازدهار الحركة الترحالية خلال هذه الفترة. ويروم هذا البحث مقاربة إشكالية **آثار الاحتلال الفرنسي على ترحال القبائل بالجنوب الشرقي المغربي** عبر محورين اثنين: يتطرق المحور الأول لقطعان آيت خباش والتحديات التي اعترضت ترحالهم الموسمي، بينما يتناول المحور الثاني أهم تطورات الحركة الترحالية لهذه القبيلة، وتأثرها بالتدخل الاستعماري الفرنسي.

١- قطعان الماشية: التجليات والتحديات

لا شك أن قطعان الرحل أسهمت على مر التاريخ في تغير الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للقبائل المرتحلة؛ وإذا ما استحضرنا العوامل الطبيعية فإنه يمكن الجزم بأن سيادة المراعي ووفرة المياه عاملان أساسيان في تطور أعداد الماشية وازدهارها، ومن ثمة تزايد نفوذ وهيمنة هذه القبائل على المجالات الرعوية وعلى الشؤون السياسية أيضا، خاصة خلال الفترات التي تسيطر فيها على قصور ومداشر المستقرين.

وسواء تعلق الأمر برحل الشرق أو الغرب، الشمال أو الجنوب فإن الغاية والهدف واحد وهو رعي القطعان والاهتمام بسلامتها الصحية وزيادة عددها، الشيء الذي كان يتطلب ضرورة توغل الرعاة والمرتحلين إلى داخل المراعي والسهوب والحمادات البعيدة والمترامية الأطراف، ناهيك عن سفوح الجبال وضفاف الأودية وحصائد الحقول. وغالبا ما كان البدو الرحل يضطرون إلى الترحال بخيامهم نحو مراعي أكثر خصوبة عند نفاذ العشب في إحدى هذه المجالات الرعوية؛ وذلك عبر استخدامهم "للجمل"[١] (أو ما لقب بسفينة الصحراء) الذي كان يتحمل ثقل حمولاتهم بفضل ما تميز به من قوة، وصبر، ومقاومة للحر والزوابع الرملية.

ويعد آيت خباش أنموذجا شاهدا على مكابدة القبائل للمشاق أثناء مسيرتهم الترحالية؛ حيث عاش أفراد هذه القبيلة ردحا من الزمن يجوبون بطون الأودية وهوامش الواحات بحثا عن إشباع بطون قطعانهم الكثيرة العدد، والتي تشكلت أساسا من الماعز والأغنام والإبل، حيث كانت ترعى في المجال الواسع لقبيلتهم. وقد تميز هذا الأخير بالتنظيم، كما كان مُقسما بالتساوي بين "أفخاذ القبيلة"[٢]؛ فكان إيرجدالين يرعون قطعانهم في مجال "كَمكَم إيرجدالين"، وآيت تغلا في منطقة "كَمكَم آيت تغلا"، من دون تجاوز أي منهما لحدود الآخر، بينما كانت باقي عظام القبيلة ترعى ماشيتها، إما مع إرجدالين وإما مع آيت تغلا. أما رحل آيت بورك "فقد تميز مجال ترحالهم بالتوسع والامتداد أكثر من العظام الأخرى، إذ بالإضافة إلى ترحالهم بين مراعي زيز، وكَير، والطاوس، انتجع بعضهم بمنطقة تابلبلت"[٣].

وهذا التقسيم للمراعي يدل حقيقة على روح النظام والانضباط لدى آيت خباش الرحل، بدليل أن العظمين اللذان توزعت أراضي الرعي بينهما، كانا بحوزتهما العدد الأكبر من الماعز والأغنام،

مما يفيد، وباعتماد قانون الأغلبية، تسيدهما لهذا النشاط الحيوي الذي شكل القاعدة الأساس التي قامت عليها جل أنشطة الرحل الأخرى، وعلى الرغم من ذلك فإنهما فسحا المجال لباقي الأفخاذ الخباشية من الاستفادة من المراعي والغابات على قدم المساواة بين كل عظام القبيلة. وقد شكل هذا العرف من ناحية أخرى القانون السائد بين رحل آيت خباش والمستقرين بالجنوب الشرقي في كل عمليات ترحالهم، مما يبين دون شك "احترام الخباشين للمراعي المحروسة (**إيكَدلان** جمع **أكدال** بالأمازيغية) التي تقع بمجال ساكنة القصور"[٤].

كانت آيت خباش بتافيلالت سنة ١٩٢٦م تتوفر على "٢٠٠٠ رأس من الإبل و١٢ من الخيول فضلا عن حمار أو عدة حمير للخيمة الواحدة"[٥]. في حين توفر لدى آيت بورك خلال سنة ١٩٣٠م ما يناهز "١٥٠٠ رأس من الأغنام والماعز[٦]، وفي ١٩٣٢م بقي العدد نفسه بالنسبة لهذا العظم، بالإضافة إلى "٢١٤ من الجمال الراشدة و١١٣ ناقة"[٧]، بيد أن سنة ١٩٤٤م عرفت تزايدا في رؤوس الماشية لدى آيت خباش، فوصلت إلى "١٥٤٠ رأس من الأغنام و١٢٤٠٠ رأس من الماعز، ناهيك عن ٥٤ بقرة، و١٨٠ حمار، و٢٦٠٠ حصان"[٨].

يستشف من خلال هذه الأرقام ضخامة قطعان الأغنام والماعز لدى كل من آيت خباش وآيت بورك، مما يوحي بتحقيق هذه القبيلة قصب السبق ضمن مجموع قبائل آيت عطا فيما يتعلق بعدد رؤوس الماشية التي ساهمت كثيرا في زيادة القوة الاقتصادية لهذه القبيلة، على اعتبار أن الماشية هي المورد الرئيسي لثروتها وثرائها.

ومنه يتبين أن تربية الماشية لدى آيت خباش الرحل تختلف تماما عن مثيلتها لدى آيت خباش المستقرين.

من المعلوم أن عدد قطعان رحل آيت خباش إبان فترة الاستعمار لم يكن مستقرا، حيث تعرض لتغيرات وتذبذبات. فنجده يرتفع خلال سنوات الخصب، في حين يتراجع إبان سنوات القحط والجفاف، وهو ما حدث في الواقع خلال سنة ١٩٣٦م، العام الذي تقلصت فيه مراعي المنطقة بشكل خطير، نظرا لعامل **الجفاف** الذي ضرب الجنوب الشرقي عموما وتافيلالت على وجه خاص، مما أدى إلى "تدهور أوضاع قطعان الماشية وتفاقم أحوالها الصحية، فأضحت جراء ذلك تملأ جنبات سوق أبي عام، لبيعها والتخلص من أعبائها، مقابل أثمان زهيدة، عوض أن تتعرض للهلاك وتنفق بسبب الجوع"[٩].

ويبدو جليا، من خلال تتبع مسار ترحال قبيلة آيت خباش، التغير المستمر لأماكن الرعي - إذ أن المرعى يكون فصليا فقط وبمجرد نهاية فصل من الفصول يتبدل معه مجال رعي الماشية ومن ثمة استئناف آيت خباش لمرحلة جديدة من الترحال - بغرض الوصول إلى موطن جديد يتوفر على الكلإ والماء الكافيان لمواشيهم. وهو ما ساهم بطبيعة الحال في انتشار خيامهم في أحواض الأنهار، وبالحمادة ومنطقة كَمكَم أو بتخوم واحات المستقرين. لذلك شكلت كل من أودية زيز، وغريس، والداورة أفضل المناطق لرعي إبل الخباشيين، في الوقت الذي كان رعاة أغنامهم وماعزهم يترددون رفقة قطعانهم على "الحمادة، وكَمكَم، والمرتفعات الجبلية بين زيز وغريس"[١٠]. ومنه، يستخلص أن هذه

الحركة الدائمة لرحل آيت خباش، و**توسع مجال انتجاعهم**، أسهم بشكل كبير في التزايد المطرد لأعداد قطعانهم خلال فترة الاستعمار.

انطلاقا مما سبق يتضح أن قبيلة آيت خباش التي جابت مراعي وحمادات جنوب شرق المغرب قبل وخلال الحقبة الاستعمارية، كانت تتوفر على قطعان كثيرة من الماشية، وهو الأمر الذي أكدته تقارير ضباط الشؤون الأهلية التي أوردت معطيات إحصائية دقيقة حول أعداد وأنواع الماشية التي كانت توجد بحوزة أفراد القبيلة. هذه الأعداد الكبيرة من رؤوس الماشية كانت دون ريب تطرح عدة تحديات سواء في **تغذيتها** أو في **حراستها ووقايتها من الأمراض والأوبئة**، بيد أن المستعمر كان من بين أهم المعيقات التي عرقلت المسار الترحالي لقبائل الجنوب الشرقي وفي مقدمتهم آيت خباش الذين غالبا ما كانوا يتبنّون أسلوب الجهاد والمقاومة كرد فعل تجاه سياسة التضييق والمحاصرة التي كانت تنهجها ضدهم سلطات الاستعمار الفرنسي.

٢ – آثار الاستعمار الفرنسي على ترحال آيت خباش

أ – الانتجاع والترحال

يعتبر الترحال خاصية إنسانية، لازمت الإنسان أفرادا وجماعات منذ البدايات الأولى لظهوره على سطح الأرض، فكلما شح مرتع تواجده ارتحل إلى مكان آخر لعله يكون أفضل من سابقه. بيد أن الطابع الاجتماعي الذي تميز به هذا الأخير، جعله يتكتل في إطار جماعات وقبائل؛ قصد تحقيق هدفين اثنين، أولهما التعاون لجلب المنافع، وثانيهما درءاً للمخاطر. هكذا احتمى الفرد بالفرد مشكلا القبيلة التي آوت هذا الفرد، ووفرت له ما كان يعجز عنه منفردا، مثل الأمان والحاجيات الضرورية للعيش. وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمة كتابه "العبر" إذ قال بأن اجتماع الأفراد في قبيلة بدوية معينة، إنما هو للتعاون على تحصيل المعيشة، عبر طريقتين متمايزتين؛ فمنهم **"من يستعمل الفَلْحَ من الغراسة والزراعة؛ ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعْز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها"**[١١].

هكذا يقسم ابن خلدون القبائل البدوية إلى صنفين: الأولى قبائل مستقرة تعيش على الزراعة والغراسة، والثانية قبائل رحل تشتغل بالرعي والترحال، عبر مجال رعوي شاسع، يسمح لها **بالتنقل والانتجاع** بقطعان ماشيتها المتعددة الأنواع والكثيرة الاعداد. كما أن صاحب المقدمة يؤكد في موضع آخر على **أصالة البداوة والترحال**، حيث يعتبر البدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما، على اعتبار أن سكان المدن والحواضر انتهوا من تحصيل الضروري من العيش، وانشغلوا بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم، في الوقت الذي اكتفى فيه **البدو الرحل** بالضروري في المعاش، الذي يحقق لهم الحاجيات الفطرية الآنية، من أكل وشرب وملبس.

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول إن **الترحال** كان وما يزال يميز **نمط عيش** عدد هام من القبائل في مختلف أصقاع المعمورة، حيث يرفض الكثير من الرحل التخلي عن هذا النمط من الحياة، الذي يعتبرونه إرثًا تاريخيًا لآبائهم

وأجدادهم، وجب الحفاظ عليه ونقله إلى أبنائهم وأحفادهم، من أجل بقائه واستمراره، خاصة وأن هذا **الأسلوب من العيش** أصبح مهددا من قبل **وسائل حياة الاستقرار المعاصرة**، وما يميزها من تكنولوجيات حديثة ومتطورة في التنقل والتواصل والغذاء وباقي الخدمات الأخرى.

يعد نمط ترحال آيت خباش جزءا لا يتجزأ من الشكل الترحالي العام الذي تميز بالطابع الموسمي للانتجاع. تجلى ذلك في "قيام أفراد هذه القبيلة بالتنقل خلال فصل الصيف شمالا نحو المرتفعات العليا للأطلس، وشتاء يعودون إلى الجنوب في اتجاه المناطق المنخفضة، تبعا لتغير **وفرة المراعي والمياه**"[١٢]. ويوضح الجدول التالي تطور حركة الترحال لآيت خباش بالجنوب الشرقي بالمقارنة مع رحل المناطق المجاورة:

جدول رقم١: تطور حركة انتجاع آيت خباش ورحل القبائل المجاورة لهم ما بين ١٩٣٦ و١٩٣٩م

عدد خيام الرحل سنوات الترحال	عدد خيام آيت خباش	عدد خيام القبائل المجاورة
١٩٣٦ [١٧]	١٥٧	١٥٣
١٩٣٧ [١٨]	٢٦١	٩٣
١٩٣٨ [١٩]	٣٣٤	٧٩
١٩٣٩ [٢٠]	١٨٨	٨

يبدو واضحا من خلال معطيات الجدول مدى التباين الحاصل بين عدد خيام آيت خباش وباقي رحل القبائل المجاورة لهم. وللإشارة فإن إحصائيات رحل القبائل الأخرى لم تقتصر على قبيلة أو قبيلتين، بل شملت جميع القبائل المنتجعة بمراعي الجنوب الشرقي المغربي، هذه القبائل التي لم تكن على مستوى واحد من الثقل الترحالي، نظرا لتفاوت عدد خيامها في كل مواسم النُّجْعة والترحال، بدليل وجود قبائل تتوفر على عدد كبير من الخيام والقطعان، وأخرى ليس لديها إلا عدد قليل ومتواضع من العناصر نفسها.يظهر هذا التفاوت إذا، في اعتبار ذوي منيع وأولاد جرير أهم القبائل المرتحلة بعد آيت خباش، حيث وصل تعداد خيامها خلال النصف الأول من سنة ١٩٣٦م إلى ١٢٠ خيمة (تخّامْت بالأمازيغية)، في حين لم تحظ قبيلة آيت علي إلا بثلاث (٠٣) خيام وحواتيش (إحوتاشن) بست (٠٦) خيام. وعلى هذا الأساس يمكن تصنيف هذه القبائل تبعا لأهميتها الترحالية إلى ما يلي:

جدول رقم ٢: تفاوت الأهمية الترحالية للقبائل المجاورة لآيت خباش على عهد الاستعمار[١٣]

التصنيف حسب أهميتها الترحالية	اسم القبيلة
درجة جيدة	ذوي منيع وأولاد جرير
" "	آيت سفول
درجة متوسطة	آيت ايعزى
" "	آيت يحيى أوموسى
درجة ضعيفة	حواتيش
درجة ضعيفة جدا	آيت علي
" " "	معاضيد

وبالرجوع إلى معطيات جدول انتجاع آيت خباش والقبائل الأخرى يتأكد التفوق الكبير لهذه القبيلة من حيث عدد الخيام، ومن ثمة ارتفاع عدد القطعان والأفـراد كنتيجة حتمية لتزايد المخيمات الترحالية. وهو أمر ينم بطبيعة الحال عن تنامي قوة رحل آيت خباش ورجحان ثقلهم الرعوي والاقتصادي، مما أسهم في هيمنتهم المجالية والتجارية على واحات الجنوب الشرقي في العديد من الفترات التاريخية لاسيما خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والعقود الثلاث الأولى من القرن العشرين. من الواضح أن هذه الهيمنة الخباشية لا يمكن تفسيرها إلا في إطار تأثير عاملين اثنين؛ يتجلى الأول، في أن فترة الاستعمار مثلت نهاية سيطرة القبيلة على واحات التخوم الشرقية للمغرب وزحفها نحو تافيلالت المركز المحوري لواحات الجنوب الشرقي، التي وجدت فيها ملاذا آمنا لخيامها، ومجالا خصبا لنشاطها الرعوي والزراعي بعد ذلك، وأيضا مركزا حيويا لتجارتها القوافلية التي وصل امتدادها إلى السودان الغربي.

أما العامل الثاني فيظهر من خلال انخراط رحل القبيلة في علاقـات سياسية مع قصور تافيلالت، في إطار تحالفات دفاعية، مكنت آيت خباش من تصدر قائمة القبائل التي تسهر على تدبير الأنشطة الاقتصادية للمنطقة، وبخاصة ما كان مرتبطا منها بالتجارة الصحراوية والتجارة مع مدن الشمال والساحل الأطلسي. وفي السياق ذاته، عرف رحل آيت خباش اختلافا كبيرا فيما بين العظام (إيغس) المشكِّلة للقبيلة، سواء من حيث عدد الخيام أو مناطق الانتجاع الموسمي خلال الفترة المدروسة.

جدول رقم٣: تباين حركة الانتجاع بين آيت بورك وباقي عظام آيت خباش خلال فترة ١٩٣٦ - ١٩٣٩م (١٤)

عظام القبيلة سنوات الترحال	آيت بورك	باقي عظام آيت خباش		باقي عظام آيت خباش	
	عدد الخيام	مناطق الانتجاع		عدد الخيام	مناطق الانتجاع
١٩٣٦	١٣٨	بوذنيب، الطاوس والريصاني		١٩	الطاوس والريصاني
١٩٣٧	٢١٣	العبادلة، تابلبلت بني عباس، أرفـود، الطاوس الريصاني		٤٨	" "
١٩٣٨	٢٦٩	تالسينت، بوذنيب أرفود، والريصاني		٦٤	" "
١٩٣٩	١٣٤	تالسينت، بوذنيب أرفود، والريصاني		٥٤	" "

تبين معطيات هذا الجدول أن رحل آيت بورك يمتلكون دون شك الحظ الأوفر من عدد الخيام. وعلى الرغم من تشييدهم بعض القصور بهوامش واحة تافيلالت مثل قصر هارون، فإنهم لم يستقروا بها، ما عدا بعض العائلات القليلة، التي ظلت هي الأخرى وفية لنجعتها عبر إسناد هذه المهمة لراعي أو عدة رعاة ينتمون إلى فئة الحراطين الذين يلقبون محليا بْرَكَاكَة.

وفيما يتعلق بمجال انتجاع آيت بورك، الذي كان مجالا شاسعا ومتنوعا؛ فإنه لم ينحصر على مجال ضيق، كما هو شأن باقي عظام آيت خباش التي اقتصر ترحالها على مراعي الطاوس والريصاني فقط، بل استطاع هؤلاء الامتداد بعيدا في عملياتهم الانتجاعية، التي شملت مناطق خـارج حـدود التراب الوطني المغربي، كالعبادلة وتابلبلت، وبني عباس، فضلا عن مراعي أرفـود، والطاوس، والريصاني. ومن غير المستبعد تأثير المساحة الكبيرة لمجال الترحال على تعدد وتنوع مراعي الانتجاع، ومن ثمة تزايد الخيام والقطعان، خاصة وأن القاعدة الثابتة للترحال هي أن كثرة المراعي واستمرار استفادة الماشية منها طيلة السنة تؤدي حتما إلى ضخامة القطيع وجودته.

وهكذا شكل رحل آيت خباش بالجنوب الشرقي المغربي خلال فترة الاحـتلال الفرنسي قطب الرحى بالنسبة لمجموع قبائل الرحل بالمنطقة؛ وهـذا ما جعلهم، على ما يبدو مركز اهتمام سلطات الاستعمار، التي كانت أكثر ما تخشاه هو تنامي القوة الاقتصادية للخباشيين المرتحلين. حيث إنه كلما اتسع مجال الترحال فإن القبيلة تـزداد قوة ونفوذا، سيما فيما يتعلق بالجانب السياسي واتساع رقعة العلاقات والتحالفات

السياسية مع القبائل والقصور المجاورة.

لذلك كانت نقطة القوة بالنسبة لقبائل رحل الجنوب الشرقي عموما هي حرصهم على امتلاك مجال رعوي ممتد وواسع فضلا عن الانخراط في تحالفات سياسية وعسكرية قوية ومتينة. فالمجال الجغرافي والتحالف القبلي عاملان أساسيان من عوامل الصمود والمقاومة، وعكس ذلك، يؤدي غياب هذين العاملين أو أحدهما إلى نكوص وتلاشي الظاهرة الترحالية لدى الرحل الذين يودون الحفاظ على نمط عيشهم وأسلوب حياتهم الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم.

ب – السياسة الاستعمارية

حرصت سلطات الاستعمار الفرنسي على تشديد المراقبة على حركة ترحال قبائل الجنوب الشرقي عبر فرض رخصة الترحال على كل خيمة ترغب في الانتجاع، سواء أكان ذلك داخل مراعي تافيلالت، أم في مراعي المناطق المجاورة؛ وعلى سبيل المثال، فقد "منح مكتب الريصاني ٥٣ رخصة ترحال خلال النصف الأول من سنة ١٩٣٥م، شملت ٥٣ خيمة تنتمي إلى قبائل آيت خباش، وآيت يحيى أو موسى، وآيت إيعزى، في حين بلغ مجموع عدد أفراد هذه الخيام ٤٤٧ شخص، وعدد قطعانها ٦٧٩ رأس من المعز، و٤٦٨٠ من الأغنام، و٣٧٩ من الإبل ثم ٥٤ من الحمير" [١٥].

أسهمت سياسة التفرقة التي نهجتها السلطات الاستعمارية في جنوب شرق المغرب من خلال تقسيم القبائل إلى سكان قصور مستقرين، ورحل منتجعين في تمزيق عرى الوحدة الاجتماعية بالمنطقة فضلا عن تكريس ازدواجية التعليمات والقرارات؛ ولعل ما يؤكد ذلك، هو تنفيذ تدابير صارمة على حركة قبائل الرحل خاصة آيت خباش، الذين كانت تفرض عليهم الظروف الطبيعية مسألة الترحال، والتنقل إلى أماكن أكثر وفرة للكلإ والمياه. ويبين الجدول أسفله تطور حركة الترحال ما بين ١٩٣٥ و١٩٣٩م:

جدول رقم٤: تطور ترحال القبائل داخل وخارج تافيلالت ما بين ١٩٣٥ و١٩٣٩م

رحل المناطق المجاورة في تافيلالت (بالخيمة)	رحل تافيلالت في المناطق المجاورة (بالخيمة)	سنوات الترحال
٢٢١	١٦٦	١٩٣٥[٢١]
٣٨٣	٨٩	١٩٣٦[٢٢]
٥١	١٦٢	١٩٣٧[٢٣]
٩٠	٢٤٨	١٩٣٨[٢٤]
٣٢	١٧٥	١٩٣٩[٢٥]

توضح أرقام الجدول انتعاش الحركة الترحالية بتافيلالت خلال ثلاثينات القرن العشرين، رغم تباين أعداد الرحل من سنة إلى أخرى، وتباين كذلك عدد المنتجعين داخل منطقة تافيلالت، والمرتحلين خارجها. لكن ما يمكن استنتاجه عموما من هذه المعطيات، هو ارتفاع عدد رحل تافيلالت وضمنهم آيت خباش، في المناطق المجاورة خلال سنوات ١٩٣٧ و١٩٣٨م، وهي سنوات جفاف بمنطقة تافيلالت، مما أثر على انتجاع رحل المناطق المجاورة داخل مراعي المنطقة، حيث لم يتجاوز عددهم ٥١ خيمة سنة ١٩٣٧م.

ومن خلال المقارنة بين الترحال داخل تافيلالت والانتجاع خارجها، يتضح أن أعداد رحل تافيلالت الذين يجوبون مراعي المناطق المجاورة أكثر من رحل المناطق المجاورة المنتجعون داخل تافيلالت؛ إذ وصل عدد خيام رحل المنطقة ٨٤٠ خيمة، بينما لم يتعد الرحل الأجانب داخل تافيلالت ٧٧٧ خيمة. وهذا ما يدل بالتأكيد على ضعف مراعي واحة تافيلالت، التي لا تستطيع تحقيق ضروريات العيش ليس لقبائل الرحل وقطعانهم فحسب، بل شمل هذا الأمر أيضا السكان المستقرين بالقصور، الذين اضطر أغلبهم خلال فترة الاستعمار إلى الهجرة خارج المنطقة لتحصيل لقمة العيش.

يجب التنبيه في هذا الجانب إلى أن عدد هام من الخيام المرتحلة كانت تنتجع في تافيلالت بدون رخص الترحال؛ لأن عملية الحصول على هذه الرخص من قبل مكاتب ضباط الشؤون الأهلية كانت تعترضه العديد من الصعوبات والعراقيل، وصلت إلى حد امتناع بعض المكاتب عن منح تلك الرخص لبعض الرحل بشكل مطلق.

ونظرا لهذه المشاكل المرتبطة ربما بالسياسة الداخلية لبعض المراكز الفرنسية المحلية، فإن مراكز إدارية محلية أخرى تعاملت بمرونة مع الخيام التي لا تملك رخصا للترحال؛ وظهر هذا الأمر بشكل أساس مع مكتب الريصاني بقيادة الكابتن "كورنيوط" (Corniot) الذي "سمح بدخول ٢٩١ خيمة إلى مراعي تافيلالت مع بداية سنة ١٩٣٦. هذه الخيام ضمت ٥٠٠ فرد، و٨٠٠٠ رأس من الماشية، وكلها كانت تنتمي إلى مكاتب الطاوس، وأرفود وألنيف. بيد أن هذا العدد الكبير من الرحل، لم يتمكنوا من الحصول على رخص الترحال في المناطق المجاورة، باستثناء ٧ خيام فقط"(١٦).

من الراجح أن سياسة التشدد في منح رخص الترحال كانت تهدف إلى استقطاب قبائل الرحل نحو حياة الاستقرار، وخاصة جذب آيت خباش الرحل نحو الاستقرار بقصور تافيلالت، وإمدادهم بوسائل السقي والزراعة الضروريين لنمط عيشهم الجديد. لذلك يلاحظ أن النشاط الرعوي لدى رحل الجنوب الشرقي المغربي إبان الفترة الاستعمارية كان على درجة كبيرة من الأهمية، على اعتبار أن سلطات الاحتلال – عبر سياستها الأهلية بالمنطقة - حاولت إيلائه ما يستحق من عناية واهتمام.

على العموم، يلاحظ ممارسة نوع من التضييق والمراقبة الصارمة لهذا النوع من الأنشطة الاقتصادية، أكثر على ما يبدو من الزراعة وغراسة الأشجار، ولا يمكن فهم هذا الأمر إلا

بالعودة إلى أهداف ومرامي السياسة الفرنسية تجاه رحل الجنوب الشرقي عموما وآيت خباش الرحل خصوصا، هذه السياسة التي كانت تركز على استقطاب الرحل وجذبهم إلى حياة الزراعة والاستقرار، بدل النجعة والترحال، وذلك بنهج العديد من الوسائل والآليات الهادفة إلى إغراء وتشجيع الخباشيين وغيرهم من الأسر المترحّلة للسكن في القصور وممارسة أنشطة المستقرين.

أثّر الاحتلال الفرنسي على موارد آيت خباش من النشاط الرعوي، حيث أدت سياسة التشديد عل تحركات الرحل من جهة، وتضييق الخناق على أماكن انتجاع قطعانهم من جهة أخرى، إلى تراجع مداخيلهم من النشاط الرعوي وكذا التبادلات التجارية مع باقي سكان القصور، ومن ثمة تحول جزء منهم نحو حياة الاستقرار على الرغم من تمسك جلهم بالحياة الرعوية التي كانوا أشد حرصا على استحضار قيمها وروحها في كل أعمالهم وممارساتهم اليومية.

إن جهود سلطات الاستعمار الرامية إلى الدفع برحل الجنوب الشرقي نحو حياة الاستقرار كانت ترتكز على محاولة جعل هذه القبائل تستقر في قصور أو مداشر خاصة أو مشتركة، وممارسة النشاط الزراعي والأنشطة الاقتصادية الأخرى الموازية من حرف وصنائع وتجارة. فإذا اشتغل الرحل بهذه الأعمال انشغلوا عن المقاومة وتنظيم الحركات الجهادية، لأنهم لن يجدوا متسعا من الوقت للقيام بذلك، ومن ثمة تخمد جذوة مقاومتهم للمستعمر، وتنطفئ نيران هجماتهم وحملاتهم ضد المصالح الاقتصادية والعسكرية الفرنسية.

لقد تميزت السياسة الاستعمارية تجاه قبائل الرحل عموما بنوع من الشدة والقسوة، لاسيما مع رحل آيت خباش الذين كانت السلطات الفرنسية ترى فيهم عنصر تحريض واستفزاز لإدارتها المحلية بمجموع المراكز والمكاتب المدنية والعسكرية بالجنوب الشرقي. ومهما يكن من أمر بخصوص هذه السياسة النوعية لفرنسا مع العناصر البشرية الممتهنة للانتجاع والترحال **كنمط حياة** فإن الاستعمار تبنى الأسلوب نفسه حتى في مناطق أخرى خارج التراب المغربي سيما بالمشرق العربي المتميز بأصالة وعراقة ترحال القبائل، حيث ركز الاستعمار البريطاني بهذه الربوع على الدفع بالمرتحلين نحو الاستقرار والاشتغال بوظائف متعددة. مما يؤكد بدون شك المشترك التاريخي بين المشرق والمغرب، سواء من حيث نمط عيش القبائل المذكورة، أومن حيث السياسة الاستعمارية المطبقة على هذه القبائل ببلدان المشرق العربي أو مناطق الجنوب الشرقي المغربي.

الخاتمة:

لقد أسهمت قبائل الرحل بشكل وازن في صناعة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجنوب الشرقي المغربي، وذلك منذ فترة طويلة سابقة عن الغزو الاستعماري للتخوم الشرقية المغربية. حيث أسهمت مجموعة من العوامل في تحقيق ذلك؛ في مقدمتها توفر هذه القبائل على أعداد كبيرة من القطعان التي زادت من مداخيل هؤلاء الرحل، ووسعت من نفوذهم السياسي والاقتصادي بهذه المناطق. وجدير بالذكر أن آيت خباش شكلت إحدى أهم هذه القبائل، سواء من حيث عِظَم عدد قطعانها، أو من حيث قوتها العسكرية وتأثيرها

الاقتصادي على مجموع قبائل وقصور واحات الجنوب الشرقي عموما.

ولعل قساوة الظروف الطبيعية كانت من بين التحديات الكبرى في ممارسة النشاط الرعوي لدى رحل قبيلة آيت خباش، حيث سيادة الرقوق والحمادات وقلة المراعي والغابات، ناهيك عن ضعف التساقطات واكتساح الجفاف لمجالات واسعة بالجنوب الشرقي. وعلى الرغم من هذه المشاكل البيئية فقد تمكن الخباشيون من التأقلم مع ظروفهم المحلية من خلال اعتمادهم على الانتجاع والترحال من المناطق الجافة إلى الواحات والمراعي الخضراء، التي تضْمن المياه والكلأ الكافي لقطعانهم الكثيرة والتي كانت أعدادها تقدر بعشرات الآلاف.

وقد ارتبط رعي القطعان لدى قبائل الرحل بنمط الترحال (ترْحّالتْ بالأمازيغية) الذي انتشر بالنطاق الصحراوي عموما. حيث كانت تمتلك هذه القبائل قطعان كبيرة من الأغنام والماعز والإبل؛ لأنه أتيح لها مجال رعوي واسع، وتنوع طبوغرافي كبير (حمادات وسهول وجبال وأودية). ويعتبر نظام الرعي "أكَدال" بمجال آيت خباش، واحدا من العادات المتوارثة المقنّنة لنظام الرعي بواحات تافيلالت، بحيث يمنع الرعي خلال فترات معينة، احتراما للراحة البيولوجية للمراعي. وفي هذا الإطار يتأكد أن عرف "أكَدال" أسهم في ترسيخ دعائم التعايش والتساكن والاستثمار الأمثل والمستدام للموارد المحدودة بالنسبة للرحل والمستقرين على السواء، وعلى الرغم من الإمكانيات المحدودة للطرفين فإنهم استطاعوا تدبيرها بشكل معقلن فيما بينهم.

ومعلوم أن ظاهرة الرعي والترحال استمرت حتى بعد الاحتلال الفرنسي لواحات كَير وزيز ودرعة، إذ واصلت قبيلة آيت خباش وباقي رحل الجنوب الشرقي عملية الانتجاع في بطون ومراعي الأودية المذكورة طيلة الفترة الاستعمارية. لكن ممارسة هذه القبائل للرعي خلال عهد الاستعمار لا يعني أنها كانت حرة في مسارات انتجاعها، أو تصول وتجول بأماكن العشب والمياه كما كان حالها قبل التدخل الاستعماري، بل أصبحت مراقبة بشدة من قبل سلطات الاحتلال، حيث لا يمكن لقبائل الرحل القيام بأية حركة ترحالية من دون تسلمها لرخصة الترحال من لدن مكتب ضباط الشؤون الأهلية التابعة له. وقد أسهمت في الواقع هذه الإجراءات الأمنية المشددة في تقلص مخيمات الرحل سيما آيت خباش الذين اضطر معظمهم إلى الاستقرار في الواحة الفيلالية، والاشتغال بزراعة الأراضي التي تغطيها الفيضانات، بينما بعضهم الآخر أصبح يعمل في مناجم صاغرو والطاوس، حيث إن ظاهرة الاستقرار لم تهم رحل تافيلالت أو رحل الجنوب الشرقي فحسب، بل شملت آنذاك كل المزاولين للرعي الترحالي في المغرب بصفة عامة.

وختاما فإن هاته الدراسة لم تتطرق لجميع قضايا حركة الترحال لدى قبائل الجنوب الشرقي المغربي خلال الفترة المدروسة، بل حاولت ملامسة موضوع الترحال في علاقته بالاستعمار، عبر تحليل مجموعة من تقارير ضباط الشؤون الأهلية، التي زودتنا بمعطيات إحصائية هامة، حاولنا من خلالها وضع صورة عامة عن تطور

الحركة الترحالية لقبائل الجنوب الشرقي عموما وآيت خباش خصوصا إبان الفترة الاستعمارية. وعلى الرغم من الأهمية التاريخية لهذا الموضوع فإن الدراسات والأبحاث التي تتناوله بالدراسة والتحليل سيما من الزاوية التاريخية نادرة جدا. لذلك، ومن خلال **توصيات** هذا البحث فإننا نهيب عموم الباحثين والمهتمين بتاريخ الانتجاع والترحال بضرورة تعميق البحث في مسألة **التطور التاريخي** لحركة الترحال خلال الحقبة الاستعمارية ليس بالمغرب فحسب، بل في كافة الوطن العربي والإسلامي.

الهوامش

(١) عرفت منطقة تافيلالت نوعين من الجمال: الجمال الشبانية وجمال الركَيبات التي تسمى أيضا بالمهاري، والاختلاف بينهما هو أن هذه الأخيرة تتميز بضخامة الحجم وسرعتها وعدم استطاعتها تحمل قدر كبير من الأثقال، في حين الجمال الشبانية تتميز بضعف ضخامة حجمها مقارنة مع النوع الآخر وفي مقدورها تحمل ما بين ١٥٠ و٢٠٠ كلغ. لمزيد من المعلومات بهذا الصدد راجع:

حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، صص ٣٤٠ - ٣٤٥.

(٢) أفخاذ القبيلة تعني فروعها، التي تشكلت من خمس عظام وهي: آيت تغلا، آيت عمر، آيت بورك، إرجدالين ثم إلحيان.

3. Rapport du Lt.Col.Belown -Commandant le Cercle du Sud, N° 997/A.I.R, 28 Janvier 1926, Dossier Fiche de Tribu des Ait Khebbache du Tafilalet, Carton 14MA/277/900, Série Meknès, A. D.N, pp 11 - 10.

(٤) لحسن آيت الفقيه، حقوق الرعي والتنقل لدى فيدرالية "أيت ياف المان" بجبال الأطلس الكبير الشرقي المغربية:

https://www.ahewar.org/23 Mai2018

5. Rapport du Lt. Col.Belown Commandant le Cercle du Sud, N° 997/A.I.R, 28 Janvier 1926, Dossier Fiche de Tribu des Ait Khebbache du Tafilalet, Carton MA/277/900, Série Meknès, A. D.N, p 11.

6. Rapport du Capitaine Charpentier Chef du bureau des Affaires Indigènes d'Erfoud, Etude sur la Tribu des Ait khebbach, 20 septembre 1930, Microfilm GR9M1126, S. H. A. T, p 15.

7. Rapport du Lt. Magenc Chef du bureau des Affaires Indigènes, N° 997/A.I.R, 27 Décembre 1932, Dossier Fiche de Tribu des Ait Khebbache du Tafilalet, Carton 14MA/277/900, Série Meknès, A. D.N, p 16.

8. Rapport du L'Adjudant-Chef Poitier, op. cit, p 8.

9. Rapport Le Cap. BrissaudDesmaillet, Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, 14 Mars 1936, Dossier Rapport Trim, °1 Trim. 1936, Carton 14 MA/900, Série Meknès, A. D. N.

10. Rapport du L'Adjudant-Chef Potier Chef du Post de Taouz, N° 84/A.I.T, 20 Avril 1944, Dossier Fiche de Tribu des Ait Khebbache du Tafilalet, Carton 14 MA/277/900, Série Meknès, A. D.N, p 8.

(١١) عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م / ١٤٢٤ه، ص ١٣٥.

(١٢) روس إدان، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي: المواجهة المغربية للأمبريالية الفرنسية ١٨٨١ - ١٩١٢، ترجمة أحمد بوحسن، منشورات زاوية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٧٧، ص ٣٦.

Rapport Le Cap. BrissaudDesmaillet Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, 14 Décembre 1936, N 1356 / A. I. - R, Dossier Rapport Trim, °4 Trim. 1936, Carton 14MA/900, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Cap. BrissaudDesmaillet Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, N° 1570 A. I. /R, 15 Décembre 1937, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1937, Carton 14 MA/900, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Cap. Mayer Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani,, 15 Décembre 1938, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1938, Carton 14MA/900 / 277, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Capitaine Mayer Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, N° 594 A.I. /R, 15 Juin 1939, Dossier Rapport Trim, 2° Trim. 1939, Carton Maroc Protectorat 1912 - 1956 MA/900 / 277, Série Meknès, A. D. N.

(١٣) إنجاز الباحث بالاعتماد على التقارير التالية:

Rapport Le Cap. BrissaudDesmaillet Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, 14 Décembre 1936, N 1356 / A. I. - R, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1936, Carton 14MA/900, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Cap. BrissaudDesmaillet Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, N° 1570 A. I. /R, 15 Décembre 1937, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1937, Carton 14 MA/900, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Cap. Mayer Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani,, 15 Décembre 1938, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1938, Carton 14MA/900 / 277, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Cap. Mayer Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, N° 594 A.I./R, 15 Juin 1939, Dossier Rapport Trim, 2° Trim. 1939, Carton Maroc Protectorat 1912 - 1956 MA/900 / 277, Série Meknès, A. D. N.

(١٤) أنجز هذا الجدول اعتمادا على معطيات التقارير الفصلية التالية:

Rapport Le Cap.BrissaudDesmaillet Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, 14 Décembre 1936, N 1356 / A. I. - R , Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1936,Carton 14MA/900, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Cap.BrissaudDesmaillet Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, N° 1570 A. I. /R, 15 Décembre 1937, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1937,Carton 14 MA/900, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Cap. Mayer Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, 15 Décembre 1938, Dossier Rapport Trim,

4° Trim. 1938,Carton 14MA/900 / 277, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Cap .Mayer Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, N° 594 A.I. /R, 15 Juin 1939, Dossier Rapport Trim, 2° Trim. 1939,

Carton 14MA/900 / 277, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Cap. Corniot Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, 14 Juin 1935, Dossier Rapport Trim, 2° Trim. 1935, Carton 14 MA/900, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Cap. Corniot Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, 12 Décembre 1935, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1935, Carton, 14 MA/900, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Cap. BrissaudDesmaillet Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, 14 Décembre 1936, N 1356 / A. I. - R, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1936, Carton 14MA/900, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Cap. BrissaudDesmaillet Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, N° 1570 A. I. /R, 15 Décembre 1937, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1937, Carton 14 MA/900, Série Meknès, A. D. N.

Rapport Le Cap. Mayer Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani,15 Décembre 1938, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1938,Carton, 14MA/900 / 277, Série Meknès, A. D. N.

15. Rapport Le Capitaine Mayer Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, N° 594 A.I./R,15 Juin 1939, Dossier Rapport Trim, 2° Trim. 1939, Carton 14MA/900 / 277, Série Meknès, A. D. N.

16. Rapport Le Cap. Corniot Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, 14 Mars 1936, Dossier Rapport Trim, 1° Trim. 1936, Carton 14 MA/900, Série Meknès, A. D. N.

لائحة المصادر والمراجع

العربية:

(١) آيت الفقيه (لحسن)، حقوق الرعي والتنقل لدى فيدرالية "أيت ياف المان" بجبال الأطلس الكبير الشرقي المغربية:

- https://www.ahewar.org/ 23 Mai 2018

(٢) إدان (روس)، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي: المواجهة المغربية للأمبريالية الفرنسية ١٨٨١ ـ ١٩١٢، ترجمة أحمد بوحسن، منشورات زاويـة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٧٧.

(٣) بن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م / ١٤٢٤ه.

(٤) حافظي علوي (حسن) ، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الفرنسية:

5. Rapport du Lt. Col. Belown - Commandant le Cercle du Sud, N°

11. Rapport Le Cap. Brissaud Desmaillet Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, 14 Décembre 1936, N 1356 / A. I. - R, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1936, Carton 14MA/900, Série Meknès, A. D. N.

12. Rapport Le Cap. Brissaud Desmaillet Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, N° 1570 A. I. /R, 15 Décembre 1937, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1937, Carton 14 MA/900, Série Meknès, A. D. N.

13. Rapport Le Cap. Mayer Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani,, 15 Décembre 1938, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1938, Carton 14MA/900 / 277, Série Meknès, A. D. N.

14. Rapport Le Cap. Mayer Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, N° 594 A.I. /R, 15 Juin 1939, Dossier Rapport Trim, 2° Trim. 1939, Carton Maroc Protectorat 1912 - 1956 MA/900 / 277, Série Meknès, A. D. N.

15. Rapport du L'Adjudant-Chef Potier Chef du Post de Taouz, N° 84/A.I.T, 20 Avril 1944, Dossier Fiche de Tribu des Ait Khebbache du Tafilalet, Carton 14 MA/900/277, Série Meknès, A. D.N

997/A.I.R, 28 Janvier 1926, Dossier Fiche de Tribu des Ait Khebbache du Tafilalet, Carton 14MA/900/277, Série Meknès, A. D.N

6. Rapport du Capitaine Charpentier Chef du bureau des Affaires Indigènes d'Erfoud, Etude sur la Tribu des Ait khebbach, 20 septembre 1930, Microfilm GR9M1126, S. H. A. T.

7. Rapport du Lt. Magenc Chef du bureau des Affaires Indigènes, N° 997/A.I.R, 27 Décembre 1932, Dossier Fiche de Tribu des Ait Khebbache du Tafilalet, Carton 14MA/900/277, Série Meknès, A. D.N

8. Rapport Le Cap. Corniot Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, 14 Juin 1935, Dossier Rapport Trim, 2° Trim. 1935, Carton 14 MA/900, Série Meknès, A. D. N.

9. Rapport Le Cap. Corniot Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, 12 Décembre 1935, Dossier Rapport Trim, 4° Trim. 1935, Carton, 14 MA/900, Série Meknès, A. D. N.

10. Rapport Le Cap. Brissaud Desmaillet, Chef du bureau des Affaires Indigènes de Rissani, 14 Mars 1936, Dossier Rapport Trim, 1° Trim. 1936, Carton 14 MA/900, Série Meknès, A. D. N.

الحُضُور المَغْربيّ في مِصْر بين القَرْنَيْن (٢١- ٤١هـ/ ٨١- ٢م) مُعْطيات أَوَّلِيّة في ضوْء الإفادات التاريخيّة والشّواهد الأثَريّة

د. رامي ربيع عبد الجواد راشد
مدرس عمارة وفنون المغرب والأندلس
كلية الآثار– جامعة الفيوم، مصر

بين مِصْر وبلاد المغْرِب الأقصى[١]، صِلَات حضاريّة وثِيقة، وعلائق وُديّة مَتِينة، خلال العُصور التاريخية المتعاقبة، إذ كانت أرض الكِنَانة مِصْر- لمكَانتها التاريخيّة ومَوْقعها في قَلْب العالم الإسلاميّ- مَحَط رِحَال كثير من الأفراد والعائلات المغْربية، مِن مُخْتلف أطياف المجتمع المغْربيّ، كالحِرَفِيّين والصّناع، والتّجار، والعُلماء، والشُّرفاء، والمتَصوِّفة، الذين هاجروا إليها فاسْتقرُّوا فيها، أو أقاموا بها بُرْهة من الزّمان، لأسباب عِدّة، دِينية، واجتماعية، وسياسية، واقتصادية، وغيرها[٢]، وكانت لها أثرًا بالغًا في مختلف أنشطة الحياة بالمجتمع المِصْريّ.

من تلك العـائِلات التي كـان لها حضورًا قويًا بمدينة القاهرة خلال الفترة الممْتدة ما بين القرنين (١٢- ١٤هـ/ ١٨- ٢٠م)، حسبما يُستفاد من سِجلّات المَحَاكم الشّرْعيّة، عائلات: المُرَّاكُشِيّ، البَنَّانِيّ، الشَّرَايِبِيّ، التَّازِيّ، بن جَلُّون، جَسُّوس، السَّقّاط، الشَّاوِيّ، بن شَقْرُون، الحَرِيشِيّ، الزَّرْهُونِيّ، الفَاسِيّ، مِيَارَة، ابن الحَاجّ، ابن كِيرَان، العَرَايِشِيّ، مُولِينَا (ذات أصل أَندلسيّ)، القُرْطُبِيّ (ذات أصل أَندلسيّ)، العَلَمِي، اللّبَّار، ابن مَشِيش، وغيرها كثير[٣]، كما أن بعض الأزِقَّة والدُّرُوب حَمَلَت أسماء بعض تلك العائلات مثل: "عَطْفة الوَزَّان"[٤]، "عَطْفة السَّلَاوِيّ"[٥].

كانت التّجارة من أَهمّ الحِرَف والأنشطة التي زَاوَلَتها أَغْلب هذه العائلات بمدينة القاهرة خلال تلك الفترة التاريخية[٦]، فأَثْمَرَت مَزيدًا من الحِرَاك والنشاط التجاريّ، بين بلاد المشْرق والمغْرب، كما أَسْهمت بصورة فاعِلة في التَّطوّر العُمراني لمدينة القاهرة العَتِيقَة، من خلال إنشاء عديدٍ من المنشآت التّجارية مثل: الوَكَالات، والخَانَات، والفنادق، بمنطقة الجامع الأزْهَر والغُورِيّة، والمُوسْكِي والرُّوَيْعِي والأَزْبَكِيّة، مثل: "وَكالة السيد: أحمد المُرَّاكُشِيّ"[٧]، "وَكالة الشَّرَايْبِيّ"[٨]، "خَان الشَّرَايْبِيّ"[٩]، حيث كانت

عائلة "الشَّرَايْبِيّ" تخصيصًا من أشهر العائلات المغْربية التي استَقرّت في مصر إبّان العصر العُثْمانيّ، وكانت لها اليد الطُّولَى في المَهام والأنشطة التجارية المختلفة[١٠]، وعن هذا أفاد بعض المؤرخين المُعاصرين لذلك العَصْر، وهو الجَبَرْتِيّ، بقوله: (الأَجَلّ المكَرّم، والملاَذ المفَخَّم، الخَوَاجَا الحاجّ أحمد بن محمد الشَّرَايْبِيّ، وكان من أعيان التجار المشْتَهَرين، كأسْلافه، وبَيْتهم المشهور بالأَزْبَكِيّة، بَيْت المجْد والفَخْر والعِزّ، ومماليكهم من أعيان مصر جُرْبَجِيّة وأمراء، ومنهم يوسف بيك الشَّرَايْبِيّ، وكانوا في غاية من الغِنَى والرفاهية، والنّظام ومَكارم الأخلاق، والإحسان للخاص والعام، ويَتَردّد إلى منزلهم العلماء والفضلاء، ومجالسهم مَشْحُونة بكتب العِلْم النّفيسة للإعارة والتغيير، وانتفاع الطلبة،...، وجميعهم مالكيو المذهب على طريقة أسلافهم، وأخلاقهم جميلة وأوضاعهم مُنَزّهة عن كل نَقْص ورَذِيلة)[١١].

كما أفاد الجَبَرْتِيّ في سياق خبره عن وَفيات عام (١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م)، بقوله: (ومات الخَوَاجَا المعَظّم، والتاجر المكَرّم، السيد أحمد ابن السيد عبد السلام المَغْرِبيّ الفَاسِيّ، نشأ في حِجْر والده وتَرَبّى في العِزّ والرفاهية حتى كَبُر وتَرَشّد، وأَخذ وأَعطى وبَاع واشترى، وشارك وعامل، واشْتُهِر ذِكْره وعُرِف بين التجار، ومات أبوه واستقر مكانه في التجارة،...، وصار يسافر إلى الحِجَاز في كل سنة مُقَوِّمًا مثل أبيه،...، وكان له أخ من أبيه بالحجاز، يُعرف بالعَرَايِشِيّ، من أكابر التجار ووكلائهم المشهورين، ذو ثروة عظيمة، فتُوُفِيَ، وصادف وصول المتَرْجَم حينئذ إلى الحجاز، فوضع يده على ماله ودفاتره وشركاته،...، ورجع إلى مِصْر، واتسع حاله زيادة على ما كان عليه، وعَظُم صَيْته، وصار عظيم التجار وشاه البَنْدَر،...، وتُوُفِيَ في شعبان مطعونًا، وغُسِّل وكُفِّن وصُلِّيَ عليه بالمشْهَد الحُسَيْنِيّ في مَشهد حافل بعد العشاة الأخيرة في المشاعل، ودُفِن عند أبيه بزاوية العَرَبيّ بالقرب من الفَحّامِين)[١٢].

من جانب آخر، تُحدثنا المصادر التاريخية عن "رِوَاق المَغاربة" بالجامع الأزهر، وعن الجوانب الدينية، والحركة العلمية الثقافية، التي كانت مُزدهرة وقتئذ بذلك المسجد الجامع، حيث أفاد علي باشا مُبارَك، ضمن حديثه عن الجامع الأزهـر، بقوله: (ويُؤتَـى إليه من جميع بلاد الإسلام لتَعلّم العلوم الشرعية والعقلية والنقلية من دروسه القائمة، المتصدِّر في إقرائها جهابذة العلماء والمحدِّثين ما بين مُؤلِّف ومُدرِّس، فتجد فيه من المجاورين الألوف المؤلَّفة من الطوائف المختلفة كأهل الحِجَاز واليَمَن والسِّند والهِنْد والسُّودان والجَاوة وبَغْدَاد والمغْرِب والشَّام والسُّلَيْمانية والأتراك والأكراد،...، ولكل طائفة في جوانبه رِوَاق يَخُصها)[١٣]. وفي سياق حديثه عن أرْوِقـة الجامع الأزهر- المشار إليها آنفًا- أفاد علي باشا مُبارَك حول رواق المغاربة، بما نَصّه: (هذا الرِّوَاق بالجانب الغربي من صحن الجامع على يَمْنة الداخل من باب المغَاربة،...، وله باب آخر على الصحن، ويحتوي على خمس عشْرة بائكة قائمة على أعمدة من رُخام أبيض، وفيه مَسَاكن عُلْوِية وكُتُبْخَانة كبيرة يُعِير منها لعموم المجاورين بعد استيفاء أهل الرِّوَاق، وفيه مطبخ وبئر وحَنَفِيّة وأَخْلِيَة، وله بَوَّاب وجابٍ وكاتب، ولا يَسْتَحِق مُرتّباته وجِراياته إلا من

كان مالكيّ المَذْهب، وشيخه الشيخ أحمد عبد السلام المصَوّريّ المَغْربي،...، وأهله كثيرون من طَرَابُلُس وتُونُس إلى الغَرْب الجوّانِيّ)[١٤].

وعن عُلماء المغرب الأقصى في مصر خلال تلك الفترة، فكان منهم أبو سالم العَيّاشِيّ، أحد علماء دولة السلطان إسماعيل بن الشريف العَلَوِيّ (١٠٨٢- ١١٣٩هـ/ ١٦٧٢- ١٧٢٧م)، وصاحب "الرحلة العَيّاشِيّة"، وعنه أفاد الجَبَرْتِيّ، بقوله: (الإمام أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العَيّاشِيّ المغْربيّ، قَرأ بالمغرب على شيوخ،...، ورَحَل إلى المشرق، فقرأ بمِصْر على النُّور الأَجْهُورِيّ، والشِّهاب الخَفَاجِيّ، وإبراهيم المأمُونيّ،...، وجاور بالحَرَمَيْن عِدّة سنين،...، ورجع إلى بلاده)[١٥]. ومنهم: (الإمام العَلاّمة، نُور الدين حسن بن أحمد بن العباس بن أبي سعيد المِكْنَاسِيّ، وُلد بها،...، وقَدِم مِصْر سنة أربع وسبعين وألف، وحَضَر دروس الشُّبْرَامِلِّسِيّ، ومنصور الطُّوخِيّ، وأحمد البَشْبِيشِيّ، ويَحيى الشَّهَاوِيّ،...، مات بمِصْر سنة إحدى ومائة وألف)[١٦]. ومنهم: (الأستاذ العارف سيدي علي بن العربي بن علي بن العربي، الفَاسِيّ المِصْرِيّ، الشهير بالسَّقَّاط، وُلِد بفَاس، وقَرَأ على والده،..، وعلى سيدي محمد بن عبد السلام البَنَّانِيّ، كُتُب العربية، والمعقول والبيان، ولمّا وَرَدَ مِصْر حاجًا لازمه، فقرأ عليه بلفظه من الصحيح إلى الزكاة والشمايل بطَرَفَيْه بالجامع الأزهر،...، تُوُفِّيَ في أواخر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف، ودُفِن بالزاوية [زاوية العَرَبيّ] بالقُرب من الفَحّامين)[١٧]. ومنهم: (الشيخ محمد بن عبد الواحد بن عبد الخالق البَنَّانِيّ، أَبُوه وجدّه وعمّه من أعيان التجار والثروة بمِصْر،...، نشأ في عِفّة وصلاح، وحَفِظ القرآن والمُتُون، وحُبِّبَ إليه طلب العِلْم،...، ولازم شيخنا الشيخ محمد الجَناجِيّ، المعروف بالشافعي، مُلازمة كُلِّية، وتَلَقَّى عنه غالب تحصيله في الفقه، والمعقول والمنطق،....، وهو ابن عم الإمام العَلاّمة الشيخ مصطفى بن محمد بن عبد الخالق، من أعيان العلماء المشاهير بمصر الآن)[١٨]. ومنهم: (الشيخ عُمر بن عبد السلام التِّطَاوْنِيّ[١٩]، الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الحَرِيشِيّ الفاسِيّ، الشيخ عبد الرحمن البَنَّانِيّ[٢٠]، الشيخ يوسف بن ناصر الدَّرْعِيّ[٢١]، الشيخ محمد ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد عليش)[٢٢].

أما عن العَلاَئق الوُدِّيّة التي كانت قائمة بين مُلوك المغرب الأقصى من حُكّام الدولة العَلَوِيّة الشريفة ومعاصريهم في مِصْر، فقد أشارت أيضًا المصادر التاريخية إلى بعض الإفادات التي يَتَبَيّن من خلالها، مدى طبيعة تلك العلائق الوُديّة الوثيقة بين القُطْرَيْن، ففي سياق حديثه عن "رَكْب الحاجّ المغْربيّ"، ضمن أحداث عام (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م)، أفاد الجَبَرْتِيّ بقوله: (وفي سادسه [من شهر ذي القَعْدَة] حَضَر أيضًا الرَّكْب الفَاسِيّ، وفيهم ابن سُلطان المغْرِب مَوْلاي إبراهيم ابن مَوْلاي سليمان، فاعْتَنَى الباشا بشأنه، وأَرْسلَ كَتْخُدَا بَيك لملاقاته، وقَدّم له تَقَادُم، وأعدُّوا له مَنزلَ علي كاشف بالقرب من بيت المحْرُوقيّ ليَنْزِل فيه، وتَقَيَّد بخدمته الرئيس حسن المحرُوقيّ وحواشيهم لمطبخه وكُلْف طعامه، فلمّا عدى طلَع إلى القَلْعَة، وقابل الباشا، ونَزلَ إلى المنزل الذي أعدّه له، وأمامه قَوّاسَة أتراك وطَرَّادُون، وأشخاص أتراك يضربون على طَبْلات، وأمامه جميع المغاربة مُشاة، ويأمرون الناس الجالسين

بالحوانيت بالقيام له على أقدامهم، فأقام خمسة أيام حتى قضى أشغاله، وفي تلك المدّة تَغْدُو إليه وتَرُوح رُسُل الباشا، وأَرْسل له هدية وذَخِيرة من كل صِنْف: سُكّر وعَسَل وسَمْن ودَقِيق وبُقْسُماط وأشياء أُخَر، وبَـارُود، وأَعطى له ألف بُنْدُقية لضرب الرُّصاص، وبَرَز في عاشره، وسافروا في ثاني عَشْرِه)[٢٣].

في موضع آخر، ضمن أحداث شهر ربيع الثاني من عام (١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م)، أفاد أيضًا الجَبَرْتِيّ، بقوله: (وفي مُنْتَصفه سافر أولاد سُلطان المغْرب، والكثير من حُجَّاج المَغاربة، وكانوا في غاية الكثرة بحيث ازدحمت منهم أسـواق المدينة وبُـولَاق وما بينهما من جميع الطرق)[٢٤]، وقد كان من بين المظاهر والعادات المصاحبة لرحلات "رَكْب الحاجّ المغْربيّ"، حَمْل الكِسْوَة الشريفة- التي كانت تُرسل من مِصْر إلى بَيْت الله الحَرام كل عام في موسم الحَجّ- والطَّواف- تَبَرُّكًا- بها وَسْط شوارع مدينة القاهرة[٢٥].

ولعل من بين الشواهد الأثرية الدالّة أيضًا على تلك العلائق الوُديّة المتِينَة، بين حُكّام الدولة العَلَوِيّة ومُعاصريهم في مِصْر من أسرة محمد علي باشا، ما نجده في عديدٍ من كُتُب التُّراث القديمة التي تَمّت طباعتها بـ "مَطْبعة السّعادة" في القاهرة، بدَعْم وعناية السلطان العَلَوِيّ مَوْلاي عبد الحفيظ، ومن حُسن الحظّ، أنه أَمْتلك في حَوْزَتِي الشخصيّة أحد تلك الكتب النادرة، وهو مُجَلّد ضخم، للأجزاء (الخامس، السادس، السابع)، من كتاب "المُنْتَقَى" في شرح مُوَطّأ الإمام مالكٍ رحمه الله، من تأليف القاضي أبي الوليد سُليمان بن خَلَف بن سعد بن أيوب إبن وارث البَاجِيّ الأندلسيّ، من أعيان الطبقة العاشرة من علماء السادة المالكية بالأندلس (٤٠٣- ٤٩٤هـ/ ١٠١٢- ١١٠٠م)، حيث جاء في وثيقة تاريخية مُهمّة تتقدم كل جزء من أجزاء هذا المجلَّد من شرح المُوَطأ، ما نصه: (طُبِع هذا الكتاب على نَفَقَة سُلطان الغَرْب [كذا] الأقصى سابقًا إمام زمانه وفريد عَصْره وأَوَانـه قُدْوة الأمراء وحُجّة العلماء العَلّامة المحَقِّق والملَاذ الأكبر المدَقِّق فرع الشجرة النَّبويّة وخُلاصة السلالة الطاهرة العَلَوِيّة سيدنا ومَوْلانا عبد الحفيظ ابن السلطان مَوْلاي الحسن ابن السلطان سيدي محمد رَفَعَ الله قَدْره وأَدَامه وأَوْدع في القلوب مَحَبّته واحترامه آمين). ثم ذُيّلت تلك الوثيقة التاريخيّة أسفلها بما نصه: (بتوكيل الحاجّ محمد بن العباس بن شَقْرُون خَدِيم المقام العالي بالله الآن بثَغْرِ طَنْجَة ووكيل دولة المغرب الأقصى سابقًا بمِصْر على يد نَجْله الحاجّ عبد السلام بن شَقْرُون). صورة (١).

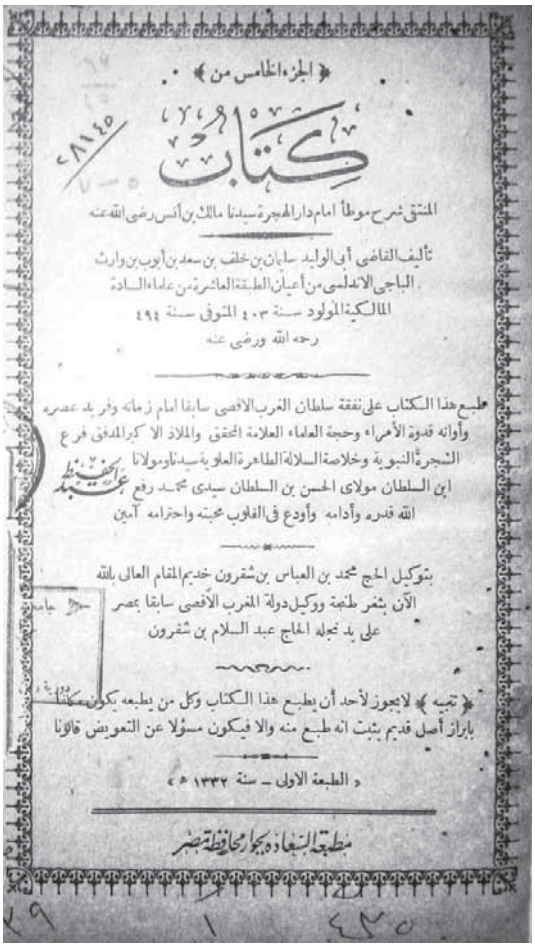
﴿ الجزء الخامس من ﴾

كتاب

المنتقى شرح موطأ امام دار الهجرة سيدنا مالك بن أنس رضى الله عنه

تأليف القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي الاندلسي من أعيان الطبقة العاشرة من علماء السادة المالكية المولود سنة ٤٠٣ المتوفى سنة ٤٩٤ رحمه الله ورضى عنه

طبع هذا الكتاب على نفقة سلطان المغرب الاقصى سابقا امام زمانه وفريد عصره وأوانه قدوة الأمراء وحجة العلماء العلامة المحقق والملاذ الاكبر المدقق فرع الشجرة النبوية وخلاصة السلالة الطاهرة العلوية سيدنا ومولانا ابن السلطان مولاى الحسن بن السلطان سيدى محمد رفع الله قدره وأدامه وأودع فى القلوب محبته واحترامه آمين

بتوكيل الحج محمد بن العباس بن شقرون خديم المقام العالى بالله الآن بثغر طنجة ووكيل دولة المغرب الأقصى سابقا بمصر على يد نجله الحاج عبد السلام بن شقرون

﴿ تنبيه ﴾ لا يجوز لأحد أن يطبع هذا الكتاب وكل من يطبعه يكون مكلفا بابراز أصل قديم يثبت انه طبع منه والا فيكون مسؤلا عن التعويض قانونا

« الطبعة الاولى ـ سنة ١٣٣٢ هـ »

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

صورة (١): وثيقة تاريخية باسم السلطان مولاي عبد الحفيظ مؤرخة بعام (١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م).

إلى جانب هذه الإفادات المصْدريّة والوثائق التاريخية المهِمّة، فلا تزال عمائر مدينة القاهرة شاهدًا على حضور عائلات بلاد المغرب الأقصى بقُوّة على أرض مِصْر، ولعل من أبرز وأهم تلك الشواهد الأثرية التي تؤكد ذلك، مِحْراب الجامع الحُسَيْنِيّ بجوار الجامع الأزهر في مدينة القاهرة، صورة (٢)، حيث إن مِن أهم ما يَتَميّز به هذا المِحْراب، هو كِسْوَته بالبَلاطات الخَزَفِيّة، أو بمعنى أدق بـ "الزِّلِّيج المَغْربيّ"، الذي يُعد من أهم الخصائص الفنية لعمائر بلاد المغرب الأقصى، منذ العصر الموَحِّدِيّ- على أقل تقدير- إلى الوقت الحاضر.

لقد جمعت هذه البلاطات الزِّلِّيجِيّة بمِحْراب الجامع الحُسَيْنِيّ عديدًا من الخصائص الفنية، التي شاعت في تَكْسِيات الزِّلِّيج ببلاد المغرب الأقصى خلال العصر العَلَوِيّ على وجه التحديد، والجدير بالذِّكر أن هذه التَّكْسِية تشتمل- إلى جانب عديدٍ من النقوش الكتابية القرآنية والدعائية وغيرها- على نَقْشَيْن تَسْجِيليّين يُؤرّخان لها، الأول يتوسط النقش القرآني الدائر بعَقْد (قوس)، المحراب، ويُقرأ: (ربيع ل [الأول] سنة ١٣٠٤ انتهى بحمد الله)، أما النّقش التسجيليّ الثاني، فيقع على يَسار المواجِه للمِحْراب، يُزَيّن تُرْس (الخاتم السليمانيّ) أحد الأطباق النَّجميّة، التي تَكْسُو هذا الجانب، حيث يُقرأ: (اللهم كُن برحمتك خَيْرَ مُجَازِي [كذا] لمنْشِئه عبد الواحد التَّازِيّ سنة ١٣٠٣)، صورة (٣).

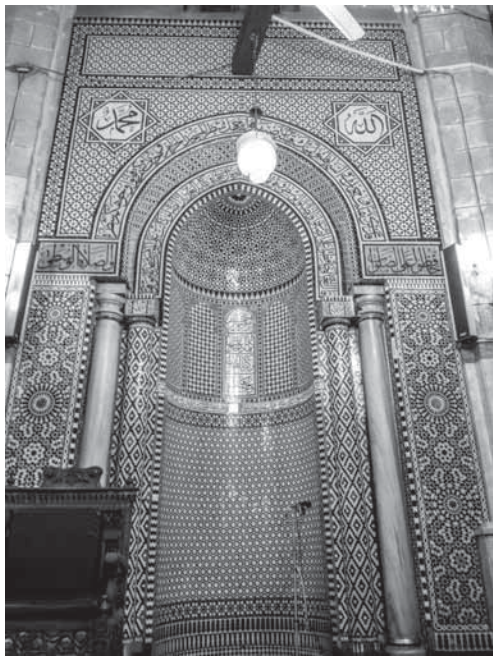

صورة (٢): محراب الجامع الحسيني بمدينة القاهرة.

تَكْمُن أهمية هذا النقش التسجيليّ في كونه يَقْطَع– إلى جانب الخصائص الفنية الآتي ذكرها آنفًا– بنسبة تلك الكِسْوَة الخَزَفِيّة إلى أحد المعلِّمِين المغاربة، من بلاد المغرب الأقصى تحديدًا، وهو عبد الواحد التَّازِيّ، نسبة إلى حاضرة "تَازَة"، ومن ناحية أخرى، يُبَرْهِن على أن بعض عائلات المغرب الأقصى كان لا يزال لهم حضورٌ قويٌ بمصر حتى ذلك التاريخ[٢٦]، وأخيرًا، يُبْرز مدى ما كان يتمتع به هؤلاء الصناع والحِرَفيّين المغاربة من مكانة مَرْمُوقة خلال ذلك العهد بين أَوْساط الفنانين المحَلّيّين، الأمر الذي حَدَا بالحُكَّام والأمراء إلى إسناد مثل هذه المَهام والأعمال الفنية إليهم.

صورة (٣): النقش التسجيلي لمحراب الجامع الحسيني.

من خلال نظرةٍ عامّة على تلك التّكْسيَة الزِّلِّيجيّة بمِحْراب الجامع الحُسَيْنِيّ، يُمكن القول إنها تعكس صورة حَيّة لهذا الأسلوب الزخرفي، بـبلاد المغرب الأقصى خلال تلك الفترة المعاصرة، والتي نَجِد لها عديدًا من النماذج بقُصُور ومُنْشآت العَصر العَلَوِيّ بالحواضِر الكبرى، مثل: مُرَّاكُش (قصر السِّتِّينِيّة وقصر البَاهِية نموذجًا)، وفَاس (قصر البَطْحَاء بفاس البَالِي والقصر الملَكِيّ بفاس الجديد نموذجًا)، ومِكْناس (القصور الإسماعيلية بالقَصَبَة وكذلك الضريح الإسماعيلي نموذجًا)، وغيرها من حواضِر المغرب.

إن الخصائص الفنيّة التي اتَّسمت بها تلك التَّكْسِية- وتُبْرز التأثّر الكبير بنظائرها بعمائر بلاد المغرب الأقصى خلال تلك الفترة- عديدة، ويأتي على رأسها الألوان المستخدمة مُمثّلة في الأزرق، الأزرق المائي، الأحمر الطماطمي، والأصفر العسلي، الأخضر، الأبيض، والأسود، وكذلك زخرفة الأطباق النّجميّة العَنْكبوتيّة، وهي أحد التطورات التي طرأت على زخرفة الطَّبَق النجميّ خلال العصر العَلَوِيّ الثالث– وما تلاه- بالمغرب الأقصى، صورة (٤)، هذا فضلاً عن بُروز بعض العناصر الزخرفية الأخرى مثل الشُّرَّافات البُخَارية[٢٧]، صورة (٥)، وأظَفَار السَّبُع[٢٨]، وغيرها من الوحدات الهندسية، التي حَظِيت بانتشار كبير في تَكْسِيات الزِّلِّيج ببلاد المغرب الأقصى خلال تلك الفترة.

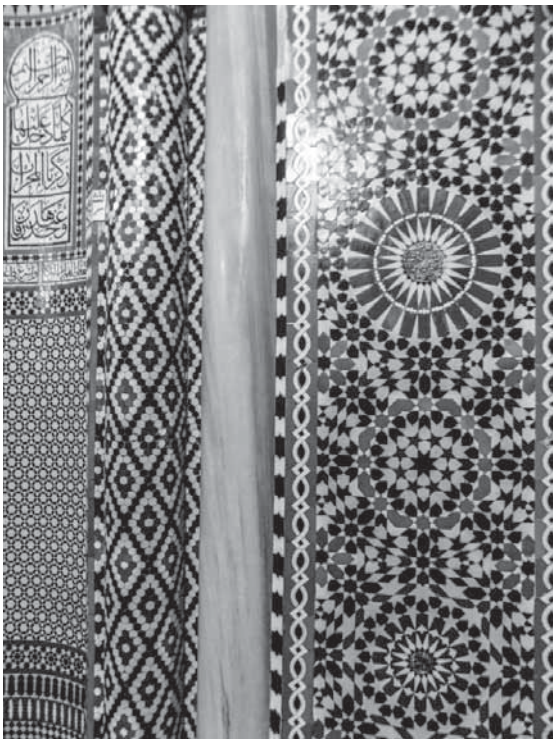

صورة (٤): تفصيل لزخارف الزليج بمحراب الجامع الحسيني.

صورة (٥): زخرفة الشرافات البخارية بمحراب الجامع الحسيني.

أخيرًا، فإن من أهم ما تَتَّسم به تلك التَّكْسِيَة الزِّلِّيجِيّة بمِحْراب الجامع الحُسَيْنِيّ، هو استخدام التّقْنِية المعروفة بـ "الزِّلِّيج المقَشَّر"[٢٩]، في تنفيذ عديدٍ من النقوش الكتابية، صور (٢، ٣، ٥)، وهو أسلوب فني انتشر بقصور الحَمْراء في غَرْنَاطَة خلال عصر بَنِي نَصْر (٦٣٥–٨٩٧هـ/ ١٢٣٨– ١٤٩٢م)، ومنها عَرف طريقه إلى المغرب الأقصى خلال العصر المَرِينِيّ (٦٦٨– ٨٦٩هـ/ ١٢٦٩– ١٤٦٤م)، ولا تزال الشّواهد المادية بمدارس ذلك العصر في حواضر المغرب، تعكس صورًا فنية غَنِيّة لهذا الأسلوب في الزخرفة بالزِّلِّيج، على أن الذي يلفت الانتباه بتلك النقوش الكتابية بمحراب الجامع الحُسيْنِي، هو أنها مُنفّذة بخط الثُّلُث، الذي عَمَّ استخدامه خلال تلك الفترة على العمائر الإسلامية بمِصْر، وليست بالخط المغْرِبيّ، الذي اتَّسم ببعض الخصائص المميِّزَة له عن خط الثُّلُث المشْرِقيّ، الأمر الذي يُبيِّن- من جهة أخرى- مدى انصهار الصّناع والحِرَفيّين المغاربة داخل الأوساط الحِرَفيّة بمِصْر، وأنهم كما أثْرَوْا تلك المُنشآت بعديدٍ من مظاهر طِرَازهم الفنيّ الأندلسيّ المغربيّ، فقد تَأثَّروا في الوقت ذاته ببعض الأساليب والمدارس الفنية المحَلِيّة، التي كانت مُتداولة بمِصْر خلال العصور الإسلامية المتعاقِبة.

الهوامش

(١) هذه الدراسة قاصرة على بلاد المغرب الأقصى تحديدًا (المملكة المغربية في الوقت الحاضر)، وليس بالمفهوم العام لاصطلاح "المغاربة"، المشار إليه في عنوان الدراسة، الذي يَنْدرِج تحته باقي دول شمال إفريقيا (ليبيا، تونس، الجزائر)، والأندلس.

(٢) للمزيد حول أسباب تلك الهجرات المغربية، انظر: عبد المعطي، حسام محمد. المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر. منشورات مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٥م، ص١٧- ٣١.

(٣) انظر: عبد المعطي. المغاربة في مصر. ص٤١- ٤٤.

(٤) مبارك، علي باشا. الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة. المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، ط١، ١٣٠٦هـ، جـ٣، ص١١.

(٥) مبارك. الخطط التوفيقية. جـ٣، ص٣٥.

(٦) للمزيد عن دور المغاربة في ازدهار النشاط التجاري بمصر خلال الفترة محل الدراسة، انظر: عبد الرحيم، عبد الرحيم عبد الرحمن. المغاربة في مصر في العصر العثماني (١٥١٧- ١٧٩٨): دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية. تونس، ١٩٨٢م، ص٦٣- ٦٧.

(٧) مبارك. الخطط التوفيقية. جـ٣، ص٢٤.

(٨) مبارك. الخطط التوفيقية. جـ٣، ص٣٥.

(٩) الجبرتي، عبد الرحمن. عجائب الآثار في التراجم والأخبار. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م، جـ٢، ص١٧٥، ١٩٤.

(١٠) انظر: عبد الرحيم. المغاربة في مصر في العصر العثماني. ص٦٨- ٧٠.، عبد المعطي. المغاربة في مصر. ص٤٥- ٥٧.

(١١) الجبرتي. عجائب الآثار. جـ١، ص٣٤٠- ٣٤١.

(١٢) الجبرتي. عجائب الآثار. جـ٢، ص٣٣٣- ٣٣٤. ولا تزال هذه الزاوية "زاوية العَرَبيّ"، قائمة إلى الوقت الحاضر، بالقُرْب من مَنْطِقة الغُورِيّة، حسبما وَقَفْتُ عليه ضمن زياراتي المَيْدانِيّة.

(١٣) مبارك. الخطط التوفيقية. جـ٤، ص١٣.

(١٤) مبارك. الخطط التوفيقية. جـ٤، ص٢٢.

(١٥) الجبرتي. عجائب الآثار. جـ١، ص١٢٣.

(١٦) الجبرتي. عجائب الآثار. جـ١، ص١٢٧.

(١٧) الجبرتي. عجائب الآثار. جـ١، ص٥٣٧- ٥٣٨.

(١٨) الجبرتي. عجائب الآثار. جـ١، ص٥٨٨.

(١٩) الجبرتي. عجائب الآثار. جـ١، ص٣٤٩، ٤٥٦، ٥٣٧.

(٢٠) الجبرتي. عجائب الآثار. جـ١، ص٦٢٠.

(٢١) الجبرتي. عجائب الآثار. جـ١، ص٥٨٣.

(٢٢) مبارك. الخطط التوفيقية. جـ٤، ص٤١- ٤٢.

(٢٣) الجبرتي. عجائب الآثار. جـ٤، ص٢٢٠- ٢٢١.

(٢٤) الجبرتي. عجائب الآثار. جـ٤، ص٤٤٦.

(٢٥) الجبرتي. عجائب الآثار. جـ١، ص٥٥.

(٢٦) مما تجدر إليه الإشارة أنه لا يزال هناك بعض الأشخاص ممن ينتسبون إلى مدينة تازة حتى الوقت الحاضر بالقاهرة، حيث التقيت أحد تجار الصاغة بشارع المعز (خان الخليلي) في القاهرة، يُدعى السيد: علاء أمين محمد التازي، كنت أختلف إليه بعض الأحيان مع أستاذي وشيخي الجليل الأستاذ الدكتور: عبد الهادي التازي، رحمه الله، ومن خلال الحديث معه مؤخرًا، أخبرني أن هناك مغاربة غيره لا يزالون يعيشون بالقاهرة، كما أخبرني أنه من الجيل الثامن لنسل أجداده الذين جاءوا إلى مصر خلال القرن (١٢هـ/ ١٨م).

(٢٧) باكار، أندريه. المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة. دار أتولي ٧٤ للنشر، د.م، ١٩٨١م، جـ١، صـ٣٨٦، شكل (١٣).

(٢٨) باكار. المغرب والحرف التقليدية. جـ١، صـ ١٩٧، شكل (٣).

(٢٩) وهي التي يتم فيها نَزْع المِينَا (مادة الجِليز/ الطلاء) من بلاطات الزليج بواسطة إزميل صغير مع الابقاء على العناصر الزخرفية المراد تنفيذها، فتظهر تلك الزخرفة بلون المِينَا على الأرضية المكشوفة من الطين المحروق الطبيعي. باكار. المغرب والحرف التقليدية. جـ١، صـ٤٥٢.

ثبت المصادر والمراجع

المصادر:

- الجبرتي، عبد الرحمن. عجائب الآثار في التراجم والأخبار. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.

- مبارك، علي باشا. الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة. المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، ط١، ١٣٠٦هـ.

المراجع:

- باكار، أندريه. المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة. دار أتولي ٧٤ للنشر، د.م، ١٩٨١م.
- عبد الرحيم، عبد الرحيم عبد الرحمن. المغاربة في مصر في العصر العثماني (١٥١٧- ١٧٩٨): دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية. تونس، ١٩٨٢م.
- عبد المعطي، حسام محمد. المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر. منشورات مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٥م.

إعادة التدوير في المؤلفات التراثية العربية

أ.د.مها الشعار

معهد التراث العلمي العربي-جامعة حلب-

سورية

شهد العالم في العقود الأخيرة تطورًا صناعيًا هائلاً استهلك أغلب الموارد الطبيعية واستنزفها، وقد رافقه إنتاج كميات هائلة من النفايات تراكمت في كل مكان مشكلة خطرًا حقيقيًا على الكائنات الحية والبيئة المحيطة بها، لذا كان لابد من اتخاذ تدابير خاصة للتخلص من المخلفات المتراكمة، فظهرت سياسة إعادة التدوير التي اتبعتها أغلب دول العالم بدرجات متفاوتة، وبذلك يمكن تعريف إعادة التدوير بأنها عملية استخدام المخلفات عن طريق تصنيعها لإنتاج مواد جديدة يمكن استخدامها في مجال آخر، والغاية من إعادة التدوير هو التقليل من حجم هذه المخلفات وبالتالي التقليل من تراكمها في البيئة، وتتم هذه العملية عن طريق تصنيف وفصل المخلفات على أساس المواد الخام الموجودة فيها، ومن ثم إعادة تصنيع كل مادة على حدة[1].

وقد ساد الاعتقاد أن فكرة التدوير حديثة العهد بدأت أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية، إذ كانت الدول تعاني من النقص الشديد في بعض المواد الأساسية، مما دفعها إلى تجميع تلك المواد من المخلفات لإعادة استخدامها[2]، لكن المؤلفات التراثية العربية تثبت أن عملية إعادة التدوير قديمة جدًا، مارستها الشعوب لتحويل المخلفات المتراكمة عندها بكثرة إلى منتجات جديدة مفيدة، وقد ظهر من خلال هذه العمليات الإبداع والابتكار، لكن لم تُذكر هذه العمليات تحت عنوان إعادة التدوير، وإنما جاءت بشكل مقتطفات وإشارات أثناء حديث المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب عن قوم أو بلد ما، سنتناول في هذا البحث بعض من هذه المواد التي أجري لها إعادة تدوير لاستخدامها مجددًا بشكل جديد مفيد، وورد ذكرها بشكل صريح في المؤلفات التراثية العربية.

١-عظام السمك:

كثرت عظام السمك في المدن الساحلية التي يعمل سكانها بالصيد البحري بشكل رئيس، وبدلاً من رميه تم إعادة تدوير **عظام الأسماك الكبيرة** فاستعملت **كمادة بناء**، ويبدو أن الأنواع الكبيرة (سمك التونا، سمك القرش، ...) كانت من أهم الأسماك التي استعملت عظامها كمادة بناء، إذ يصنف سمك التونا من الأسماك العظمية الفقرية؛ أي الأسماك التي تملك هيكلاً عظميًا حقيقيًا وعمود فقري[٣]، مما يعني أن هيكلها أصلب بكثير من هياكل الأسماك الغضروفية لاحتوائها على الكالسيوم، ويصل طولها إلى ثلاثة أمتار[٤]، أما سمك القرش والذي يصل طوله أحيانًا إلى ٩ أمتار (خاصة التي تعيش في المياه المدارية وشبه المدارية والمعتدلة)، فبالرغم من كونه من الأسماك الغضروفية إلا أن هيكله غير العظمي مؤلف من مادة قوية تُسمى الغضروف الذي يحتوي على العديد من ألواح الإسناد المتكونة من أملاح الكالسيوم القاسية[٥].

ومن أهم المدن التي قام أهلها بإعادة تدوير لعظام الأسماك فاستعملوها كمادة بناء، وذكرتها المؤلفات التراثية العربية:

١-١-بلاد الزنج: أُطلق هذا الاسم قديمًا على ساحل جنوب شرق إفريقيا، ذكر القزويني أنه في بلاد الزنج "التي شمالها اليمن وجنوبها الفيافي، وشرقها النوبة وغربها الحبشة، وجميع السودان من ولد كوش بن كنعان بن حام، وبلاد الزنج شديدة الحر جدا، وبلادهم قليلة المياه قليلة الأشجار، سقوف بيوتهم من عظام الحوت"[٦].

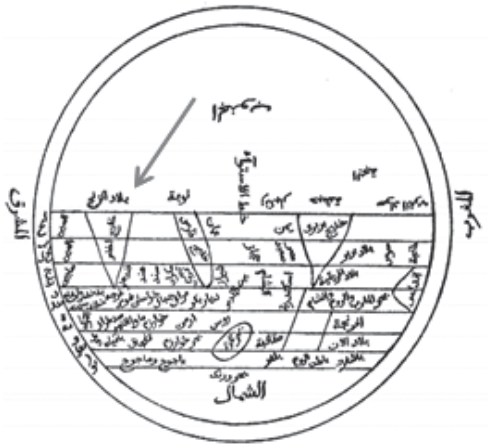

آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني

خريطة توضح موقع بلاد الزنج عند القزويني

١-٢-سكان سواحل البحر المظلم (المحيط الأطلسي): يصف الشريف الإدريسي المحيط الأطلسي قائلاً: "هو بحر غليظ الماء، هائل الموج، عميق القعر، متصل الظلمات، قليل ما يُسلك هذا البحر إلا نادرًا، وأكثر ما يركبه القوم المسمون بالإنكليسين (أي الإنكليز)، وأهل جزيرة إنكرطارة (أي إنكلترة)".

وبما أن "هذا البحر وهو على ما وصفناه من هوله وغلظه، به سمك كثير سمين ومصايده في أماكن معلومة منه، وبه كثير من الدواب العظام

الخلق البحرية ما يربي على الوصف"، فإن سكان تلك الجزر أعادوا استعمال عظام الأسماك البحرية الكبيرة المتراكمة عندهم فاستعملوها في بناء البيوت بدلاً من الخشب، وجعلوا من فقرات ظهورها أدراج يصعدون عليها وينزلون، كما استفادوا من هذه العظام بتحويلها إلى أدوات منزلية كالدبابيس ورؤوس الرماح والخناجر.

ذكر الشريف الإدريسي ذلك قائلاً: "حتى إن أهل تلك الجزائر الداخلة يتخذون من أعظمها وفقر ظهورها خشبًا لبيوتهم، وينحتون منها دبابيس وأسنان رماح وخناجر، ويصرفون خزر[٧] هذه الدواب فيتخذونها منابر للصعود والقعود ويتصرفون في أعظم هذه الدواب كما يتصرف أهل سائر البلاد في الخشب"[٨].

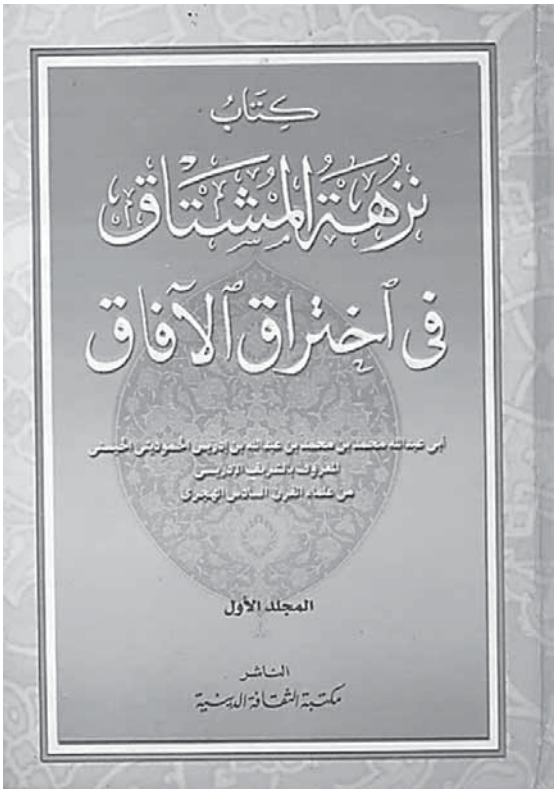

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي

١-٣- مدينة مرسى حاسك:

مرسى حاسك هو مدينة بندر حاسك حاليًا، تقع على بعد ٨٠ ميلا شرقي مدينة ظفار العُمانية[٩]، وقد استعملت عظام الأسماك أيضًا في بناء جدران البيوت في المدينة كما استعملت في بناء الأسقف، وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة الذي مر بمدينة مرسى حاسك، فشاهد: "ناس من العرب صيادون للسمك ساكنون هنالك، ولا معيشة لأهل ذلك المرسى إلا من صيد السمك، وسمكهم يُعرف باللخم[١٠]، وهو شبيه كلب البحر يُشرح ويُقدد ويُقتات به، وبيوتهم من عظام السمك وسقفها من جلود الجمال، وسرنا من مرسى حاسك أربعة أيام ووصلنا إلى جبل لُمعان[١١] وهو في وسط البحر وبأعلاه رابطة مبنية بالحجارة وسقفها من عظام السمك"[١٢].

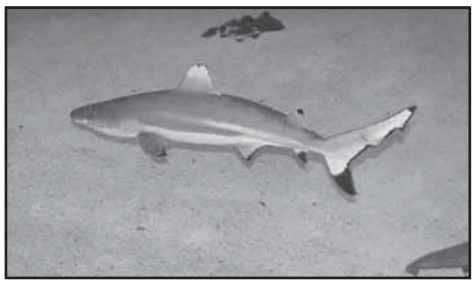

رحلة ابن بطوطة لابن بطوطة

سمك اللخم (نوع من أنواع سمك القرش)

إعادة التدوير في المؤلفات التراثية العربية

٢-جلد حيوان اللمط:

استخدم الإنسان جلود الحيوانات منذ القدم لصنع لباس يستر جسمه ويقيه من البرد، وربما استوحى من حمايتها له فكرة إعادة تدويرها واستعمالها لصنع أداة يحملها بيده ويصد بها الأسلحة الحادة الموجهة نحوه (الترس)؛ خاصة وأنها طرية لينة يسهل قولبتها بالشكل المطلوب، لكن لم يكن من الممكن أن يكتب لهذه الفكرة النجاح إلا إذا كانت المادة التي تصنع منها التروس قاسية صلبة تتحمل ضربات السيوف والرماح، والجلود غير قادرة على تقديم مثل هذه الحماية، فاخترعت التروس من المعادن.

٢-١- مدينة تكرور:

في بلاد السودان التي ذكرها القزويني قائلاً: "هي بلاد واسعة، ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى البحر المحيط. أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها"[١٣] توجد مدينة تكرور، وكلمة تكرور كانت تطلق في أوساط العرب الشرقيين على الذين ينتمون إلى غرب أفريقيا أو يرجع أصلهم إليها، واعتاد المؤرخون الغربيون لاسيما الفرنسيون كتابة الكلمة (التكلور) خطأ[١٤]، والأدق أن اسم التكرور أطلق على المملكة التي قامت في الضفة اليسرى لنهر السنغال، وكانت مدينة التكرور مقرًا لحكامها، كما أطلق أيضًا على الشعب السوداني الذي سكن حوض نهر السنغال وأقام تلك المملكة[١٥].

خريطة لنهر السنغال الذي قامت على ضفافه مملكة التكرور

عرفها ياقوت الحموي في كتابه (**معجم البلدان**)، فقال: "هي بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب، وأهلها أشبه الناس بالزنوج"[١٦].

معجم البلدان لياقوت الحموي

ابتكر أهل تكرور تدويرًا جديدًا لجلود البقر الوحشي (اللمط) الـذي يعيش في منطقتهم فصنعوا منه تروسًا لهم بعد أن اكتشفوا قوة جلودها لدرجة أن السيوف والرماح لا تؤثر بها، وقد سُميت تروسهم بالدَّرق، ويبدو أنها لاقت رواجًـا واستحسانًا وانتشارًا واسعًا حتى بات تُعرّف بقواميس اللغة العربية "**الدَّرْق**: الصلب من كل شيء، والدَّرَقة: التُّرس من جلدٍ ليس فيه خشب ولا عَقَب"[١٧]. ذكر القزويني: "تَكْرُور: مدينة في بلاد السودان عظيمة مشهورة، قال الفقيه علي الجنجاني المغربي: شاهدتها وهي مدينة عظيمة لا سور لها، والمُلك فيها للمسلمين، وبها حيوان يسمى اللمط، يُؤخذ من جلده **المِجَنُّ**[١٨]، يُبتاع كل مِجَنٌّ بثلاثين دينارًا، وخاصيته أن الحديد لا يعمل فيه البتة"[١٩].

وحيوان اللمط هو أحد أنواع البقر الوحشي، يعيش في إفريقيا، له قـرون لولبية[٢٠]، وقد جاء في القاموس المحيط: "لمطة أرض لقبيلة بالبربر، ينسب إليها الدرق لأنهم ينقعون الجلود في الحليب سنة، فيعملونها، فينبو عنها السيف القاطع"[٢١].

حيوان اللمط وهو نوع من الأبقار الوحشية

٢-٢- مدينة نول لمطة:

تم وصف حيوان اللمط في كتاب (**الاستبصار في عجائب الأمصار**) **أثناء الحديث عن مدينة (نول لمطة) الواقعة في بلاد السوس الأقصى بالمغرب**: "ومن بلاد السوس **مدينة نول لمطة،** وهي مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط، وإنما سميت نول لمطة لأن قبيلة لمطة يسكنونها وما وراءها وهي آخر بلاد السوس، وببلادهم يكون اللمط الذي يعمل من جلوده الدرق، **وهذا الحيوان المسمى باللمط دابة دون البقر، لها قرون رقاق حادة تكون لذكرانها وإناثها، وكلما كبر هذا الحيوان طال قرنه حتى يكون أزيد من أربعة أشبار، وأجود الدّرق وأغلاها ثمنًا ما عمل من جلود الإناث المسنات التي قد طالت قرونها لكبر سنها"**[٢٢]

بقايا آثار من مدينة نول لمطة

وقد ذُكرت الدَّرق في كتاب (**حلية الفرسان وشعار الشجعان**) لابن هذيل في باب "السلاح والعدة على الإطلاق" الذي قال أثناء حديثه عن التروس: "فإن كانت من جلود فهي "درق"، والـدرق تُصنع من جلود البقر، وتُصنع من جلود الوحش، ومن جلود اللمط، وهي أحسنها

وأمنعها، واللّمط هو حيوان من إحدى غرائب المغرب، يَعْمُرُ الصَّحارَى، يُصنع من جلده الدَّرق. وخاصية دَرَقة جلد اللّمط أنها إن أصيبت بضربة سيف أو رمح انغلقت الضَّربةُ والتحمت من وقتها واختفت فلا تظهر"[٢٣].

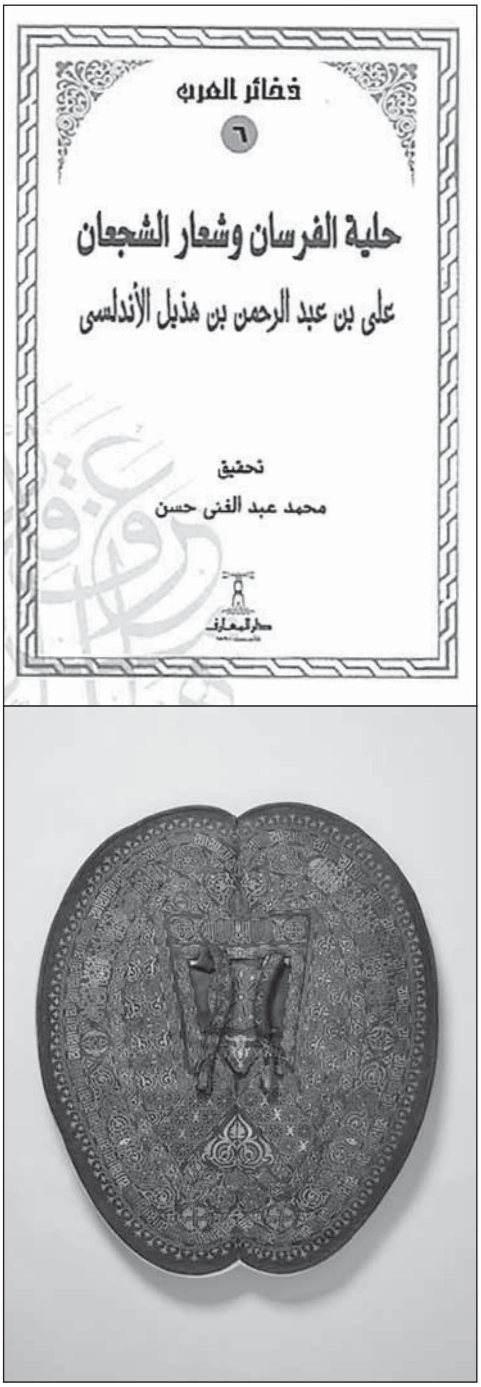

حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل

صورة نادرة لدرق مزين ومنقوش عليه بخط عربي جميل وزخارف مذهبة بديعة الشكل

وقد ذاع صيت درق اللمط وصيت شجاعة حامليها (المرابطين) حتى في الأندلس نفسها، فهدد حاكم إشبيلية وقرطبة المعتمد بن عباد (٤٣١ هـ - ٤٨٨ هـ / ١٠٤٠ - ١٠٩٥م) الفونس السادس باستدعاء الدرق اللمطية في أيدي الجيوش المرابطية عندما أرسل إليه الفونس كتابًا يسخر منه قائلاً: "كثر بطول مقامي في مجلسي الذبان، واشتد علي الحر، فأتحفني من قصرك بمروحة أروح بها عن نفسي، وأطرد بها الذباب عني، فوقّع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة: قرأتُ كتابك، وفهمتُ خيلاءك وإعجابك، وسأنظر لك في مراوح من **الجلود اللمطية في أيدي الجيوش المرابطية** تريح منك لا تروح عليك، إن شاء الله. فلما ترجم لابن فردلنذ توقيع ابن عباد في الجواب، أطرق إطراقَ من لم يخطر له ذلك، وفشا ببلاد الأندلس خبر توقيع ابن عباد وما أظهر من العزيمة على إجازة الصحراويين والاستظهار بهم على ابن فرذلند، فاستبشر الناس وفتحت لهم أبواب الآمال"[٢٤].

الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري

٢-المخلفات العضوية للكائنات الحية:

تحتوي نفايات الإنسان، التي يتم تصريفها في المجاري، ومخلفات الحيوانات والطيور (الروث) على نسبة كبيرة من المواد العضوية التي يمكن الاستفادة منها بعد أن تقوم البكتيريا بتحليل الروث، والمخلفات الناتجة بعد عملية التحلل تحتوي على غاز النتيروجين، وهو الغاز الذي تحتاجه النباتات في غذائها، ولذلك فإن مخلفات عملية الهضم اللا هوائي يمكن استخدامها في تسميد النباتات في المزارع. وبهذا الشكل يمكن الاستفادة من مخلفات الإنسان والحيوان، مصدر أسمدة[٢٥].

ربما كانت عملية إعادة تدوير المخلفات العضوية للكائنات الحية لتحويلها إلى أسمدة عضوية طبيعية من أقدم عمليات التدوير التي قام بها الإنسان لتخصيب الأراضي الزراعية وزيادة إنتاجيتها لاحتوائها على العناصر المغذية الضرورية للنباتات.

٣-١-الجزر في بحر قطر:

تعتبر فضلات الطيور أكثر الأسمدة العضوية تركيزًا، لأن العناصر الغذائية الموجودة فيها تكون في شكل يسهل الوصول إليه وتمتصه النباتات بسرعة، وقد ذكرها ابن العوام الإشبيلي، فقال: "السرجين وهو الزبل يزيد في طيب الأرض الطيبة، وأما الأرض الرديئة فإنه يصلحها إصلاحًا كثيرًا ويقويها، وأجود ما يُسرجن به زبل جميع الطير ما خلا زبل الإوز، وطير الماء فإنه أردأها لمكن رطوبته، إلا أنه إذا خلط مع سائر أنواع الزبل كان نافعًا"[٢٦].

الفلاحة الأندلسية لابن العوام الإشبيلي

ومن أجل جمع زبل الطيور لإعادة تدويره وتحويله إلى سماد طبيعي كانت السفن تقصد الخليج العربي الذي تميز بوجود جزر خالية من السكان، لكنها مأهولة بالطيور البحرية والبرية، فكانت مخلفات هذه الطيور تتراكم على تلك الجزر، فتخوض السفن مياه الخليج العربي رغم صعوبة الإبحار فيه رغبةً في جمع مخلفات تلك الطيور وبيعها في مدينة البصرة وغيرها لتسميد الأراضي الزراعية كما ذكر الشريف الإدريسي: "ومن جلفار[٢٧] وأنت نازل إلى البحرين تصير إلى مرسى السبخة[٢٨]، وهو مرسى فيه عين نابعة عذبة، ومنه إلى شقاب[٢٩] وبوار[٣٠] وبحرٌ عويصٌ صعب السلوك، وتسمى هذه الأمكنة ببحر قطر، وفي هذا البحر عدة جزائر خالية لا عامر بها يأوي إليها أجناس من الطير البحري والبري، فيجتمع بها من زبولها المقادير الكثيرة، فإذا طاب ماء هذا البحر للسفر قصدت إليها المواكب، فتوسق[٣١] تلك الزبول التي قد كومتها الطير في تلك الجزائر، وتصير بها إلى البصرة وغيرها فيبيعونها هناك بالثمن الكثير، وتلك

الزبول تصرف في عمارات الكروم والنخل والجنات والبساتين، وليس على بحر قطر ساكن ولا يأوي إليه أحد"[٣٢].

٣-٢- مدينة توزر:

تأتي المخلفات الإنسانية بعد ذرق الحمام في الجودة في رأي بعض علماء الفلاحة "لأن فيه قوة شبيهة بقوة ذرق الحمام"[٣٣]، بينما اعتبرها البعض الآخر أفضل من مخلفات الطيور؛ لأنها "أعدل، وأكثر إسخانًا؛ لأنه ألطف الأزبال كلها، فهو يسخن الأرض بجودة اختلاطه بها ويدفع خشاها وغلظ بردها ويبسها"[٣٤]، وطبعًا لا يجوز استعمال المخلفات مباشرة بل يجب أن تُترك لفترة زمنية "وأما السرجين الذي قد أتت عليه ثلاث سنين، وأربع سنين فجيد جدًا، وذلك أنه إذا طال به الزمان ذهب عنه جميع ما كان به من طراوة ونتن الرائحة، ولان ما كان به من الخشونة"[٣٥].

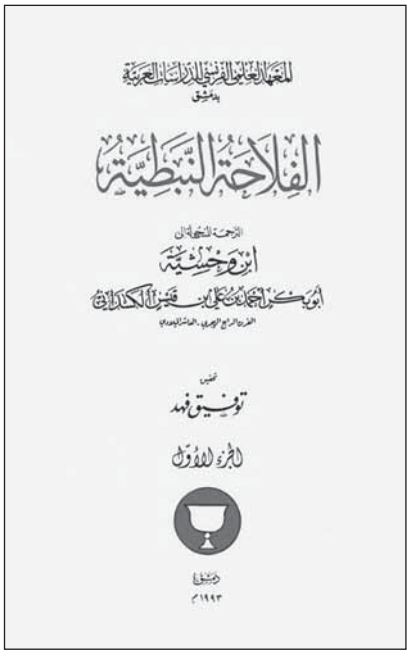

الفلاحة النبطية لابن وحشية

انتشرت هذه المعارف في كافة أنحاء المعمورة، فنجد في مدينة توزر التونسية كانت الفضلات البشرية تُجمع لتباع لتجار متخصصين في جمعها وتحويلها إلى زبل للأراضي الزراعية.

تقع مدينة توزر في كورة قَسطيلية في بلاد الجريد، و**قسطيلية** أو قصطيليّة أو قسطيلَة اسم لموقع بالبلاد التونسيّة، أطلق في العصر الوسيط تارة على مدينة (وهي تَوْزر أو تُوزر)، أو في الأغلب على كامل المقاطعة التي كانت هذه المدينة قاعدتها ومركزها، وهي بلاد الجريد الحالية التي تطابق اليوم ولاية توزر[٣٦].

خريطة توضح موقع مدينة توزر في الجمهورية التونسية

وقد ذُكر في **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار** أن "أهل توزر يبيعون زبل مراحيضهم، وهم لا يُدخلون المراحيض بالماء لئلا يَفسد الزبل، فإذا دخل أحدهم المرحاض مشى إلى بعض السواقي التي تشق مدينتهم أو الوادي فاغتسل، ويمشي عندهم دلال المرحاض بالزبل في الإناء، فإذا كان جافًا حرص عليه، وإذا كان رطبًا زهد فيه، ويضعون في جناتهم مراحيض على الطرق العامرة لمن كان مضطرًا أو غريبًا ليس من أهلها، وأما البلدي فلو أمسك ذلك يومًا أو يومين ما رماه إلا في مرحاضه، وإنما ذلك لتدمين أرضهم لأنها في غاية الجفوف لقربها من الصحراء، وتتفاضل بلاد الجريد في رطوبة الأرض ودهنيتها وتوزر أيبسها"[٣٧].

٣-٣- مدينة البصرة:

بقيت مسألة تصريف المفرزات الإنسانية من المسائل العسيرة، لكن يظهر أنها كانت تحل في مدينة البصرة المشهورة بتجارتها حلاً من طريق المضاربة، وكان بالبصرة تجار لهذه المهمة، وكان ذلك موضوعًا لأصحاب النوادر[٣٨]، فيُحكى أنه "دخل فتى من أهل المدينة البصرة، فلما انصرف قال له أصحابه: كيف رأيتَ البصرة؟ قال: خير بلاد الله للجائع والغريب والمفلس، أما الجائع فيأكل خبز الأرز والصحناء فلا ينفق في شهر إلا درهمين، وأما الغريب فتزوج بشق درهم، وأما المحتاج فلا عليه غائلة ما بقيت له أسته، يخرأ ويبيع"[٣٩].

٣-٤- قرية مُقْرَى:

تم أيضًا إعادة تدوير مخلفات الحيوانات لاستخدامها كوقود لإشعال نيران التنور، كما فعل أهل قرية مقرى بمخلفات إبلهم لاستخلاص معدن العقيق من شوائبه.

هي "قرية على مرحلة من صنعاء، بها معدن العقيق ونيله من أجود أنواع العقيق، حكى معالجوه أنهم يجدون قطعة نحو عشرين منًا، فيُكسر ويُلقى في الشمس عند شدة الحر، **ثم يُسجر له التنور بأبعار الإبل**، ويجعلونه في شيء يَكِنّه عن ملامسة النار، فسيّر منه ماء يجري في مجرى وضعوه له، ثم يستخرجونه لم يبق منه إلا الجوهر وما عداه صار رمادًا"[٤٠]، وقد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان)[٤١].

٤-ألياف ثمرة جوز الهند:

٤-١- مدينة ظفار:

يُطلق البعض على نخلة جوز الهند اسم (شجرة الحياة)، ويصفونها بالهدية التي وهبها الله للبشر لما لها من فوائد عديدة، فهي غذاء ودواء وجمال، تتكون ثمرة جوز الهند من قشرة خارجية ناعمة، ثم طبقة الألياف (الغلاف الأوسط) بسماكة (٤-٨ سم)، ثم قشرة صلبة (الغلاف الخارجي)، ثم اللب الذي يحيط بفجوة مملوءة بسائل هو الإندوسبرم[٤٢].

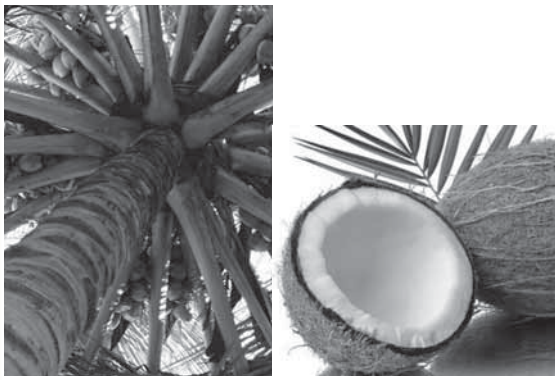

شجرة النارجيل (جوز الهند) وثمرتها وطبقة الليف المحيط بها

وتعدّ المناطق الساحلية لمحافظة ظفار العُمانية من المواطن الملائمة لزراعة وإنتاج العديد من المحاصيل الزراعية الاقتصادية الهامة مثل النارجيل (جوز الهند) والموز لتميز سواحلها بمناخ معتدل طوال العام[٤٣].

أعاد سكان مدينة ظفار **تدوير استعمال الليف المحيط بثمرات جوز الهند،** فبدلاً من رميه تم صنع حبال قوية منه خاطوا بها ألواح المراكب عوضًا عن استخدام المسامير الحديدية التي تتفاعل مع مياه البحر المالحة وتصدأ.

ذكر ابن بطوطة: "النارجيل: وهو جوز الهند، وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأنًا وأعجبها أمرًا وشجره يشبه شجرة النخيل لا فرق بينهما إلا أن هذه تثمر جوزًا وتلك تثمر تمرًا، وجوزها يشبه رأس ابن آدم لأن فيها شبه العينين والفم وداخلها شبه الدماغ إذا كانت خضراء، وعليها ليف شبه الشعر، وهم يصنعون منه حبالاً يخيطون بها المراكب عوضًا عن مسامير الحديد، ويصنعون منه الحبال للمراكب"[٤٤].

٥-الطوب السيء الشي:

ساد نمط البناء باللبُن (الطوب النيء) قديمًا في البلاد التي تفتقر إلى الأحجار، ويُصنع الطوب النيء من خليط مكون من "الطين الابليز[٤٥] والتبن الناعم يُترك في الهواء المطلق حتى يتصلب"[٤٦]، إلى أن اكتشف الإنسان أنه إذا قام بشي الطوب فإنه يصبح أكثر قساوة وديمومة ومقاومة لعوامل الطبيعة، فظهر الآجر[٤٧] وهو "حجر صناعي، مسطح أحمر اللون، ويُتخذ من أجزاء الأرض الدسمة وكيفية صناعته أن نعجن تلك الأجزاء بماء، ثم يقولب عجينها، وتوضع في مستطيل من خشب ونحوه، ثم بعد تجفيفه يُحرق في تنور لتكثر صلابته"[٤٨].

الجـــزء الثـــانى
مـــن
خلاصـــة الأفكـــار فى فـــن العمار
تأليف
(حضرة محمد العارف بالله)
مدرس علم العمارة بمدرسة الهندسخانة الخديوية
سابقًا
ومن أعضاء النيابة العمومية من المحكمة الخديوية
لاحقًا
الذى تدريسه للتلامذة مدرسة الهندسخانة الخديوية بمصر حسب برد برامجها
الصادر بقرار مجلس النظار فى جلسته المنعقدة فى ٩ جمادى الأول سنة ١٣٠٤
و ٢٤ يناير سنة ١٨٨٧ الذى صدق عليه أيضًا بعرفته
(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)
الطبعة الأولى
بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣١٥
هجرية

خلاصة الأفكار في فن المعمار لمحمد عارف

٥-١- مصر:

ساد استعمال الطوب المشوي في بناء البيوت في جميع قرى الوجه القبلي والوجه البحري في مصر، فمن المعلوم "أن إنشاءات أي بلد تصنع من المواد المتسلطن وجودها في هذا البلد والتي يمكن الحصول عليها بثمن مناسب"[٤٩]، ولكن كانت تظهر بعض العيوب في الطوب الناتج عن عملية الشي لأسباب عدة[٥٠]:

- قد ينتج طوب سطوحه غير مستوية لأنه رصّ على أرض غير مستوية بعد إدخاله في القوالب.
- قد ينتج طوب أجزاءه غير مندمجة ببعضها لعدم تماسك أجزاء الطينة ببعضها.
- قد ينتج طوب فيه حروق ومسام عدة نتيجة

احتراق المواد الداخلة في الخلطة كالتبن وغيره.

- قد ينتج طوب شيه غير متساو في أجزائه المختلفة بسبب بدائية الأفران المستعملة في عملية الشي، لذا تكون درجة الشي للطوب الناتج ليست واحدة.

وللأسباب السالفة الذكر كان ينتج من هذه الصنعة كميات كبيرة من الطوب الذي لا يمكن استعماله في البناء، فتم **إعادة تدوير الطوب السيء** بأشكال عدة:

"وأما **الطوب غير الجيد الاستواء** فإنه يُستعمل في الحمرة[٥١]، وأما **المُكسر** فإنه يستعمل في حشو المباني، وأما **المُطفل** أي المُحرق حرقًا قليلاً فإنه يستعمل مرارًا في الكسوة الظاهرة

لسطوح القماين[٥٢]، ويوجد في القمينة نوع آخر من الطوب أثرت فيه الحرارة تأثيرًا شديدًا فاكتسى بطبقة زجاجية، وهذا النوع يمكن أن ينتفع به في دكات الأساسات، وقد يمكن الانتفاع بالحرارة الضائعة من القمينة بأن يوضع فوق سطحها كمية من الدبش يُستخرج منها الجير اللازم"[٥٣].

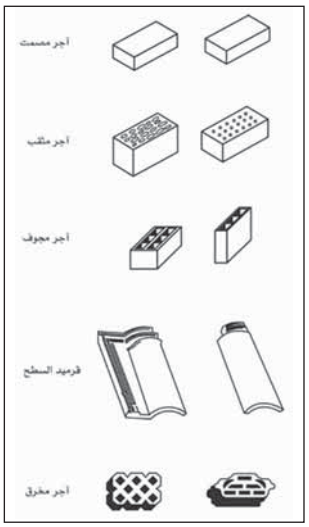

أشكال الآجر الرئيسية

كما **تم إعادة تدوير الطوب المتخلف من هدم منازل قديمة** مبنية منه، فتم بيعه للشركة المسؤولة عن بناء قناة السويس التي استعملته في بناء حيطان الحواجز في قناة السويس.

"حينما كانت شركة قنال السويس تؤسس مدينة بور سعيد سنة ١٨٦٠مسيحية قد استعملت طوبًا قديمًا متخلفًا من هدم منازل من دمياط، وكان أغلب هذا الطوب مكسرًا لكنه كان محروقًا حرقًا جيدًا وكثير المقاومة، وكان مبيعًا من الحكومة بثمن بخس، وهو موافق لعمل حيطان الحواجز التي كانت تبنيها الشركة المذكورة"[٥٤].

٦- قمامة المنازل:

تعد كمية القمامة ونوعيتها مؤشرًا هامًا للدلالة على مستوى معيشة الناس في المدينة ومدى اتساعها، فمثلاً يذكر المقريزي أن القمامة المرمية في مدينة القاهرة المملوكية أصبحت تلالاً لكثرتها "سمعت الكافة ممن أدركتُ يفاخرون بمصر (يقصد مدينة القاهرة) سائر البلاد ويقولون يُرمى بمصر في كل يوم ألف دينار ذهبًا على الكيمان[٥٥] والمزابل، يعنون بذلك ما يستعمله اللبّانون والجبّانون والطباخون من الشِقاف[٥٦] الحمر التي يُوضع فيها اللبن، والتي يوضع فيها الجبن، والتي تأكل فيها الفقراء الطعام بحوانيت الطباخين، وما يستعمله بياعو الجبن من الخيط والحصر التي تعمل تحت الجبن في الشقاف، وما يستعمله العطارون من القراطيس والورق القوي، والخيوط التي تشد بها القراطيس الموضوع فيها حوائج الطعام من الحبوب وغيرها، فإن هذه الأصناف المذكورة إذا حُملت من الأسواق، وأُخذ ما فيها أُلقيت

إلى المزابل، ومن أدرك الناس قبل هذه المحن وأمعن النظر فيما كانوا عليه من أنواع الحضارة والترف لم يستكثر ما ذكرناه"[٥٧]

٦-١- مدينة بغداد:

تحدث الهمداني عن طريقة إعادة تدوير قمامة المنازل في مدينة بغداد في القرن الرابع للهجرة تشابه كثيرًا طريقة إعادة تدويرها في الوقت الحاضر في البلاد النامية.

ذكر **ابن الفقيه الهمداني** أن صديقه البغدادي أُلقيتْ قمامة عند باب داره، فأراد معاقبة الفتى الذي قام بهذا الفعل، لكن توقف عن إنزال العقاب بالفتى بعد ما رأى من إعادة تدوير لهذه القمامة، إذ أتى رجل قام بنبش القمامة والتقاط الصوف والزجاج المكسر في البداية، ثم تبعه آخر فالتقط قشور جوز الهند وقشور الخضروات الأخرى، ثم تبعه رجل فأخذ النوى، ثم أتى الرجل الذي يعمل في قميم الحمام فغربل ما تبقى وأخذ بغيته، وتبعه آخر فنخل التراب وأخذ شيئًا ومضى، حتى أقبل أجير المزارع فجمع ما تبقى من تراب ورماد وأخذه.

"حدثني في أثر ذلك صديقي السرخسي فقال: إن طبّاخًا لنا أتى بقمامة فرماها إزاء باب دار منزلنا ببغداد فجلستُ لتأديبه قبالتها ودعوتُ بالمقارع، إذ أقبل رجل يسعى لشأنٍ كأنما لم يُخلق لغيره، فبحث القمامة بيده وأثار منها صوفًا وزجاجًا مكسّرًا فالتقفه ومضى مبادرًا، ثم أتى آخر في أثره ينحو نحوه فبحث باقيها وأثار منها قشور جوز وقشور، فأخذ منها وولى منطلقًا، ثم تلاهما ثالث يقفو أثرهما، فأثار القمامة وأخرج ما كان فيها من النوى فأخذها ومضى، ثم أقبل قمّام الحمّام فغربلها وتزود ما فيها ثم مضى، ثم أقبل آخر معه فنخل التراب فاستخرج منه شيئًا فأخذه ومضى، ثم جاء أجير الحراث فكسح باقيها وكان ترابًا ورمادًا فأخذه ومضى. قال: فأمسكتُ عن ضرب الغلام، وقلتُ: ذلك تقدير العزيز العليم" [٥٨].

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي

وقد ذكر ابن الفقيه، الهمذاني، في **كتابه البلدان**، أنه بات هناك أشخاص يعملون في تأمين الوقود الحمام وأطلق عليه لقب كناس الوقود "ثم نظرنا بقدر ما تحتاج إليه كل حمام من القوام الذين لا قوام لكمال الحمام بما هو دونهم، فوجدنا كل حمام يحتاج إلى أربعة نفر لا بد لها منهم: صاحب الصندوق، والقيم، والوقاد، وكناس الوقود"[٥٩].

٦-٢- مدينة مرو:

تقع مدينة مرو في خراسان (تركمانستان

حاليًا)، ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان: "أشهر مدن خراسان وقصبتها"[٦٠].

خريطة توضح موقع مدينة مرو في خراسان

اشتهرت مدينة مرو بعد الفتح الإسلامي لها بأنها أحد مراكز الجهاد في بلاد ما وراء النهر، لكن اشتهر أهلها أيضًا من خلال كتاب **البخلاء** للجاحظ الذي قص قصص طريفة عنهم، والتي تُظهر أيضًا جانبًا هامًا من مدى حرص أهلها على إعادة تدوير النفايات في مجالات أخرى، ومن هذه القصص قصة الجار المروزي الذي تضايق عندما وجد جاره يجمع ما تبقى من نبات قصب السكر ليرميه بعد أن مصه، وقام بتأنيبه وأخبره أن البقايا يمكن إعادة تدويرها واستعمالها في إيقاد التنور والطبخ عليها.

"حكى أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام عن جاره المروزي··· قال: ورآني مرة مصصتُ قصب سكر، فجمعت ما مصصت ماءه لأرمي به، فقال: إن كنتَ لا تنور لك ولا عيال عليك، فهبه لمن له تنور وعليه عيال، وإياك أن تعوِّد نفسك هذه العادة في أيام خفة ظهرك، فإنك لا تدري متى يأتيك العيال"[٦١].

البخلاء للجاحظ

٦-٣- بلاد الشام:

تشابهت طرائق التخلص من القمامة في المدن الإسلامية، فهي في بلاد الشام تشابه طرائق التخلص منها في العراق، إلا أن المشتغلين بعملية إعادة التدوير باتوا متخصصين وأصحاب حرفة، وأطلق عليهم ألقاب باتت معروفة في المجتمع، فهناك **الزبال** الذي يجمع الزبل ليزود به قميم الحمام، وهناك **السوادي** الذي يجمع ما كومه الكناس على أطراف الشوارع من قمامة ليبيعها لأصحاب البساتين الذين يستخدمونها كسماد لأراضيهم، وقد ذكر ذلك في **(قاموس الصناعات الشامية)** مثل:

"زبال: هو في اصطلاح أهل الشام يطلق على قميمي الحمامات الذي يشتري لمعلمه الزبل من خانات الدواب، ويضعه على دابة بوعاء كبير، يسمى شليفًا ويملؤه حتى يصير كالقبة على ظهر الدابة، ولأهل هذه الحرفة مزيد اعتناء في وضع الزبل على الدابة، فيغرزون حول الشليف من داخله قضبانًا من عروق الذرة اليابسة

وغيرها، ويمشي خلفه متبخترًا، معجبًا بنفسه، ثم يذهب به إلى قميم الحمام، ويلقيه عند التنور، لأجل الوقيد، وله على ذلك أجرة من معلمه، ويتعيش منها"[٦٢].

"والسوادي: هو من يدور في الأزقة، ومعه دابة عليها سريجة[٦٣] وقفة من خوص، ومجرفة من حديد يملأ بالقفة ما جمعه الكناس[٦٤] من القمامة، ويضعه في السريجة على الدابة، حتى إذا امتلأت السريجة يذهب بها إلى البستان الذي يخدم فيه، وأصحاب البساتين والفلاحة المجاورة لدمشق، لكثرة الماء عندهم، يزرعون أراضيهم في دور السنة مرتين، فيحتاج ذلك لكثرة "العمارة" فيرسلون خدمتهم، هؤلاء الذين يعرفون بدمشق بـ "السوادية" ومعهم الدواب، فيدورون كما وصفنا، ويجمعون ما يجدونه من تلك القمامات، يصفونها فوق بعضها، فتصلح لما يزرعونه أصحاب البساتين في بساتينهم، وينمو بها الزرع ويطيب.

وأصحاب هذه الحرفة دائمًا هذا ديدنهم وشغلهم، صيفًا وشتاءً، يتعيشون مما يحصلونه من أجرتهم، والله يرزق من يشاء"[٦٥].

وقد أبدع الأقدمون في إعادة التدوير فحتى بعد أن تحرق الزبالة في قماين الحمامات العامة وتتحول المادة العضوية فيها نتيجة الاحتراق إلى مواد معدنية بشكل رماد، كانت يتم غربلة الرماد لينتج **القصرمل** الذي يخلط مع الكلس والرمل مشكلاً مادة عازلة جيدة المقاومة، تستعمل في أعمال البناء والإنشاء بعد التأسيس وردم الأساسات، وتنفيذ طبقة التسوية في طابق القبو أو الطابق الأرضي[٦٦].

ذكر الأسدي في موسوعته: "القصرمل من "القَصَر" العربية: ما يبقى في الغربال من نفاية رماد الزبل كان يجمع من مميّل الحمّام، ومن "المَلّة" بفتح الميم: الرماد الحار.

على أنهم أطلقوا القصرمل على ما ينزل من الغربال من هذا الرماد لا ما يبقى فيه الذي سموه: الجمْش، وكانت واردات بيع القصرمل تغطي مصاريف الحمّام كلها"[٦٧].

الخاتمة:

نجد مما سبق أن عملية التدوير عملية قديمة جدًا وليست وليدة العصور الحديثة، كما يظن الكثيرون، وقد مارس الإنسان إعادة التدوير لكثير من المواد التالفة التي كثرت في منطقته فحولها بطرائق مبتكرة إلى مواد جديدة مفيدة استخدمها في أمور حياته المعيشية، ووفر بذلك من استهلاك الموارد الطبيعية، وحافظ على نظافة البيئة المحيطة به، كما أمن دخلاً ماديًا إضافيًا، ويكون بذلك قد قام؛ بشكل عفوي، بإجراءات اقتصادية بيئية تنادي بها الحكومات والدول حاليًا، وتضع لها سياسات وخطط كثيرة.

وقد كانت المؤلفات التراثية العربية سباقة في ذكر بعض من هذه العمليات، إذ أنها جذبت اهتمام المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب فكتبوا عنها مظهرين إعجابهم بمقدرة الإنسان وإبداعه في ابتكار مواد مفيدة من مخلفات لا قيمة لها، فكانت مؤلفاتهم هذه من أوائل الكتب التي نوهت إلى قدم عمليات إعادة التدوير والإنجازات الحاصلة في هذا المجال.

الحواشي

(١) **الخلايلة** رضا محمد عايد،٢ / كانون الأول / ٢٠٢٢م- "أهمية تدوير النفايات وأنواع إعادة التدوير"، **المجلة العربية للنشر العلمي (AJSP)**، الإصدار الخامس، العدد خمسون، ص ٧٨٤.

(٢) **كلية العلوم الطبية التطبيقية، جامعة كربلاء**، مادة "التدوير"، ٨ سبتمبر ٢٠١٧م، http://ams.uokerbala.edu.iq/

(٣) **مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية الميسرة**. المكتبة العصيرية، صيدا-بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، حرف السين، مادة "سمك"، مج٤، ص١٨٩٠.

(٤) **المرجع السابق**، مج٧، حرف التاء، مادة "التونة"، ص٣٣٢.

(٥) **المرجع السابق**، مج١٨، حرف القاف، مادة "القرش"، ص١٥١.

(٦) **القزويني** زكريا بن محمد بن محمود، **آثار البلاد وأخبار البلاد**. دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ص٢٢.

(٧) **خرز**: خرز الظهر فقاره.

الجوهري إسماعيل بن حماد (ت٣٩٨هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، حرف الخاء، مادة "خرز"، ص٣١٢.

(٨) **الشريف الإدريسي** محمد بن محمد بن عبد الله (عاش في القرن السادس الهجري)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، مج١، ص٨٦٠.

(٩) **ابن بطوطة** محمد بن عبد الله اللواتي، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية- سلسلة التراث،١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، مج٢، ص١٣٠، (حاشية المحقق).

(١٠) **سمك اللخم**: هو نوع من أنواع السمك المجفف (القرش)، واشتهرت به سواحل حضرموت وسواحل عمان.

المطبخ اليمني، مادة "اللخم الحضرمي"، /https://m.facebook.com

(١١) **جبل لُمعان**: الوصف الذي أعطاه ابن بطوطة لجبل لُمعان يتوافق وجزيرة حلانية إحدى مجموعة جزر خوريا موريا، وهي على بعد ٢٠ ميلا فقط شرقي حاسك.

ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. مج٢، ص١٣٠، (حاشية المحقق).

(١٢) **المصدر السابق**، مج٢، ص١٣٠.

(١٣) **القزويني، آثار البلاد وأخبار البلاد**. ص٢٤

(١٤) **باري** عثمان برايما، **جذور الحضارة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي**. دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، حاشية المؤلف، ص١٨.

(١٥) **محمود** ياسر حنفي، مادة **"روايات المؤرخين العرب عن مملكة "قبائل التكرور"**، ١٣ فبراير ٢٠٢١، https://rosaelyoussef.com

(١٦) **ياقوت الحموي** شهاب الدين أبي عبد الله، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، مج٢، حرف التاء والكاف وما يليهم، مادة "تكرور"، ص٣٨.

(١٧) **مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط**. مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، باب الدال، مادة "درق"، ص٢٨١.

(١٨) **المِجَنُّ**: من فعل جنن، وتعني الترس.

الجوهري، الصحاح. حرف الجيم، مادة "جنن"، ص٢٠٥.

(١٩) **القزويني، آثار البلاد وأخبار البلاد**، مصدر سابق، ص٢٦.

(٢٠) **خـاروف** حسن حلمي، مـادة "الظبائيات"، **الموسوعة العربية**، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، مج١٢، ص٧١١

(٢١) **الفـيـروزأبـادي**، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، حرف اللام، فصل اللام، مادة "لمط"، ص١٤٨٧.

(٢٢) **كاتب مراكشي** (من كتاب القرن السادس الهجري)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**. نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العربية، بغداد، العراق، د.ت، ص ص ٢١٣-٢١٤.

(٢٣) **ابن هذيل** علي بن عبد الرحمن، **حلية الفرسان وشعار الشجعان**. تحقيق وتعليق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م، ص ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢٤) **الحميري** محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، حرف الزاي، مادة "الزلاقة"، ص٢٨٨.

(٢٥) **الفقي**, محمد عبد القادر, "رؤية إسلامية لإعادة تصنيع النفايات", **مجلة الوعي الإسلامي**. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- دولة الكويت, العدد ٤٤١، السنة التاسعة والثلاثون-جمادى الأولى ١٤٢٣هـ-يوليو /أغسطس ٢٠٠٢م، ص٦٢.

(٢٦) **ابن العوام الإشبيلي** يحيى بن محمد (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، **الفلاحة الأندلسية**. تحقيق أنور أبو سويلم وسمير الدروبي وعلي ارشيد محاسنة، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ط١، عمان- الأردن، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ج١، ص٤٤١.

(٢٧) **جلفار**: رأس الخيمة حاليًا

حسن منى، "مسميات المدن والمناطق في الإمارات.. خصوصية وأصالة"، **مجلة تراث**. نادي تراث الإمارات- مركز زايد للدراسات والبحوث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد ٢٨١، مارس ٢٠٢٣م، ص١٨.

(٢٨) **السبخة**: أرض واسعة مطلة على البحر في المنطقة الغربية لدولة الإمارات العربية المتحدة قريبة من حدودها مع المملكة العربية السعودية وقطر، تُعرف باسم سبخة مطي، والسبخة أرض ذات ملح ونز.

ملكاوي خالد صالح، "الأماكن في الإمارات .. مسميات ودلالات عبر التاريخ"، **مجلة تراث**. نادي تراث الإمارات- مركز زايد للدراسات والبحوث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد ٢٨١، مارس ٢٠٢٣م، ص٢٣.

(٢٩) **شقاب**: أصلها شِّقْب،: كالغار أو كالشق في الجبل، والشِّقاب هو مهوى بين الجبلين.

الجوهري، الصحاح. حرف القاف، مادة "شقب"، ص٦٠٦.

(٣٠) بوار: أصلها بور: الأرض التي لم تُزرع.

الجوهري، الصحاح. حرف الباء، مادة "بور"، ص ١٢١.

(٣١) **توسق**: الوَسْق: مصدر، وَسقْتُ الشيء: جمعتُه وحملتُه، ومنه قوله تعالى (وَالَيلِ وما وَسَقَ) [الانشقاق:١٧]

الجوهري، الصحاح. حرف الواو، مادة "وسق"، ص١٢٤٥.

(٣٢) **الشريف الإدريسي** محمد بن محمد بن عبد الله (من علماء القرن السادس الهجري)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ص١٦٢- ١٦٣.

(٣٣) **ابن العوام الإشبيلي، الفلاحة الأندلسية**. ج١، ص٤٤٣.

(٣٤) **ابن وحشية** أحمد بن علي بن قيس الكسداني (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، **الفلاحة النبطية**، تحقيق توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ط١، ١٩٩٣م، ص٣٦١.

(٣٥) **ابن العوام الإشبيلي، الفلاحة الأندلسية**. ج١، ص٤٤٦

(٣٦) قَسطيلية في بلاد الجريد: **قسطيلية** أو قصطيليّة أو قسطيلَة اسم لموقع بالبلاد التونسيّة، أطلق في العصر الوسيط تارة على مدينة (وهي تَوْزر أو تُوزر)، أو في الأغلب على كامل المقاطعة التي كانت هذه المدينة قاعدتها ومركزها، وهي بلاد الجريد الحالية التي تطابق اليوم ولاية توزر.

الموسوعة التونسية المفتوحة، مادة "قسطيلية"، /http://www.mawsouaa.tn

(٣٧) **كاتب مراكشي، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**. ص ص١٥٥ -١٥٦.

(٣٨) **متز** آدم، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**. ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٥، مج٢، ٢٧٨ص

(٣٩) **ياقوت الحموي، معجم البلدان**. مج١، حرف الباء، باب الباء والصاد وما يليهما، مادة "بصرة"، ص٤٣٦

(٤٠) **القزويني، آثار البلاد وأخبار البلاد**. ص٦٢.

(٤١) **ياقوت الحموي معجم البلدان**. مج٥، حرف الميم، باب الميم والقاف وما يليهما، مادة "مُقْرَى"، ص١٧٣.

(٤٢) **حامد** جمال الدين عبد الحي و **هبيس** محمد بن مسلم علي، **زراعة نخيل النارجيل في سلطنة عُمان**، دائرة الإعلام التنموي، سلطنة عُمان، ٢٠١٤م، ص ص ٥-٩.

(٤٣) **المرجع السابق**. ص٧.

(٤٤) **ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. مج٢، ص ص ١٢٧-١٢٨.

(٤٥) **الطين الأبليز**: هو مادة الغضار، وهو ناتج عن تفتت بعض الصخور الرسوبية بفعل عوامل الطبيعة، وتحتوي كل فلزاته على نسب مختلفة من السيليس (السيليكا) sio٢ والألمين (الألمينا) Al٢o٣.

العرفي، عمر، "مادة الآجر"، **الموسوعة العربية**. هيئة الموسوعة العربية، دمشق، مج١، ص٤٠٩.

(٤٦) **عارف** محمد، **خلاصة الأفكار في فن المعمار**. ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، ط١، ١٣١٥ه، ج١، ص٣٨.

(٤٧) **الآجر**: مفردها آجرة (الطوبة) هي الوحدة المستعملة في البناء من ناتج حرق الطين، أو أي مخلوط آخر كالجير والرمل.

مجموعة من المؤلفين، معجم الهيدرولوجيا. مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، حرف(B)، مادة "Brick".

(٤٨) **مؤلف مجهول، مخطوطة "في بيان ما يتعلق بالأشياء اللازمة للعمارات عمومًا"**. تحقيق ودراسة أ. د. م. مها الشعار، مراجعة أ. د. مصطفى موالدي، سلسلة تراثنا العلمي، دار الكتب والوثائق القومية- مركز تحقيق التراث، القاهرة، مصر، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م، ص١١٥.

(٤٩) **عارف، خلاصة الأفكار في فن المعمار**. ج١، ص٣٨.

(٥٠) **المصدر السابق**، ج١، ص٤٢.

(٥١) الحمرة: تنتج عن طحن الآجر الأحمر، وتدخل في تركيب المونة.

عارف، خلاصة الأفكار في فن المعمار. ج١، ص٨٢.

(٥٢) القماين: أفران شي الطوب.

عارف، خلاصة الأفكار في فن المعمار. مصدر سابق، ج١، ص٤٢

(٥٣) **المصدر السابق**، ج١، ص٤٦.

(٥٤) **عارف، خلاصة الأفكار في فن المعمار**. ج١، ص٤١.

(٥٥) **الكيمان**: جمع كوم، وكومت كومة، إذا جمعت قطعة من تراب ورفعت رأسها.

الجوهري، الصحاح. حرف الكاف، مادة "كوم"،

ص١٠١٧.

(٥٦) **الشقاف**: من الشقف: الخزف أو مكسره، الواحدة: شقفة

مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط. حرف الشين، مادة "الشقف"، ص ٤٨٩.

(٥٧) **المقريزي** تقي الدين بن أحمد بن علي (٧٦٤ - ٨٤٥ هـ/١٣٦٤ - ١٤٤٢م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**. تحقيق محمد زينهم – مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ج٢، ص ص ٥٨٠-٥٨١.

(٥٨) **ابن الفقيه الهمداني**، أبو عبد الله أحمد بن محمد، **كتاب البلدان**. تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، ط١، ص٣٢٢.

(٥٩) **المصدر السابق**، ص٣٤٠.

(٦٠) **ياقوت الحموي، معجم البلدان**. مج ٥، حرف الميم، باب الميم والراء وما يليهما، ص١١٢ وما يليها.

(٦١) **الجاحظ**، عمرو بن بحر، **البخلاء**، حقق نصه وعلق عليه طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ص٢٨.

(٦٢) **القاسمي** محمد سعيد و **القاسمي** جمال الدين، و **العظم**، خليل، **قاموس الصناعات الشامية**. حققه وقدم له ظافر القاسمي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٨م، ج١، حرف الزاي، مادة "زبال"، ص١٦٣

(٦٣) **سريجة:** هي وعاء كبير منسوج من حشيش عريض كالخوص الذي تنسج منه القفف، كهيئة الشليف، يوضع فيه كل شيء ثقيل، كالتراب والقمامات والبطيخ وغير ذلك. وبعد ذلك يتم وضعه على دابة كحمار، وتنقل من مكان إلى آخر، والفلاحون يستعملونها كثيرًا على دوابهم، وذلك لغلظها وقوتها

القاسمي والقاسمي والعظم، قاموس الصناعات الشامية. ج١، حرف السين، مادة "سرايجي"، ص١٨٣.

(٦٤) **كناس:** هو من يكنس القمامة من الطرقات بمكنسة طويلة، قاعدتها من الشيح، ومحترفو هذه الحرفة بدمشق، البعض منهم مستخدم في دائرة البلدية، وذلك لكنس الأزقة والحارات من الصباح إلى الظهيرة.

القاسمي والقاسمي والعظم، قاموس الصناعات الشامية. ج٢، حرف الكاف، مادة "كناس"، ص٣٩٥.

(٦٥) **المرجع السابق**، ج٢، حرف السين، مادة "سوادي"، ص٢٤٢.

(٦٦) **الرفاعي**، محمود فيصل، **حلب بين التاريخ والهندسة**، منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٢١١.

(٦٧) **الأسدي**، محمد خير الدين، **موسوعة حلب المقارنة**. أعدها للطباعة ووضع فهارسها محمد كمال، منشورات جامعة حلب، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٨٧م، مج٦، ص٢١١.

المصادر والمراجع

(١) **ابن بطوطة** محمد بن عبد الله اللواتي، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية- سلسلة التراث، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) **ابن العوام الإشبيلي** يحيى بن محمد (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، **الفلاحة الأندلسية**، تحقيق أنور أبو سويلم وسمير الدروبي وعلي ارشيد محاسنة، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ط١، عمان- الأردن، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

(٣) **ابن الفقيه الهمداني**، أبو عبد الله أحمد بن محمد، **كتاب البلدان**، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، ط١.

(٤) **ابن هذيل** علي بن عبد الرحمن، **حلية الفرسان وشعار الشجعان**. تحقيق وتعليق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.

(٥) **ابن وحشية** أحمد بن علي بن قبس الكسداني (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، **الفلاحة النبطية**، تحقيق توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ط١، ١٩٩٣م.

(٦) **الأسدي** محمد خير الدين، **موسوعة حلب المقارنة**، أعدها للطباعة ووضع فهارسها محمد كمال، منشورات جامعة حلب، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٨٧م، مج٦.

(٧) **باري** عثمان برايما، **جذور الحضارة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي**. دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٨) **الجاحظ** عمرو بن بحر، **البخلاء**، حقق نصه وعلق عليه طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط٥.

(٩) **الجوهري** إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٨هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(١٠) **حامد** جمال الدين عبد الحي و **هبيس** محمد بن مسلم علي، **زراعة نخيل النارجيل في سلطنة عُمان**، دائرة الإعلام التنموي، سلطنة عُمان، ٢٠١٤م.

(١١) **حسن** منى، "مسميات المدن والمناطق في الإمارات.. خصوصية وأصالة"، **مجلة تراث**. نادي تراث الإمارات-مركز زايد للدراسات والبحوث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد ٢٨١، مارس ٢٠٢٣م، ص ص ١٦-١٩.

(١٢) **الحميري** محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

(١٣) **خاروف** حسن حلمي، مادة "الظبائيات"، **الموسوعة العربية**، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، مج١٢.

(١٤) **الخلايلة** رضا محمد عايد،" أهمية تدوير النفايات وأنواع إعادة التدوير"، **المجلة العربية للنشر العلمي (AJSP)**، الإصدار الخامس، ٢ / كانون الأول / ٢٠٢٢م، العدد خمسون، ص ص ٧٨٢-٧٩٣.

(١٥) **الرفاعي**، محمود فيصل، **حلب بين التاريخ والهندسة**، منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(١٦) **الشريف الإدريسي** محمد بن محمد بن عبد الله (عاش في القرن السادس الهجري)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(١٧) **عارف**، محمد، **خلاصة الأفكار في فن المعمار**، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، ط١، ١٣١٥هـ.

(١٨) **العرفي** عمر، مادة "الآجر"، **الموسوعة العربية**، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، مج١.

(١٩) **الفقي** محمد عبد القادر، "رؤية إسلامية لإعادة تصنيع النفايات"، **مجلة الوعي الإسلامي**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- دولة الكويت، العدد ٤٤١، السنة التاسعة والثلاثون-جمادى الأولى ١٤٢٣هـ-يوليو /أغسطس ٢٠٠٢م، ص ص ٦٢-٨٢.

(٢٠) **الفيروز أبادي** مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(٢١) **القاسمي** محمد سعيد والقاسمي جمال الدين والعظم، خليل، **قاموس الصناعات الشامية**. حققه وقدم له ظافر القاسمي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

(٢٢) **القزويني** زكريا بن محمد ين محمود، **آثار البلاد وأخبار البلاد**. دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

(٢٣) **كاتب مراكشي** (من كتاب القرن السادس الهجري)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**. نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العربية، بغداد، العراق، د.ت.

(٢٤) **متز** آدم، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة، دار

الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٥.

(٢٥)**مجموعة من المؤلفين، معجم الهيدرولوجيا**. مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٢٦)**مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٢٧)**مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية الميسرة**. المكتبة العصيرية، صيدا- بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٢٨)**المقريزي** تقي الدين بن أحمد بن علي (٧٦٤ ٨٤٥ هـ/١٣٦٤ -١٤٤٢م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، تحقيق محمد زينهم – مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

(٢٩)**ملكاوي** خالد صالح، "الأماكن في الإمارات. مسميات ودلالات عبر التاريخ"، **مجلة تراث**. نادي تراث الإمارات-مركز زايد للدراسات والبحوث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد ٢٨١، مارس ٢٠٢٣م، ص ص ٢٠-٢٣.

(٣٠)**مؤلف مجهول، مخطوطة "في بيان ما يتعلق بالأشياء اللازمة للعمارات عمومًا"**، تحقيق ودراسة أ. د. م. مها الشعار، مراجعة أ. د. مصطفى موالدي، سلسلة تراثنا العلمي، دار الكتب والوثائق القومية-مركز تحقيق التراث، القاهرة، مصر، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

(٣١)**ياقوت الحموي** شهاب الدين أبي عبد الله، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

المراجع الإلكترونية:

(١) **كلية العلوم الطبية التطبيقية**، جامعة كربلاء، **التدوير**. ٨ سبتمبر ٢٠١٧م، http://ams./uokerbala.edu.iq

(٢) **محمود** ياسر حنفي، **روايات المؤرخين العرب عن مملكة "قبائل التكرور"**. ١٣ فبراير ٢٠٢١، https://rosaelyoussef.com

(٣) **المطبخ اليمني، اللخم الحضرمي**، https://m.facebook.com/

(٤) **الموسوعة التونسية المفتوحة**، مادة **"قسطيلية"**، http://www.mawsouaa.tn/

الإنصاف فيما بين الأئمة في حدثنا وأخبرنا من الاختلاف

تأليف

محمد بن الحسن بن محمد الجوهري التميمي

المتوفى نحو ٣٥٠ هـ تقريبا

تحقيق

الدكتور العربي الدائز الفرياطي

أستاذ الحديث وعلومه المشارك

بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة ابن طفيل القنيطرة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛

فقد اعتنى العلماء بفن علوم الحديث عناية بالغة، وأولوه اهتماما فائقا؛ فكثرت فيه التصانيف، وتنوعت فيه التآليف ما بين مبسوط ومختصر، وما بين منظوم ومنثور، وما بين متون وشروح، وبين ما هو عام شامل لعموم مسائله، وما هو خاص ممحض لبعضها دون بعض.

ومن هذا القبيل هذه الرسالة الحافلة الكافية الشافية في موضوعها ؛ فقد خصصها الإمام محمد بن الحسن الجوهري - أحد علماء القرن الرابع الهجري - لقضية اصطلاحية مهمة حصل فيها خلاف بين أرباب الاصطلاح وهي التسوية بين لفظي "حدثنا" و"أخبرنا". وتفنن فيها غاية التفنن، وأبدع فيها أيما إبداع؛ فافتتحها بذكر السبب المقتضي لتأليفها وهو سؤال بعض الناس ثم ذكر الخلاف بين أهل العلم في المسألة ليعقب باختياره وما يراه صوابا وهو عدم التفريق بينهما - أعني: "حدثنا" و"أخبرنا" - لينتقل إلى الاحتفال في إيراد الأدلة والشواهد الكفيلة بصحة ما ذهب إليه من أوجه عديدة منها: - أنه اختيار الأئمة الكبار - كأبي حنيفة والثوري ومالك وسفيان وغيرهم ومنها دلالات القرآن الكريم ثم دلالات الأحاديث النبوية.

يقول الجوهري: "ففي كل هذه الأخبار وجملة هذه الآثار المتواترة الصحيحة التي لا يتهيأ عليها التواطي، ولا يدخلها الشك ولا الريب تبيان استواء الخبر والحديث وأن كل ما يقال فيه "حدثنا" يقال فيه: "أخبرنا" ؛ لأن الرسول ﷺ خاطب أصحابه بأنه مخبرهم ثم ذكرهم الخبر لفظا، وذلك إنما يقال عند خصومنا: "حدثنا" و"أخبرنا""[1]" [2].

ثم عطف إلى الآثار عن الصحابة ثم استعراض الشواهد من لغة العرب ثم ختم بالقياس المؤسس على الأصول.

والحقيقة أن تناول الجوهري للمسألة وتشريحها بهذه الطريقة لهو أكبر دليل على فكر منهجي،

(١) كذا في النص، والسياق يقتضي أن تكون: [لا أخبرنا]

(٢) انظر: ما سيأتي في الإنصاف ص/؟

وتمكن علمي، وتوسع في المشيخة والطلب ، والناظر في رسالته هذه "الإنصاف" ، وفي رسالة شيخه الطحاوي "التسوية بين حدثنا وأخبرنا" المنشورة المتداولة يجد بينهما بونا كبيرا في التناول والاستدلال والاحتفال.

ومن أجل أن يطلع الباحثون عليها وتعم الفائدة منها عكفت على تحقيقها ، وخدمة نصوصها، وبذلت غاية جهدي في ذلك لتظهر أقرب إلى الكمال، ولا أنسى أن أشكر الصديق العزيز المحقق أبا قتيبة نظر الفاريابي ، والأخ الفاضل عبد الرحيم اليوبي. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول: ترجمة محمد بن الحسن التميمي الجوهري

عندما يتعلق الأمر بترجمة الشيخ المحدث محمد بن الحسن التميمي الجوهري المؤلف لـ"الإنصاف" فإننا نصطدم بعقبة كأداء ؛ ذلك أن الرجل يعد من العلماء المغمورين الذين لم يعثر لهم على ترجمة في الدواوين التاريخية عامة، وفي مصادر رواة الحديث وطبقات رجاله بصفة خاصة؛ فلم أقف بعد البحث الطويل على من ترجم له منهم إلا أن يكون في بعض المصادر المفقودة التي لم أقف عليها، وقد صرح بهذا الأمر الأستاذ محمد فضل عبد العزيز المراد الذي سبق لتحقيق كتابه الآخر ونشره بعنوان: "نوادر الفقهاء" حيث صرح قائلا: "وبعد جهد كبير بذلته لم أستطع الحصول على ترجمة للمؤلف، ومع الرجوع إلى المصادر التي أمكنني الرجوع إليها، والبحث العميق وسؤال بعض العلماء لم أعثر على من ترجم لهذا المؤلف"(١)

ومن الغريب أن الجوهري عرف من تآليفه كتابان: كتاب نوادر الفقهاء المطبوع، والإنصاف ـ وهو هذا الذي بين أيدينا ـ فإنه لم يكن محظوظا عند المؤلفين في أسماء الكتب والمصنفات وإحصائها كما هو حظه عند أصحاب التراجم والطبقات؛ فلم يترجم له حاجي خليفة في كشف الظنون ولا من ذيل عليه من العلماء مثل رياض زاده في أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون وإسماعيل البغدادي في إيضاح المكنون وهدية العارفين وجميل العظم في السر المصون، ولكن في المقابل مما يغتبط به أن جزءنا هذا "الإنصاف" يتضمن عددا من شيوخه الذين يروي عنهم، وبذلك نكشف جزءا من ترجمته وعصره.

وسألخص ما وقفت عليه في العناصر التالية:

أولا: اسمه ونسبه :

هو محمَّد بن الحسن بن محمَّد بن أحمد بن خلَّاد التميمي الجوهري

هذا أقصى ما عرفت من نسبه كما ذكره ابن الطحان في ترجمته لابنه: عبد العزيز الجوهري (٢)

(١) انظر: مقدمة تحقيق نوادر الفقهاء للجوهري ص/١٦

(٢) انظر: تاريخ علماء مصر لابن الطحان ص/٩٧

ثانيا: شيوخه:

نظرا لما للشيوخ من أهمية بالغة في الكشف والتعريف بالمترجمين عادة ولا سيما غير المشهورين من منهم كما هو شأن محمد بن الحسن الجوهري كان واجبا أن أعتني عناية خاصة بشيوخه؛ ولذا قمت بجرد الشيوخ الذين روى عنهم في هذا الجزء وإحصائهم، وجهدت في التعريف بهم من خلال كتب التراجم والتواريخ، وإليك تراجمهم مرتبين على المعجم:

١. أحمد بن محمد بن محمد الأزدي الطحاوي ؛ روى عنه الجوهري في (١٢) رواية؛

وهو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري أبو جعفر الطحاوي الإمام الفقيه الحافظ، المحدث المتوفي سنة (٣٢١هـ)، صاحب المؤلفات النفيسة المشهورة مثل: "مشكل الآثار"، و"معاني الآثار"، و"العقيدة الطحاوية" وغيرها.(١)

وقد اعتمد عليه الجوهري كثيرا واتكأ عليه من خلال رسالته المشهورة : "التسوية بين حدثنا وأخبرنا " ولم يقتصر عليها بل رجع إلى كتبه الأخرى مثل معاني الآثار، وهذا يدل على ارتباط الجوهري بشيخه الطحاوي ارتباطا وثيقا وتأثره به تأثرا بالغا؛ وانظر الروايات التي تلقاها عنه في الأرقام التالية: (٢) (٦) (١٠)(١١) (١٢) (١٤) (١٥) (١٦) (٣٥) (٣٧) و (٣٨)و (٣٩)

٢. أحمد بن حماد بن مسلم التجيبي؛ روى عنه الجوهري برقم: (٣٢)

هو أحمد بن حماد بن مسلم، أبو جعفر التجيبي البصري، المحدث المعمر الصدوق الملقب "زُغبة" نزيل مصر (ت: ٢٩٦هـ).

حدث عن: سعيد بن أبي مريم، وأبي صالح كاتب الليث، ويحيى ابن بكير، وسعيد بن أبي عفير، وأخيه عيسى، وجماعة .

وحدث عنه: النسائي، وعبد المؤمن بن خلف النسفي، وعلي بن محمد الواعظ، وأبو سعيد ابن يونس، وسليمان بن أحمد الطبراني، والحسن بن رشيق، وعاش أربعا وتسعين سنة.

قال ابن يونس: كان ثقة، مأمونا.(٢)

٣. بكر بن سهل الدمياطي؛ روى عنه الجوهري برقم:(٣٣)

هو بكر بن سهل بن إسماعيل بن نافع مولى بني هاشم أبو محمد الدمياطي، ولد سنة ١٩٦هـ وتوفي سنة٢٨٩هـ.

---

(١) انظر ترجمته في: السير ١٥/ ٢٧، وتاريخ الإسلام للذهبي٧/ ٤٣٩، والطبقات السنية للتميمي ٤٩/٢ ، والأعلام للزركلي ١/ ٢٠٦

(٢) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال للمزي ٢٩٦/١، والسير ١٣/ ٥٣٣ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٧٩، والعبر ١٠٥/٢ ـ ١٠٦، وتذهيب التهذيب ١/ ١٣٩، والكاشف وكلها للذهبي ١/ ١٩٢، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١/ ٢٥ ـ ٢٦، وشذرات الذهب لابن العماد ٣/ ٤٠٩

حدث عن: إبراهيم بن البراء، وشعيب بن يحيى، ونعيم بن حماد، وعبد الله بن يوسف التنيسي، وعبد الله بن صالح، ومحمد بن مخلد، وخلق.

وروى عنه: أبو القاسم الطبراني ، والطحاوي ، وأبو أحمد العسال وغيرهم

قال الذهبي: حمله الناس عنه وهو مقارب الحال ، وقال النسائي: ضعيف.(١)

٤. حبوش بن رزق الله الواسطي؛ روى عنه الجوهري برقم: (٣٤)

هو حبوش بن رزق الله بن بيان، أبو محمد الكلوذاني المصري ، مات بمصر في شوال سنة ٢٨٢هـ

حدث عن: عبد الله بن يوسف التنيسي، وأبي صالح كاتب الليث، والنضر بن عبد الجبار.

وروى عنه: أبو القاسم الطبراني في معاجمه، وعلي بن أحمد بن إسحاق البغدادي وغيرها.

وثقه ابن يونس، وقال ابن ماكولا والسمعاني: ثقة، وقال الذهبي: كان من عدول مصر، وذكره ابن قطلوبغا في الثقات، وقال الهيثمي: لم يضعفه أحد. ومع ذلك قال الألباني: لم أعرفه.(٢)

٥. الحسن بن محمد الجوهري والد المصنف؛ روى عنه الجوهري برقم (١٧) و(٢٣)

ولم أقف له على ترجمة.

٦. عبد الرحمن بن محمد الأنماطي؛ روى عنه المؤلف برقم (٣٦)

وذلك بروايته عن أبي سعيد الأشج الكندي المتوفي سنة ٢٥٧هـ (٣)، ولم أقف على ترجمته مثل سابقه.

٧. عبد الرحمن بن معاوية العُتْبي؛ روى عنه برقم (٢٩)

هو عبد الرّحمن بن معاوية بن أبي عبد الرّحمن، أبو القاسم العتبي المصري الطبري توفي في شعبان سنة (٢٩٢هـ)

يروي عن سعيد بن عفير ويحيى ابن بكير وعمرو بن خالد وروح بن صلاح ويوسف بن عدي، ويروي عنه: الطبراني وابن هارون وغيرهما

---

(١) انظر ترجمته في : تاريخ الإسلام ٦/ ٧٢٥، وميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٣٤٥، ولسان الميزان لابن حجر ٢/ ٣٤٤، وحسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٣٦٧، وإرشاد القاصي والداني للمنصوري ص/٢٢٦

(٢) انظر ترجمته في: الإكمال لابن ماكولا ٢/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ٦/٧٣٣ ، والثقات لابن قطلوبغا ١/ ١٤٠، والسلسلة الضعيفة للألباني ٤/ ١١٣، والتذييل علي كتب الجرح والتعديل لطارق آل ناجي ١/ ٦٥، وإرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني للمنصوري ص/٢٤٨)

(٣) لم أقف له على ترجمة.

ولم أجد فيه توثيقا صريحا. وقال الألباني: هو مجهول العدالة[1]

٨. عبد الله بن محمد العمري روى عنه المؤلف برقم(١٩)

كذا ورد في الأصل المخطوط: والظاهر أنه يسمى : عبيد الله - بالتصغير - وهو عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو بكر القاضي العمري(ت: بعد ٢٩٣هـ)

حدث عن: إسماعيل بن أبي أويس، والزبير بن بكار، وأبي الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح، وبكر بن عبد الوهاب، والحارث بن مسكين، وغيرهم.

وروى عنه: أبو القاسم الطبراني وأبو الميمون، وعون بن الحسن بن عون، وأبو علي بن شعيب، وأبو المسيب محمد بن أحمد بن عبد الواحد، وخيثمة بن سليمان، وعبد الله بن الحسين بن جمعة، وغيرهم.

قال النسائي: قاضي كذاب، وقال ابن عساكر: كان ممن خلع أبا أحمد الموفق بدمشق سنة تسع وتسعين ومائتين. وقال الدارقطني: كان ضعيفا. وقال الذهبي: رماه النسائي بالكذب. وقد ذكر له الحافظ بعض المناكير.

ويجدر التنبيه أنه وقع في فوائد تمام الرازي "عبد الله بن محمد العمري القاضي، بدمشق سنة تسع وستين ومائتين". هكذا مكبرا[2] والله أعلم.

٩. محمد بن أحمد الرازي؛ روى عنه المؤلف برقم: (٩)

وهو محمد بن أحمد بن حماد بن سعد بن مسلم، الحافظ المعروف بـ :"أبي بشر الدولابي " الوراق، ولد سنة ٢٢٤هـ رحل في طلب الحديث، واستوطن مصر، وتوفي في طريقه إلى الحج بين مكة والمدينة سنة (٣١٠هـ). له مصنفات مشهورة ، منها "الكنى والأسماء "، و"الذرية الطاهرة" وكلاهما مطبوع[3]

(١) انظر ترجمته في: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر الربعي٢/ ٦١٩، والإكمال لابن ما كولا ٣٦٨/٦، وميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ٢٢٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ٩٧٦، والسلسلة الضعيفة للألباني ٥٠١/١٢ (٥٧٢٥)، ورجال الحاكم في المستدرك للوادعي٨٥/١، وإرشاد القاصي والداني للمنصوري ص/٤١٢، ومصباح الأريب للمصنعي ٢/ ٢٥١

(٢) فوائد تمام للرازي١٢٠/١، وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٠١/٣٨، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٨٠، والميزان (٣/ ١٥)، والمغني في الضعفاء للذهبي١/ ٥٩٢ ، ، ولسان الميزان لابن حجر ٤/ ١٣٢، وغاية النهاية ٤٩٢/١، وإرشاد القاصي والداني للمنصوري ص/٤١٣

(٣) انظر ترجمته في: الأنساب للسمعاني ٥١١/٢، والمنتظم لابن الجوزي٦/ ١٦٩، ووفيات الأعيان لابن خلكان٤/ ٣٥٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ١٥٨، وتذكرة الحفاظ٢/ ٧٦٠ ٧٥٩، والعبر ١٤٥/٢، ودول الإسلام١٨٧/١، وميزان الاعتدال٤٥٩/٣، والسير للذهبي ١٤/ ٣٠٩، والوافي بالوفيات للصفدي ٢/ ٣٦، والبداية والنهاية لابن كثير ١٤٥/١١، ولسان الميزان ٦/ ٥٠٦، وطبقات الحفاظ للسيوطي/ ٣١٩، وشذرات الذهب لابن العماد ٢/ ٢٦٠، والرسالة المستطرفة للكتاني ص/١٢٠ ، والأعلام للزركلي ٥/ ٣٠٨.

١٠. محمد بن جعفر بن محمد بن أعين؛ روى عنه المؤلف برقم: (٢٦)

هو محمد بن جعفر بن محمد بن أعين أبو بكر البغدادي

نزل بمصر توفي سنة ٢٩٣هـ وحدث بها عن عاصم بن علي، وَالحَسن بن بشر البجلي، وأبي بكر إبن أبي شيبة.

رَوَى عنه المصريون، وأبو القاسم الطبراني.

قال ابن يونس: وَكان ثقة تُوُفِّيَ بمصر، وقال الذهبي: "المحدث الصادق"، ووثقه الخطيب وابن قطلوبغا.(١)

١١. محمد بن عمرو بن خالد ؛ روى عنه الجوهري برقم (٣٠)

هو محمد بن عمرو بن خالد بن فرّوخ الحرّانى أبو علاثة، حدّث عن أبيه، و محمد بن عمرو بن سعيد بن أسد بن موسى، ومحمد بن الحارث، وعبد الله ابن صالح. وروى عنه أبو القاسم الطّبرانى، وأبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله بن جميل البغدادى (نزيل سمرقند)، وجماعة كثيرة. توفى يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة ٢٩٢هـ، بمصر، وقيل : سنة ٢٩٣هـ، وثقه ابن يونس(٢)

١٢. محمد بن عيسى البغدادي؛ روى عنه برقم: (٢٧)

وهو محمد بن عيسى النقاش أبو جعفر البغدادي نزيل دمشق، رَوَى عَن: داود بن مهران الدباغ، وشبابة بن سوار، وعَبد الله بن أَبي علاج الموصلي، ومكي بن إبراهيم البلخي، ويحيى بن أَبي بكير الكرماني، ويزيد بن هَارُون.

رَوَى عَنه: النَّسَائي، وأَبُو إسحاق إِبْرَاهِيم بْن عَبْد الرَّحْمَنِ الحافظ، والحسين بْن عَبد الله بْن يزيد القطان الرَّقِّيّ، وعَبد الرَّحِيمِ بن عُمَر المازني، والقاسم بن عيسى العصار، وأبو بكر مُحَمَّد بْن إدريس إبْن الحجاج بن أَبي حمادة الأنطاكي.

ولم أجد فيه توثيقا خاصا إلا أن رواية الإمام النسائي عنه تقوي أمره، وقال عنه ابن حجر: مقبول من الحادية عشرة (٣)

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ مدينة السلام للخطيب ٢/ ٤٩٦، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠١٩، والسير للذهبي ١٣/ ٥٦٦، والثقات لابن قطلوبغا ٨/ ٢٢٠، ومصباح الأريب للمصنعي ٣/ ٨٨، وإرشاد القاصي والداني للمنصوري ص/٥٢٢

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر ٦١٩/٢، وبيان الوهم والإيهام لابن القطان ٥٣٥/٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ١٠٤٠، والمقفى الكبير للمقريزي ٦/ ٢٣٨، وإرشاد القاصي والداني للمنصوري ص/٦٠٢.

(٣) انظر ترجمته في: مشيخة النسائي ص/٩٩، وتهذيب الكمال للمزي ٢٦٤/٢٦، وتقريب التهذيب لابن حجر ص/٥٠١ (٦٢١١)

١٣. محمد بن عيسى الأزرق؛ روى عنه الجوهري برقم: (٢٨)

يروي عن أبي أحمد الزبيري وهو محمد بن عبد الله الأسدي الكوفي المتوفي سنة ٢٠٣هـ؛ وبالرجوع إلى في تهذيب الكمال للمزي[١] لم أجد في الرواة عنه من يسمى "محمد بن عيسى الأزرق" هكذا ، وفي الرواة جماعة يسمون "محمد بن عيسى" ولم أر أي واحد منهم يلقب بـ"الأزرق"

١٤. المقدام بن داود ؛ روى عنه الجوهري برقم: (٢١) و (٢٢) و(٣١)

وهو المقدام بن داود بن عيسى بن تليد، أبو عمرو الرعيني القتباني مولاهم المصري توفي سنة (٢٨٣هـ)

حدث عن: أسد بن موسى، وعمه عيسى بن تليد، وعبد الله بن محمد بن المغيرة، وخالد بن نزار الأيلي، ويحيى بن بكير، وعبد الله بن يوسف، وغيرهم.

وعنه: أبو القاسم الطبراني وأكثر عنه، وابن أبي حاتم، وأحمد بن الحسن بن عتبة الرازي، وعلي إبن أحمد البغدادي، وغيرهم.

قال المسعودي في تاريخه: كان مقدام من جلّة الفقهاء من أصحاب مالك. قال ابن أبي دُلَيم: وكان عالي الدرجة كثير الرواية. قال الكندي: كان فقيهاً مفتياً، ولم يكن بالمحمود في روايته عن خالد بن نزار، وقد نسبه النسائي إلى الكذب.[٢]

١٥. هارون بن كامل؛ روى عنه برقم: (١٨)

وهو هارون بن كامل بن يزيد الفهري مولاهم ، أبو موسى المصري العصار؛ أحد مشايخ أبى جعفر الطحاوى الذين روى عنهم وكتب وحدث. توفى يوم السبت ليومين خليا من ذى القعدة سنة (٢٨٣هـ)

ذكره ابن يونس فى تاريخ مصر، وقال عنه: كان يكنى أبا موسى، نسبتهم فى موالى بنى فهر، ثم الأسود بن عقبة بن نافع الفهرى. يروى عن أبى صالح كاتب الليث، وسعيد بن الحكم المصرى، وغيرهما.

وقال الألباني: لم أجد له ترجمة، ولكن الصواب أنه مترجم عند جماعة كابن يونس والذهبي والعيني ولكن لم ينص أحد من العلماء على ثقته[٣]

---

(١) تهذيب الكمال للمزي ٤٧٦/٢٥

(٢) انظر ترجمته في: ترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/ ٣٠٢، ولسان الميزان لابن حجر ٨/ ١٤٤، وإرشاد القاصي والداني للمنصوري ص/ ٦٥٠، ومصباح الأريب للمصنعي٣/ ٣٠٤

(٣) انظر ترجمته في: الإكمال لابن ماكولا ٦/ ٣٨٨، والأنساب للسمعاني ٤/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ٨٤٢، وتوضيح المشتبه لابن ناصر ٦/ ٢٨٢، ومجمع الزوائد للهيثمي ٢٦٩/١٠، ومغاني الأخيار للعيني ٣/ ١٧٠، والسلسلة الصحيحة للألباني ١٨٦/٤(١٦٤٠) وإرشاد القاصي والداني للمنصوري ص/٦٦٧.

١٦. يحيى بن أيوب ؛ روى عنه برقم (٢٠)

وهو يحيى ابن أيوب ابن بادي ـ بموحدة وزن نادي ـ العلاف الخولاني: صدوق من الحادية عشرة مات سنة ٢٨٩هـ ؛ روى له النسائي [١]

١٧. يحيى بن عثمان ؛ روى عنه الجوهري برقم (١) (٤) (٨) (١٣) (٢٥)

وهو يحيى بن عثمان بن صالح السهمي مولاهم المصري: صدوق رمي بالتشيع ولينه بعضهم لكونه حدث من غير أصله من الحادية عشرة مات سنة ٢٨٢هـ روى له ابن ماجه.[٢]

١٨. يوسف بن يزيد الأموي؛ روى عنه الجوهري برقم (٢٤)

وهو يوسف بن يزيد بن كامل بن حكيم، أبو يزيد الأموي المصري القراطيسي، مولى أمير مصر عبد العزيز بن مروان المتوفي سنة ٢٨٧هـ

سمع: أسد بن موسى السنة، وسعيد بن أبي مريم، وعبد الله بن صالح الكاتب، وحجاج بن إبراهيم الأزرق، وعدة.

حدث عنه: الإمام النسائي، وعبد الله بن جعفر بن الورد، وعلي بن محمد الواعظ، وسليمان بن أحمد الطبراني، وآخرون.

وصفه الذهبي بـ: "الإمام، الثقة، المسند" قال: وكان عالما مكثرا مجودا.[٣]

فهذا ما تيسر معه من شيوخه الذين وردت الرواية عنهم في هذا الجزء، وعدتهم ثمانية عشر شيخا، على أنه من الوارد أن يكون له شيوخ آخرون غيرهم لم نقف عليهم.

ومن الملاحظ أنه شارك الإمام النسائي أحد أصحاب الكتب الستة في بعض شيوخه كما يلاحظ أيضا أن غالب شيوخه أئمة مشاهير معروفون تم الوقوف على تراجمهم ما عدا رجلين أو ثلاثة : أولهم والده: الحسن بن محمد الجوهري ـ والثاني: عبد الرحمن بن محمد الأنماطي لم أجد من ترجمهما ـ والثالث: محمد بن عيسى الأزرق لم يتعين لي من يكون.

***

ثالثا: تلاميذه:

وفيما يخص تلاميذه والرواة عنه فلم أقف إلا على رجلين:

الأول: ولده القاضي عَبْد العزيز بْن مُحَمَّد بْن الْحَسَن بْن محمد أبو محمد التّميمي الْجَوْهَري (ت: ٣٦٥ هـ)

(١) انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص/٥٨٨ (٧٥٠٩)

(٢) انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص/٥٩٤ (٧٦٠٥)

(٣) انظر ترجمته في: السير للذهبي ١٣/ ٤٥٥، وتهذيب الكمال للمزي٣٢/٤٧٦، وتقريب التهذيب ص/١٠٩٧ (٧٨٩٣)

المعروف بـ " ابن بنت نُعَيْم "، صرح ابن الطحان أنه كان قاضي الصعيد، وأنه كان ضريرا.

يَرْوِي عَنْ: أبي بكر أحمد بن سليمان الدمشقي المقرئ المشهور بـ"ابن زبان"(ت: ٣٣٨هـ)، والإمام أبي جعفر الطّحاوي[١]، فضلا عن روايته عن والده : محمد بن الحسن الجوهري . وروى عنه المؤرخ يحيى بن علي الحضرمي المعروف بـ "ابن الطحان" (ت: ٤١٦ هـ) كما صرح به في ترجمته، وأرخ وفاته سنة ٣٦٥هـ [٢].

والثاني: محمد بن الحسن أبو بكر الفقيه المالكي ؛ وهو الذي روى عنه كتاب "نوادر الفقهاء"، ثم رواه عن أبي بكر هذا: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد المازري البغدادي هكذا وردت تسميتهما معا في بداية الكتاب المذكور[٣]

ولم يعرف بهما المحقق الفاضل، ولذلك حاولت البحث عن ترجمتهما فلم أوفق إلى الساعة. ولعل الله ييسر ذلك قريبا.

***

رابعا: مولده ونشأته

يظل تاريخ مولد محمد بن الحسن الجوهري وكيفية نشأته مجهولا كباقي مراحل حياته ومختلف أحواله غير أنه بالنظر في تواريخ وفيات شيوخه السابق ذكرهم وجدنا أقدمهم وفاة رجلان، هما: حبوش بن رزق الله الكلوذاني المصري. ويحيى ابن عثمان ابن صالح السهمي المصري وكل واحد منهما مات سنة ٢٨٢هـ

ثم يليهم في القدم وفاةً رجلان وهما : المقدام بن داود أبو عمرو الرعيني المصري ، وهارون بن كامل الفهري العصار؛ وكلاهما توفى سنة (٢٨٣هـ)

وبناء عليه يمكن القول بأن الجوهري ولد عقب منتصف القرن الثالث الهجري ٢٦٠ ـ ٢٧٠ هـ تقريبا؛ ففي الغالب أنه شرع في سماع الحديث والطلب ولقاء الشيوخ بعد بلوغه ١٠ سنوات على أقل تقدير، والغالب أنه أخذ عن عامة العلماء المصريين الذين أدركهم ، ونزلاء مصر من علماء البلاد الأخرى، بل لا أستبعد أن يكون رحل في طلب الحديث وسماعه ولا سيما إلى بلاد الشام ؛ فقد روى عن بعض رجالها كما سبق في شيوخه.

***

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٨/ ٣٠٧

(٢) انظر: تاريخ علماء أهل مصر لابن الطحان ص/٩٧(٤٧٠)

(٣) انظر: نوادر الفقهاء للتميمي الجوهري ص/٢٣

خامسا: مؤلفاته:

لم أعثر على شيء من مؤلفاته إلا على هذين التوأمين اللذين لا أعرف لهما ثالثا وهما:

١ـ نوادر الفقهاء وهو مطبوع في مجلد بتحقيق الدكتور محمد فضل عبد العزيز المراد، وصدر عن دار القلم بدمشق سنة ١٤١٤هـ، وهو كتاب معدود في مصادر معرفة إجماع الفقهاء الأمصار في القرون الأولى.

٢ـ الإنصاف فيما بين الأئمة في حدثنا وأخبرنا من الاختلاف وهو هذا الجزء الذي أحققه

ومن المحتمل أن يكون له غيرهما من التصانيف، وسبق القول إنه لا ذكر لأي من هذين الكتابين عند المؤلفين في أسماء الكتب، ولا عند المؤرخين وأصحاب الطبقات.

***

سادسا: تاريخ وفاته:

ليس بين يدي ما يمكن الاستناد إليه والتعويل عليه في معرفة تاريخ وفاة الإمام الجوهري على وجه التحديد، فلم يبق إلا التخمين والظن من خلال بعض المحددات والمعطيات وهي كالتالي:

أولا: أن ابنه القاضي عبد العزيز الجوهري والراوي لهذا الكتاب عنه توفي سنة(٣٦٥هـ)

ثانيا: أنه يشترك مع الإمام الطبراني في جل شيوخه، والإمام الطبراني توفي سنة (٣٦٠هـ)

ثالثا: أن آخر شيوخه وفاة ـ فيما أحسب ـ هو الإمام الطحاوي المتوفى سنة (٣٢١هـ)

رابعا: ما صرح به في رسالته هذه أنه عاصر الإمام النسائي (ت: ٣٠٣هـ)

ومنه يظهر أن وفاته غالبا كانت في الفترة الواقعة ما بين سنة ٣٢١هـ التي فيها وفاة شيخه الطحاوي وتمتد إلى حدود سنة ٣٦٠هـ التي توفي فيها الإمام الطبراني على أبعد تقدير على افتراض أنه كان من المعمرين ، وأنه طال به الزمن. والله أعلم.

****

المبحث الثاني: كتاب الإنصاف للجوهري

وسأتناوله من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: المؤلفات في موضوعه:

تمثل القضايا المتعلقة بفن رواية الحديث وآدابها وصيغ التحمل والأداء وما إليها محورا مهما من محاور علوم الحديث التي اشتغل عليه العلماء كثيرا وبحثوا مسائلها ضمن مصنفات علوم الحديث، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب مصطلح الحديث منها بل تناول بعضها جماعة من أصحاب الدواوين

الحديثية المشهورة من الصحاح والسنن مثل البخاري في صحيحه حيث قال: "باب القراءة والعرض على المحدث ورأى الحسن، والثوري، ومالك: "القراءة جائزة" واحتج بعضهم في القراءة على العالم بحديث ضمام بن ثعلبة: قال للنبي ﷺ: آلله أمرك أن تصلي الصلوات قال: "نعم" قال: "فهذه قراءة على النبي ﷺ أخبر ضمام قومه بذلك فأجازوه" واحتج مالك: بالصك يقرأ على القوم، فيقولون: أشهدنا فلان ويقرأ ذلك قراءة عليهم ويقرأ على المقرئ، فيقول القارئ: أقرأني فلان"[١]

كما تناولها الترمذي في جامعه في العلل آخره قال:" والقراءة على العالم إذا كان يحفظ ما يقرأ عليه، أو يمسك أصله فيما يقرأ عليه إذا لم يحفظ هو صحيح عند أهل الحديث مثل السماع " ثم روى عدة روايات في المسألة [٢]

والدارمي في سننه حيث قال: "باب في العرض" روى عددا من الروايات في الموضوع[٣]؛ بل نجد أن بعض العلماء أفرد عددا من مسائل الرواية والأداء ونحوها بالتصنيف والتحقيق في رسائل صغيرة الحجم عظيمة الفائدة، ولعله من المناسب هنا ذكر أبرز ما وقفت عليه منها :

١ـ التسوية بين حدثنا أخبرنا للإمام الطحاوي (ت:٣٢١هـ)

وهو مطبوع معروف وسيأتي بيان علاقته برسالتنا هذه.

٢ـ الإنصاف فيما بين حدثنا وأخبرنا من الخلاف لمحمد بن الحسن التميمي الجوهري وهو الذي أقدم له.

٣ـ الإجازة في الحديث للحافظ محمد بن إسحاق بن منده (ت: ٣٩٥هـ) وهو مطبوع[٤].

٤ـ مأخذ العلم لابن فارس اللغوي (٣٩٥هـ) [٥]، طبع قديما بعناية جمال الدين القاسمي ثم أعيد تحقيقه كما طبع بتحقيق الشيخ محمد بن ناصر العجمي ضمن سلسلة لقاء العشر الأواخر.

٥ـ الوجازة في صحة القول بالإجازة لأبي العباس الوليد بن بكر الغمري (ت: ٣٩٢هـ)

ذكره ابن خير وغيره، ونقل منه ابن الصلاح والسيوطي والسخاوي [٦]، ومنه نسخة مخطوطة ضمن مكتبة خاصة .

٦ـ الإجازة للمعدوم والمجهول للحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) وهو مطبوع عدة

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٢

(٢) جامع الترمذي، كتاب العلل [دار الرسالة] ٤٦٧/٦

(٣) انظر: سنن الدارمي في كتاب العلم ، باب في العرض ٤٩١/١

(٤) طبع بتحقيق أخينا الفاضل الشيخ محمد بن عبد الله المباركي ـ مع جزء الحازمي وابن الدبيثي الآتي ذكرهما لاحقا، صدر عن دار أروقة للنشر بعمان سنة ١٤٣٦هـ

(٥) فتح المغيث للسخاوي ٣٥٠/٢

(٦) فهرسة ابن خير الإشبيلي ص/٢٢٦

طبعات [1]

٧ ـ مسألة العلو والنزول لابن طاهر المقدسي (ت: ٥٠٧هـ) وهو مطبوع.

٨ ـ جزء العمل بإجازة الإجازة لابن طاهر المقدسي(ت: ٥٠٧هـ) وهو جواب لأبي علي البرداني ذكره كل من العراقي والمقريزي والسخاوي [2]، ووقف عليه ونقل منه المرتضى الزبيدي [3]

٩ ـ الإجازات ومذاهبها لابن طاهر المقدسي (ت: ٥٠٧هـ)

نسبه إليه هكذا المقريزي ، وإسماعيل باشا [4]

١٠ ـ شرط القراءة على الشيوخ لأبي طاهر السلفي(ت: ٥٧٦هـ) وهو مطبوع [5]

١١ـ كتاب التسميع لأبي طاهر السلفي ، كذا سماه السيوطي [6]، ويحتمل أنه نفسه الجزء السابق نفسه.

١٢ـ تصنيف في أسماء من جوز الرواية بالإجازة العامة لأبي الرشيد ابن الغزال (ت: ٥٦٩هـ) ذكره ابن الدبيثي والسخاوي [7]

١٣ ـ الإجازة في الحديث للحافظ أبي بكر محمد بن موسى الحازمي (ت: ٥٨٤هـ) وهو مطبوع [8]

١٤ـ جزء في عدم جواز الإجازة بالمجاز لإسماعيل بن عبد الله الأنصاري الشافعي المشهور بابن الأنماطي (ت٦١٩هـ)

نص عليه السخاوي [9]

١٥ـ الإجازة في الحديث لمحمد بن سعيد ابن الدبيثي (ت: ٦٣٧هـ) وهو مطبوع [10]

١٦ـ جزء الإجازة لمنصور بن سليم ابن العمادية الإسكندري (ت: ٦٧٣هـ) [11]

---

(١) طبعت عدة طبعات ؛ منها طبعة الدكتور صالح يوسف معتوق في مجلة الأحمدية ع٦ سنة ١٤٢١هـ ص/٩١

(٢) انظر: شرح التبصرة والتذكرة ٤٣٣/١، والمقفى للمقريزي ٧٣٦/٥، وفتح المغيث ٢٧٠/٢

(٣) انظر: تاج العروس للزبيدي ٨٧/١٥

(٤) انظر: المقفى للمقريزي ٧٣٦/٥، وهدية العارفين٨٢/٢

(٥) طبع بتحقيق أخينا الفاضل الدكتور: محمد زريوح، ونشرته دار التوحيد بالرياض سنة ١٤٢٩هـ

(٦) انظر: تدريب الراوي للسيوطي ٦٠٤/١

(٧) انظر: ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي ٢/ ٨٠، وفتح المغيث للسخاوي ٤١٦/٢

(٨) طبع بتحقيق الشيخ محمد بن عبد الله المباركي، وراجع ما سبق برقم (٣)

(٩) انظر: فتح المغيث للسخاوي ٤٤٤/٢

(١٠) طبع بتحقيق الشيخ محمد بن عبد الله المباركي ، وراجع ما سبق برقم (٣)

(١١) انظر: فتح المغيث للسخاوي٤٩٢/٢

فهذه القائمة تمثل أبرز الرسائل الخاصة المفردة التي ألفت لمعالجة قضايا الرواية وشروطها وطرائق التحمل والأداء ونحوها من قبل الحفاظ والمحدثين إلى حدود القرن السابع ، وهي في الواقع تقدم إجابات عن إشكالات، وتمثل انعكاسا للنقاش والخلاف الذي كان منتشرا بين علماء الحديث وطلبته بشأن تلك المسائل بخصوصها.

المطلب الثاني: اسمه وتوثيقه:

يعد هذا الجزء "الإنصاف" من تراث مطلع القرن الرابع الهجري أثناء ازدهار علوم الحديث النبوي والرواية ورغم ذلك فإن خبره لم يظهر لنا ـ فيما أحسب ـ إلا خلال القرن السابع الهجري؛ وذلك عن طريق الإمام ابن الصلاح الذي سماه ونقل منه في مسألة معينة؛ فقال: "وذكر صاحب كتاب الإنصاف محمد بن الحسن التميمي الجوهري المصري: أن هذا مذهب الأكثر من أصحاب الحديث الذين لا يحصيهم أحد، وأنهم جعلوا: أخبرنا علما يقوم مقام قول قائله: "أنا قرأته عليه لا أنه لفظ به لي". قال: "وممن كان يقول به من أهل زماننا أبو عبد الرحمان النسائي في جماعة مثله من محدثينا"[1].

ثم تتابع العلماء بعده على ذكره كالعراقي الذي نظم ابن الصلاح في ألفيته فقال:

وقد عزاه صاحب الإنصاف للنسائي من غير ما خلاف

كما ذكره العراقي أيضا في كتابيه: التقييد والإيضاح ، وشرح التبصرة والتذكرة [2]

ثم جاء السخاوي بعده فقال في شرح الألفية: (وقد عزاه) أي: القول بالفرق: أبو عبد الله وأبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن أحمد بن خلاد التميمي المصري الجوهري صاحب (الإنصاف) فيما بين الأئمة في حدثنا وأخبرنا من الاختلاف، وكتاب (إجماع الفقهاء) أيضا (لـ) عصريه أبي عبد الرحمن (النسائي من غير ما خلاف) [3]

ويظهر لي من التأمل في كلامهم أن أي واحد من المذكورين سواء العراقي أو السخاوي لم يطلع على رسالة الجوهري هذه عدا ابن الصلاح ، ومما يقوي افتراضي هذا أن نقلهم منها لم يتجاوز النقل الوحيد الذي استفاده منها ابن الصلاح [4].

أما عنوانه: فقد سماه السخاوي كما سبق قريبا بـ :" الإنصاف فيما بين الأئمة في حدثنا وأخبرنا من الاختلاف" لكنه ورد على المخطوط بهذه الصيغة: "الإنصاف بين المختلفين في قراءة الرجل على

(١) مقدمة ابن الصلاح ص/٢٥٦

(٢) انظر: التقييد والإيضاح ص/١٦٩، وشرح التبصرة والتذكرة للعراقي ٣٩٩/١

(٣) فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٣٥٢ .

(٤) قلت: ويظهر لي أنه لم يقف أحد من شراح ألفية للعراقي على الإنصاف للجوهري. انظر مثلا: فتح الباقي لزكريا الأنصاري ٣٦٩/١

الرجل الحديث أن يقول فيه: حدثنا أو أخبرنا أو غير ذلك". وأجدني أميل إلى العنوان الأول بناء على ما هو معهود من صنيع الأوائل في استعمال السجع في تصانيفهم، وعلى أن السخاوي أخذ التسمية من أصل مخطوط للرسالة أو مصدر آخر موثوق .

المطلب الثالث: موضوعه:

يدور كلام الجوهري في هذا الجزء حول عدم التفريق بين عبارة "حدثنا" و"أخبرنا"، وأنهما سواء يعبر بهما عما سمع من ألفاظ الشيخ ، وعما قرئ عليه وعرض بين يديه، وانتصر المؤلف لعدم التفريق بينهما خلافا لمن فرق فجعل "حدثنا " خاصة بالسماع من الشيخ ، و"أخبرنا " خاصة بالقراءة والعرض على الشيخ وهو الاصطلاح المشهور...وبالغ في ذلك قوم ، وعقد الخطيب لذلك بابا سرد فيه أقوال من منع ذلك ومن جميل ما ذكر فيه عن عوف الأعرابي أنه قال: "إذا قرأ العالم على العالم فقال: "حدثني" فهي كُذيبة" [١]

ولكن المؤلف رجح التسوية بينهما كما هو مذهب شيخه الإمام الطحاوي

وممن انتصر لهذا الرأي الإمام ابن فارس حيث بوب "باب في الفرق بين قول المحدث "حدثنا" وبين قوله "أخبرنا ""قال: "وهذا عندنا باب من التعمق، والأمر في ذلك كله واحد"[٢].

وعقد الخطيب لذلك بابا بعنوان "باب ذكر الرواية عمن أجاز أن يقال في أحاديث العرض "حدثنا" ولا يفرق بين "سمعت" و "حدثنا" و "أخبرنا"" [٣]

وقال القاضي عياض: "فمذهب معظم علماء الحجاز والكوفة التسوية بينهما وهو مذهب مالك وأصحابه وأشياخه من أهل المدينة وعلمائها يحيى بن سعيد القطان وابن عيينة والزهري في جماعة

وروي مثله عن علي بن أبي طالب وابن عباس قالا: قراءتك على العالم كقراءته عليك

وهو مذهب البخاري" [٤]

المطلب الرابع: بين رسالتي: الإنصاف للجوهري والتسوية بين حدثنا وأخبرنا للطحاوي:

هناك سؤال وارد يحتاج إلى توضيح وهو ما علاقة هذا الجزء المسمى بالإنصاف، بجزء الطحاوي المشهور المتداول "التسوية بين حدثنا وأخبرنا"، وسبق بيان أن الطحاوي هو شيخ المصنف الجوهري وأن الأخير اعتمد عليه في نحو اثني عشر رواية، والحقيقة أنهما يتفقان في الترجيح وينزعان من قوس واحدة ، ويرميان إلى هدف واحد وهو الانتصار لعدم التفريق بين التحديث والإخبار والتسوية

(١) انظر: الكفاية للخطيب (ص/٢٩٨

(٢) مأخذ العلم لابن فارس ص/٤٩

(٣) الكفاية للخطيب ص/٣٠٥

(٤) الإلماع للقاضي عياض ص/٧١

بينهما، وإذن بما ذا الإنصاف؟ وما الجديد فيه؟

أولا: في منهجية التناول والعرض:

يلاحظ أن الجوهري كان عمله منظما ودقيقا بحيث طرح الخلاف في المسألة ثم عرض لمواقف العلماء ثم بين اختياره ثم انتقل إلى إيراد الأدلة على صحة قوله واختياره من القرآن الكريم والسنة المطهرة والآثار عن الصحابة ثم من القياس الصحيح ثم من لغة العرب، والإمام الطحاوي وإن كان له فضل السبق وذكر طرفا مما سبق لكنه لم يتفنن مثل الجوهري .

ثانيا: في المادة العلمية:

يحفل الإنصاف بمادة علمية حافلة من الآيات والأحاديث الشريفة والآثار وغيرها بما لما لا ذكر له عند الطحاوي حتى يمكن القول: إنه أضاف إليه ضعفه إن لم نقل ضعفيه.

مثلا : حديث تشبيه النخلة بالمؤمن عند الطحاوي(٤) واستبعده الجوهري ؛ وربما يكون السبب أن الحديث عند البخاري في جميع المواطن بلفظ التحديث أعني قوله: "فحدثوني ما هي "

- حديث تميم الداري في قصة الجساسة (٥)
- حديث عبد الله بن عمرو : "حدثوا عن بني إسرائيل " برقم (٦)
- حديث عبادة بن الصامت في الإخبار بليلة القدر برقم (٨)
- حديث أبي ذر : أتاني جبريل فأخبرني برقم (١٤)

وفضلا عن الأحاديث فقد انفرد بإسناد أقوال عن الأئمة لم أجدها مطلقا بعد البحث والسؤال إلا عنده مثل روايتي عبد الله بن يوسف التنيسي وعبد الله بن مسلمة القعنبي عن الإمام مالك الآتية برقم (١٣) و(١٤)

***

المطلب الخامس: أقوال الصحابة والتابعين التي لم تذكر في "الإنصاف".

بما أن الجوهري احتفل في كتابه ورام أن يستوعب كثيرا من الروايات والأقوال في الموضوع؛ فقد لفت انتباهي خلوه من روايات مهمة جدا منثورة في كتب المصطلح المسندة لا ذكر لها عنده وربما كان له رأي في تركها ، وقد ارتأيت ذكر المهم منها في هذه المقدمة ولا سيما أنها تؤيد مذهب المؤلف؛ فمنها:

١. قول علي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ)؛ وجاءت الرواية عنه بألفاظ متعددة

فمن طريق محمد بن الحسن بن قتيبة عن محمد بن خلف عن نعيم بن حماد قال: سمعت نوح إبن أبي مريم يذكر عن أبي إسحاق عن هبيرة بن يريم قال: سألت عليا عن القراءة على العالم فقال:

"القراءة عليه بمنزلة السماع منه".

وفي رواية أخرى عن سلم بن سالم البلخي عن نوح بن أبي مريم عن أبي الحارث عن علي بن أبي طالب قال: "قراءتك على العالم وقراءة العالم عليك سواء إذا أقر لك به".[١]

٢. قول عروة بن الزبير:

روى هشام بن عروة عن أبيه: عروة أنه قال: "عرض الكتاب والحديث سواء"[٢]

٣. قول الحسن البصري (ت: ١١٠هـ)

روى محمد بن الحسن الواسطي عن عوف الأعرابي أن رجلا أتى الحسن البصري فقال: يا أبا سعيد إن منزلي ناء وإن الاختلاف يشق علي، ومعي أحاديث من أحاديثك ، فإن لم تكن ترى بالقراءة بأسا قرأت، قال: "ما أبالي أقرأت علي فأخبرتك أنه حديثي أو حدثتك به". قال: فأقول "حدثني" الحسن؟ قال: نعم قل: "حدثني الحسن".

وفي رواية أخرى له عن عوف أنه قال للحسن: أقرأ عليك الحديث فأقول: حدثني الحسن؟ قال: "إي لعمري، فمن حدثك غيري؟"[٣]

٤. قول عطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ)؛ روى عبد الرزاق عن ابن جريج قال: "قلت لعطاء: أقرأ عليك فكيف أقول؟ قال: قل "حدثنا عطاء"[٤]

---

(١) رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص/٤٢٨) والخطيب في الكفاية ص/٢٦٢ من طريق محمد بن الحسن بن قتيبة به.

ورواه الخطيب في الكفاية أيضا ص/٢٦٢ من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن يحيى الحماني عن سلم إبن سالم البلخي عن نوح بن أبي مريم به .

وإسناد هذه الرواية لا يصح؛ مداره على نوح ابن أبي مريم أبو عصمة المروزي المعروف بـ«الجامع»(ت١٧٣هـ) لجمعه العلوم لكن كذبوه في الحديث وقال ابن المبارك: كان يضع من السابعة؛ روى له الترمذي وابن ماجه في التفسير كما في تقريب التهذيب ص/٥٦٧(٧٢١٠) والراوي عنه سلم بن سالم البلخي ضعفه ابن المبارك وابن معين ، وأبو زرعة والنسائي وغيرهم انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ١٨٥/٢

(٢) رواه الدارمي في السنن ١/ ٤٩٣) ٦٦٢) عن إبراهيم بن المنذر الحزامي عن داود بن عطاء مولى المزنيين عنه هشام به. وإسناده ضعيف من داود بن عطاء كما سيأتي بيان حاله.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٢٢/١ مختصرا، وابن معين في التاريخ (رواية الدوري) ١٦٠/٤، والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص/٤٢٧، والبيهقي في المدخل ٢٧٨/١، والخطيب في الكفاية ص/٣٠٥، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١١٥١/٢) ٢٢٦٩) من طرق عن محمد بن الحسن الواسطي ـ وهو ثقة ـ عن عوف به. وعنه جماعة من الحفاظ مثل ابن معين وأحمد ابن حنبل ونعيم بن حماد وغيرهم، وإسناده صحيح. ولفظ البخاري :«لا بأس بالقراءة على العالم».

(٤) رواه الترمذي في الجامع في كتاب العلل [مؤسسة الرسالة] ٦/ ٤٦٧ (٥٥) عن حسين بن مهدي البصري، والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص/٤٢٢) والخطيب في الكفاية ص/٣٠٦ من طريق محمد بن حماد الطهراني كلاهما عن عبد الرزاق به بإسناده صحيح.

٥. قول أبي جعفر الباقر (ت: ١١٤هـ): فيروى عنه من طريق إبراهيم بن المنذر عن داود بن عطاء مولى المزنيين عن جعفر بن محمد عن أبيه أبي جعفر قال: "عرض الكتاب والحديث سواء"[١]

٦. قول ابن شهاب الزهري (١٢٤هـ) روى عن عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهري قال: "عرضت عليه كتابا فقلت: أرويه عنك ؟قال: "ومن حدثك به غيري" [٢]

٧. قول سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ): روى البخاري في صحيحه والخطيب أنه قال: "إذا قرأت على العالم فلا بأس أن تقول: "حدثنا" [٣]

***

المطلب السادس: في التعريف برجال الإسناد:

ورد العنوان متبوعا بذكر السند المتصل من صاحبه إلى المؤلف كما هو دأب كثير من كتب الحديث مما يدل على أمانة أصحاب الحديث ودأبهم في التحري والتوثيق ؛

وصاحبه هو الحافظ الكبير والإمام الشهير إسماعيل بن عبد الله الأنصاري المعروف بـ"ابن الأنماطي"(تـ٦١٩هـ) كما ورد في صفحة عنوان الكتاب، وسبق التعريف به قريبا ، لكن بقي البحث في رجال إسناده المتصل بالمصنف؛ وهم :

١. أبو الحسن علي بن فاضل الصوري (ت: ٦٠٣هـ)

وهو أبو الحسن علي بن فاضل بن سعد الله بن صمدون ـ بالصاد ـ الصوري ثم المصري. قال الذهبي: أكثر عن السلفي، ورأس في الحديث [٤]

٢. عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى العثماني الديباجي (٤٨٤ـ ٥٧٢هـ)

هو القاضي الإمام المحدث عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل، أبو محمد العثماني، الديباجي، الإسكندراني من ذرية الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو ابن سيدنا عثمان بن عفان صاحب الفوائد الحديثية المشهورة [٥]

***

(١) رواه يعقوب الفسوي في المعرفة والتاريخ ٨٢٦/٢ ، ومن طريقه البيهقي في المدخل ٢٧٨/١ وإسناده ضعيف فيه داود بن عطاء مولى المزنيين؛ قال البخاري: «منكر الحديث، وقال أَحْمد: «رأيته وليس بشئ». انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٢٤٤

(٢) رواه الدارمي في السنن ١/ ٤٩٣ (٦٦١)، ومن طريقه البيهقي في المدخل إلى علم السنن ٢٧٨/١ بإسناد صحيح.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٢٢/١ والخطيب في الجامع ٥٠/٢(١١٤٨) والكفاية في علم الرواية ص/٣٠٦

(٤) انظر: التكملة للمنذري ٩٩/٢ (٩٥٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي ٨٠/١٣ ، وحسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٣٥٤

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٩٦، والعبر للذهبي ٤/ ٢١٤، ٢١٥، ولسان الميزان لابن حجر ٣٠٩/٣

٣. عبد الوهاب الصنهاجي (ت: بعد ٥٨٧هـ)

وهو عبد الوهاب بن محمد بن عبد الله الصنهاجي نزيل الإسكندرية ترجمه ابن الأبار، وأفاد أنه ممن روى عنه أبو الحسن ابن خيرة في رحلة حجه سنة ٥٨٤هـ، وفي إسناد هذا الجزء زيادة فائدة أنه عاش إلى سنة ٥٨٧هـ [١]

***

٤. أبو الحسن علي بن المشرِّف الإسكندراني (ت: ٥١٧هـ):

أبو الحسن علي بن المشرف بن المسلم بن حميد الأنماطي: روى عنه الحافظ أبو طاهر السلفي وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي اليابس العثماني وغيرهما، وأجاز لأبي طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي.

وهو من شيوخ القاضي عياض ترجمه في الغنية وقال عنه: كان أسند من بقي ببلاد مصر وأوسعهم روايةً، أدرك جملة جلة من الشيوخ ... قال: وكتب إلي بإجازة جميع روايته سنة خمس عشرة وخمسمائة [٢]

٥. أبو العباس أحمد بن إبراهيم الرازي (ت: ٤٩١هـ)

أحمد بن إبراهيم بن أحمد، أبو العباس الرازي المعروف بابن الحطاب الفقيه الشافعي..

قال عنه ولده محمد: وكان أبي من الثقات خيّرا كثير المعروف. ذكر أنه حج سنة أربع عشرة، وأنه دخل اليمن وسمع بها، وقرأ القرآن بمكة ودمشق وغيرهما وانتقل إلى الاسكندرية في قحط مصر، [٣]

قلت: وولده محمد بن أحمد الرازي المعروف بابن الحطاب صاحب المشيخة المطبوعة المشهورة

٦. ابن عين الغزال (ت: ٤٢٧هـ)

وهو محمد بن الحسن بن عمر، أبو عبد الله المصريّ البزّاز، ويُعرف بابن عين الغزال. روى عن ابن حَيَّوَيْهِ النَّيْسابوريّ، وعنه أبو طاهر بن أبي الصَّقْر.

قال ابن ماكولا: تُوُفّي سنة نيِّفٍ وثلاثين، لكن ترجم له المقريزي وعرف به وذكر أنه روى عن عبد العزيز بن محمد التميمي، وأرخ وفاته سنة ٤٢٧هـ [٤].

(١) انظر: التكملة لابن الأبار (طبعة الهراس) ١١٠/٣ (٢٧٠)، والذيل والتكملة لابن عبد الملك [طبعة: دار الغرب الإسلامي] ٣/ ٧٨

(٢) الغنية في شيوخ القاضي عياض ص/١٧٨

(٣) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ٧١/ ١٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ١٠/ ٦٩٩، والعقد المذهب في طبقات حملة المذهب لابن الملقن ص/٢٧٢

(٤) انظر: تكملة الإكمال لابن نقطة ٣٧١/٤، وتاريخ الإسلام للذهبي ٩/ ٦٠٢، والمقفى للمقريزي ٥٥٦/٥، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين ٤١٩/٦

المطلب السابع: وصف المخطوط المعتمد ومنهجي في تحقيقه:

اعتمدت في تحقيق على نسخة فريدة محفوظة ضمن مجموع لدى مركز سعود البابطين بالرياض تحت رقم (١٨/٤٥٥) وفيه أجزاء عديدة ويأخذ جزؤنا هذا ٦ وقات من ورقة (١٢٧/أ) إلى ورقة (١٣٣/أ) [١] ففيه سبعة ورقات بالعنوان غير أنه ينتهي في حدود منتصف الوجه الأول من السابعة بمسطرة ٢٣ سطرا

وناسخ المجموع كاملا بما فيه هذا الجزء عالم حافظ مشهور هو الشهاب أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ)البخاري شارح صحيح البخاري ، وصاحب المواهب اللدنية [٢]

وخطه خط نسخي دقيق جميل فيه أحيانا إدماج بين الحروف مما يشكل عائقا دون قراءة بعض الكلمات ، وتاريخ الفراغ من نسخه فرغ في العشر الآخر من شعبان سنة عشرين وتسعمائة [٣]

ونص القسطلاني في آخر المجموع أنه نقله من نسخة بخط أحمد بن نصر الله بن أحمد البغدادي الحنبلي فرغ منها في سنة تسع وتسعين ثمان مائة [٤]، وأن الناسخ البغدادي قال بأنه كتبها نسخها من نسخة سقيمة جدا

قلت: وأظن أنه لأجل ذلك بقيت في الأصل بعض التصحيفات والأخطاء كما ستلاحظه في بعض المواطن.

المطلب السابع: منهجي في التحقيق:

سلكت في تحقيق الجزء اللطيف الخطوات التالية:

١ـ نسخت المخطوط على وفق الرسم الإملائي الحديث.

٢ـ قابلت النص على الأصل وأصلحت أخطاءه.

٣ـ نبهت على التصحيف والتحريف الذي تأكدت منه في الهامش، احتياطا واحتراما للأصل المخطوط.

٤ـ خرجت الآيات القرآنية.

٥ـ خرجت الأحاديث النبوية والآثار باختصار مع الحكم عليها ، وحرصت تقديم المصدر الذي

(١) كذا في النسخة عندي، وفي فهرس الدكتور جمال عزون ص/٣٥٠ قال بأنه: من ورقة (١١٥/أ) إلى ورقة (١٢٠/ب). والله أعلم.

(٢) صرح بذلك في آخر المجموع ورقة (٢١٧/أ)

(٣) انظر: فهرس مخطوطات مركز سعود البابطين من إعداد صديقنا العالم الجليل الدكتور جمال عزون ص/٣٥٠

(٤) كذا في الأصل، ولا يصح أن تكون (تـ٨٩٩هـ)؛ لأن الناسخ هو أحمد بن نصر الله محب الدين الحنبلي البغدادي ثم المصري عالم ومحدث مشهور كان قاضي القضاة الحنابلة بمصر ولد سنة ٧٦٥ هـ وتوفي سنة ٨٤٤ هـ. انظر: المنهل الصافي لابن تغري بردي ٢/ ٢٤٤، وشذرات الذهب لابن العماد ٣٦٤/٩

اعتمد عليه المؤلف أو يلتقي معه في أقرب حلقة من الإسناد.

٦ـ عرفت برجال الأسانيد ما عدا الأعلام المشاهير؛ فإن كانوا من رجال التقريب لابن حجر اكتفيت به غالبا وإلا فمن أوثق المصادر الأخرى.

٧ـ خرجت أقوال العلماء من المصادر المسندة .

٨ـ قمت بتوثيق الأشعار المستشهد بها حسب المستطاع.

٩ـ قمت بوضع عناوين فرعية بين قوسين مركنين هكذا [] تسهيلا على المطالع والناظر.

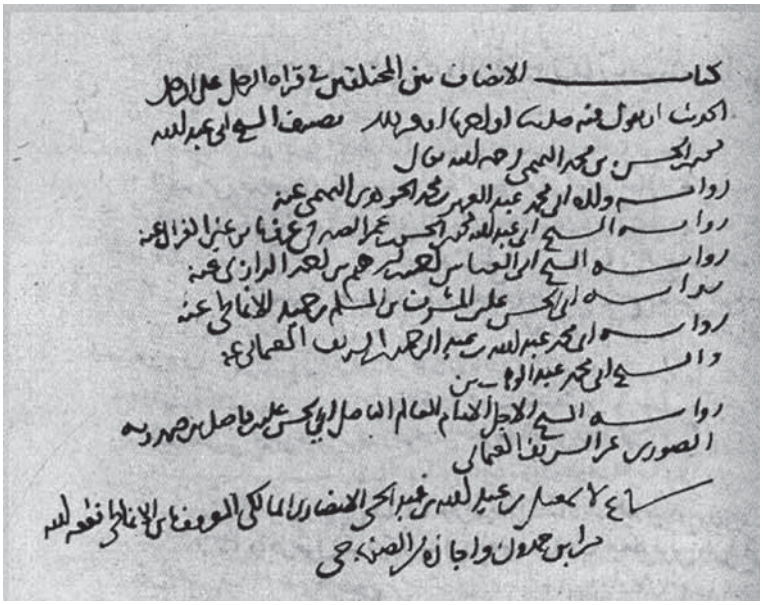

صورة عنوان المخطوط

الإنصاف بين المختلفين

في قراءة الرجل على الرجل الحديث أن يقول فيه: حدثنا أو أخبرنا أو غير ذلك

تصنيف الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد التميمي رحمه الله تعالى

رواية ولده: أبي محمد عبد العزيز بن محمد الجوهري التميمي عنه.

رواية الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن بن عمر الصيرفي عرف بـ"ابن عين الغزال" عنه.

رواية : الشيخ أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد الرازي عنه.

رواية أبي الحسن علي بن المشرف بن المسلم بن حميد الأنماطي عنه.

رواية أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الشريف العثماني عنه.

والشيخ أبي محمد عبد الوهاب بن رواية الشيخ الأجل الإمام العالم الفاضل أبي الحسن علي بن فاضل بن صمدون الصوري عن الشريف العثماني

سماع لإسماعيل بن عبد الله بن عبد الحي الأنصاري المالكي المعروف بابن الأنماطي ـ نفعه الله ـ من ابن صمدون، وإجازة من الصنهاجي .

[١٢٨/أ]بسم الله الرحمان الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، رب يسر واختم بخير يا كريم. آمين .

أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام العالم الفاضل أبو الحسن علي بن فاضل بن سعد الله بن صَمدون[١] الصوري رحمه الله تعالى قال: أخبرنا الشيخ الفقيه القاضي العالم الشريف أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى العثماني الديباجي ـ رضي الله عنه ـ قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن المشرِّف بن المسلَم بن حميد بن عبد المنعم الأنماطي [...] [٢]

وأنبأني الشيخ أبو محمد عبد الوهاب ابن [...][٣] الصنهاجي لقيته بالإسكندرية في جمادى الآخر سنة سبع وثمانين وخمسمائة قال: أنبأني أبو الحسن ابن المشرِّف رحمه الله قال: أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الرازي بقراءتي عليه في ثغر الاسكندرية حماها الله فأقرَّ به قال: أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عمر الصيرفي الناقد بمصر ويعرف بـ"ابن عين الغزال" توفي سنة ست وعشرين وأربع مائة، قال: أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن محمد الجوهري التميمي قال: أخبرنا أبي رحمه الله محمد بن الحسن بن محمد التميمي قال:

وفقنا الله وإياك لمرضاته واستعملنا في طاعته، إنه قريب مجيب، فعال لما يريد، وصل إلي كتابك تذكر فيه ما رأيت الناس عليه من رجل يقول في حديث :"حدثنا"، وآخر يقول فيه :"أخبرنا"، وتسأل عن المعنى الذي ذهب إليه كل فريق وأن أبين لك الصحيح فيه من السقيم، والفاسد من المستقيم، والاحتجاج فيه على المختلفين، وما يحتج فيه كل فريق من أولئك المتنازعين، وقد جمعت لك في ذلك في كتابي هذا جملا حضرتني، وفصولا سنحت لي عند وقت وصول كتابك وورود سؤالك، والله عز وجل الموفق للصواب، والمستعان على كل باب.

[أقوال العلماء في المسألة]

أجمع أهل الفقه بجملتهم وأصحاب الحديث على كثرتهم أن الرجل مخير فيما قرأه عليه المحدث لفظا أو أملاه عليه حفظا إن شاء أن يقول فيه: حدثنا وإن شاء يعني أن يقول: "أخبرنا" أو "سمعت فلانا"، أو "فلان أنبأنا"، كل ذلك جائز له أن يقوله، ومباح له إن ذَكر؛ لأن المحدث في قراءته عليه

(١) رسم الناسخ تحتها صادا مهملة لئلا تحرف فتقرأ : (حمدون) وهو الغلط الذي وقع في بعض المصادر.

(٢) في الأصل بياض بقدر كلمة

(٣) في الأصل بياض بقدر كلمة

ذلك الحديث، محدث له به، وهو بإسماعه ذلك منه سامع.

واختلفوا في كيفية اللفظ بذلك، إن كان هو الذي قرأه على العالم فأقر له به، ولم يقرأه المحدث عليه، ولا لفَظ به له، فقال قوم: يقول فيه :"أخبرنا" ولا [١٢٨/ب] يقول فيه :"حدثنا" إلا أن يقرئه العالم عليه لفظا، وهذا مذهب الأكثر من أصحاب الحديث الذين لا يحصيهم أحد ولا يحيط بهم عدد، وجعلوا ذلك علَما يقوم لمن سمعه مقام قول قائله: أنا قرأته على محدثي لا أن محدثي لفظ به لي، وممن كان يذهب هذا المذهب يونس بن عبد الأعلى حدثنا عنه بذلك جماعة من أصحابنا، وممن كان يقول به من أهل زماننا أبو عبد الرحمان النسائي في جماعة مثله من محدثينا .

وقال آخرون: بل يقول فيه: "قرأت على فلان" أو "قرئ على فلان وأنا أسمع"، أو "وأنا حاضر"، و"قرأه فلان على فلان بحضرتي فأقر له به مما قرأه عليه لي" وما أشبه ذلك من هذا اللفظ. وهذا مذهب طوائف من أصحاب الحديث أيضا شذوا به عن الفرقة الأولى. فممن وقفت على ذلك من مذهبه، وعلمته من اختباره معتمر بن سليمان التيمي

[١] كما حدثنا يحيى بن عثمان (١) قال: حدثنا أبو بشر بكر بن خلف البصري (٢) قال: حدثنا المعتمر ابن سليمان (٣) قال: قرأت على الفُضيل (٤) عن أبي حَريز (٥) عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم أحد عشر يوما. فقال: أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟ قالت: نعم، قال: "فاقض به عنها أو فاقض عنها الشك" (٦)

[٢] ومنهم عبد الوارث بن سعيد الثوري؛ فإنه حدثنا أحمد بن محمد بن محمد الأزدي قال: حدثنا

---

(١) هو يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، تقدم التعريف به في شيوخ المؤلف برقم(١٧)

(٢) بكر بن خلف البصري خَتَن المقرىء أبو بشر صدوق من العاشرة مات بعد سنة أربعين روى له البخاري تعليقا وأبو داود وابن ماجه. تقريب التهذيب ص/١٢٦(٧٣٨)

(٣) معتمر بن سليمان التيمي أبو محمد البصري يلقب الطفيل: ثقة من كبار التاسعة مات سنة سبع وثمانين [ومائة] وقد جاوز الثمانين روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٥٣٩ (٦٧٨٥)

(٤) فضيل بن ميسرة أبو معاذ البصري [الأزدي] صدوق من السادسة ، روى له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنسائي وابن ماجه . تقريب التهذيب ص/٤٤٨(٥٤٣٩)

(٥) عبد الله بن حسين الأزدي، أبو حَريز ـ بفتح المهملة وكسر الراء وآخره زاي ـ البصري قاضي سجستان صدوق يخطىء من السادسة . روى له البخاري تعليقا والسنن الأربعة. تقريب التهذيب ص/٣٠٠ (٣٢٧٦)

(٦) رواه البخاري في صحيحه ٣٥/٣ (١٩٥٣) معلقا عن أبي حريز به . ووصله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق ١٩٤/٣ من طريق البيهقي كما سيأتي.

ورواه ابن خزيمة في صحيحه ٩٨٦/٢(٢٠٥٣) والبيهقي في السنن الكبرى[طبعة دار هجر] ٨/ ٥٨٦ (٨٣١٢) من طريق الحسن بن سفيان كلاهما [الحسن بن سفيان ، وابن خزيمة] عن محمد بن عبد الأعلى الصنعاني عن المعتمر به. وفيه: "اقضي دين أمك".

والحديث متفق عليه عند البخاري ٣/ ٣٥ (١٩٥٣) ومسلم ٢/ ٨٠٤ (١١٤٨) من طرق عن ابن عباس.

أحمد بن داود البصري [١] قال: حدثني إبراهيم بن الحجاج الشامي[٢] قال: حدثني عبد الوارث بن سعيد قال: قلت لعمرو بن عبيد [٣] : أحدثكم الحسن أن عُمر قال: إذا أغلقت الأبواب وأرخيت الستور فقد وجب الصداق، ووجبت العدة؟ قال نعم، فقلت: حدثْني به، فقال: أليس قد حدثتُك به؟ فقلت: سبحان الله، إنما كان مني السؤال فقط، ومنك الجواب، فقال: لعلك من أصحاب محمد بن سيرين الذين يقولون: قال رسول الله ﷺ: لو قال نبي الله والله كانوا يرون أن نبي الله غير رسول الله فلَما يدخل عليهم في ذلك أكثر مما خافوا. [٤]

[٣] ومنهم زهير بن معاوية الجعفي؛ كما حدثنا يحيى ابن صالح [٥] قال حدثنا عمرو بن خالد [٦] قال: حدثنا زهير بن معاوية الجعفي[٧] قال: قرأت على عبد الملك بن أبي سليمان [٨]، وقرأ عبد الملك

---

(١) أحمد بن داود بن موسى أبو عبد الله السّدوسى البصرى؛ روى عن عبد الله بن أبى بكر العتكىّ، ومسلم بن إبراهيم، وجماعة. روى عنه الطبرانى، وغيره قال ابن يونس: ثقة، توفى فى صفر سنة ٢٨٢هـ . انظر: تاريخ ابن زبر الربعي٢/ ٦٠٧، والمنتظم لابن الجوزي ١٢/ ٣٤٦، وبغية الطلب لابن العديم ٢/ ٢٣٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ٦٧٣

(٢) إبراهيم بن الحجاج بن زيد السامي بالمهملة، أبو إسحاق البصري: ثقة يهم قليلا من العاشرة مات سنة إحدى وثلاثين أو بعدها روى له النسائي، تقريب التهذيب ص/٨٨ (١٦٢)

(٣) عمرو بن عبيد بن باب ـ بموحدتين ـ التميمي مولاهم، أبو عثمان البصري المعتزلي المشهور: كان داعية إلى بدعته اتهمه جماعة مع أنه كان عابدا من السابعة مات سنة ثلاث وأربعين أو قبلها، روى له أبو داود في القدر، وابن ماجه في التفسير. تقريب التهذيب ص/٧٤٠(٥٠٧١)

(٤) لم أقف عليه من طريق عبد الوارث بهذا السياق:

وأصل الخبر مشهور عن عبد الرزاق؛ رواه عبد الرزاق في مصنفه ٦/٢٨٥ (١٠٨٦٣) عن معمر عن قتادة عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب به.

وابن أبي شيبة في المصنف ٣/ ٥١٩ (١٦٦٩٢) ؟ عن عبدة عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن الأحنف أن عمر، وعليا، قالا: "إذا أغلق بابا، أو أرخى سترا، فلها الصداق، وعليها العدة".

وروى عبد الرزاق في مصنفه ٦/٢٨٧ (١٠٨٦٨) عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب أنه قال :"إذا أرخيت الستور وغلقت الأبواب؛ فقد وجب الصداق" .

(٥) هو نفسه يحيى بن عثمان بن صالح ؛ شيخ المؤلف السابق.

(٦) عمرو بن خالد بن فروخ بن سعيد التميمي ويقال الخزاعي، أبو الحسن الحراني نزيل مصر: ثقة من العاشرة مات سنة تسع وعشرين روى له البخاري وابن ماجه. تقريب التهذيب ص/٤٢٠ (٥٠٢٠)

(٧) زهير بن معاوية بن حديج أبو خيثمة الجعفي الكوفي نزيل الجزيرة : ثقة ثبت إلا أن سماعه عن أبي إسحاق بأخرة من السابعة مات سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع وسبعين وكان مولده سنة مائة ، روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٢١٨ (٢٠٥١)

(٨) عبد الملك بن أبي سليمان ميسرة العرْزمي ـ بفتح المهملة وسكون الراء وبالزاي المفتوحة ـ : صدوق له أوهام من الخامسة مات سنة خمس وأربعين. روى له البخاري تعليقا، ومسلم، والأربعة. تقريب التهذيب ص/٣٦٣ (٤١٨٤)

على أبي الزبير عن جابر قال: "كنا نقول: لا يُسْتثنى إلا في الحج والعمرة"[1].

[٤] ومنهم عبد الله بن المبارك [2]؛ كما حدثنا يحيى [ل١٢٩/أ] بن عثمان، قال: حدثنا نُعيم بن حماد [3] قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: قرأت على ابن جريج، ثم ذكر حديثا كثيرا في كتبه المدونات [4].

[٥] ومنهم عمرو بن خالد [5]؛ كما حدثنا يحيى بن أيوب [6] قال: حدثنا عمرو بن خالد قال: قلت

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

ورواه أبو داود في سننه ٦/٢٦٥ (٤٢٠١) ـ ومن طريقه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص/ ٤٣٣ـ ، ورواه ابن عدي في الكامل ٦/ ٥٢٦ كلهم عن النفيلي عن زهير قال: قرأت على عبد الملك بن أبي سليمان، وقرأ عبد الملك على أبي الزبير، وقرأ أبو الزبير على جابر قال: "كنا نعفي السبال إلا في الحج والعمرة".

ورواه الخطيب في الكفاية ص/٢٦٥ من طريق أحمد بن عبد الملك قال: حدثنا زهير قال: قرأت على عبد الملك بن أبي سليمان، وقرأ عبد الملك على أبي الزبير وذكر أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال: "ما كنا نعفي السبال إلا في حج أو عمرة".

فهذا الحديث مختلف فيه على زهير ؛ فرواه عنه عمرو بن خالد التميمي عند المصنف بلفظ .

ورواه أحمد بن عبد الملك وهو الأسدي الحراني عنه بإثبات إعفاء الإسبال ما عدا في الحج والعمرة، ورواية النفيلي عنه عكس رواية أحمد بن عبد الملك الحراني بإثبات الإسبال في الحج والعمرة ونفيه فيما سواهما، ويظهر لي بعد التأمل أن أداة النفي إما سقطت من أول الخبر في رواية أحمد بن عبد الملك وإما أقحمت في رواية النفيلي.

وجاء من وجه آخر عن أبي الزبير ؛ رواه ابن أبي شيبة في المصنف (تحقيق: محمد عوامة) ١٣/ ١١٨ (٢٦٠١٦) ومن طريقه أبو الفضل الزهري في حديثه ص/٢٥٥ (٢٢٠) ـ ورواه البيهقي في الكبرى ٥/ ٤٩ (٨٩٤٨) من طريق أشعث بن سوار عن أبي الزبير عن جابر قال: كنا نؤمر أن نوفر السبال في الحج والعمرة. ولفظه ابن أبي شيبة: "كنا نؤمر أن نوفي [عند أبي الفضل الزهري: نوفر] السبال ونأخذ من الشوارب".

ورواه الطبراني في الأوسط ٨/ ٣٧٢ (٨٩٠٨) من طريق عبد الله بن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر: أن النبي ﷺ نهى عن جز السبال. وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف .

(٢) عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة: ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير من الثامنة مات سنة إحدى وثمانين وله ثلاث وستون. روى له أصحاب الكتب الستة. تقريب التهذيب ص/٣٢٠ (٣٥٧٠)

(٣) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث، الخزاعي أبو عبد الله المروزي نزيل مصر: صدوق يخطىء كثيرا فقيه عارف بالفرائض من العاشرة مات سنة ثمان وعشرين على الصحيح وقد تتبع ابن عدي ما أخطأ فيه وقال: باقي حديثه مستقيم، روى له البخاري ومسلم في المقدمة وأبو داود والترمذي وابن ماجه . تقريب التهذيب ص/٥٦٤ (٧١٦٦)

(٤) رواه الخطيب في الكفاية ص/٢٩٨) عن عثمان بن أبي شيبة بلفظ: "كان ابن المبارك يقول: قرأت على ابن جريج يبينه لا يقول "أخبرنا".

(٥) سبق التعريف به قريبا.

(٦) يحيى بن أيوب بن بادي ـ بموحدة وزن نادي ـ العلاف الخولاني: صدوق من الحادية عشرة مات سنة تسع وثمانين. روى له النسائي. تقريب التهذيب ص/٥٨٨ (٧٥٠٩)

لمالك بن أنس: حدثكم جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله ﷺ رمل من الحجَر إلى الحجَر؟ قال: نعم [١]

[٦] ومنهم يحيى بن يحيى النيسابوري، كما حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال: حدثنا علي بن شيبة البغدادي [٢]، قال: حدثنا يحيى بن يحيى النيسابوري قال: قرأت على شريك بن عبد الله [٣] عن عمران بن مسلم [٤] عن سُويد [٥] قال: "كان عمر يُكَبر إذا قال المؤذن: قد قامت الصلاة" [٦].

[٧] ومنهم بحر بن نصر الخولاني [٧]؛ فإنه مشهور عنه أنه كان يقول: قُرئ على أسد بن موسى وأنا حاضر أَسمَع وأُسْمع [٨]

ولم يحتج أهل هذا القول إلى علة يعتلون بها لمذهبهم ويقيمون بها أودا لقولهم أكثر من إظهار الصدق وأداء حقيقة الحق.

[العلماء الذين يسوون بين حدثنا وأخبرنا]

وقال آخرون: بل يقول الرجل في ذلك: حدثنا وحدثني، وأخبرنا وأخبرني كما يقول فيما قرأه عليه العالم لفظا، وفيما قاله له حفظا، وهذا قول عامة المحدثين، وكثير من العلماء الذين تدور عليهم الفتيا،

(١) رواه مالك في موطأه (رواية محمد بن الحسن الشيباني) ص/١٥٣ (٤٥٥)
ورواه ابن ماجه في السنن ٤/ ١٧٧ (٢٩٥١) من طريق أبي الحسين العكلي.
وأحمد في مسنده ٢٣/ ٢٥٢ (١٥٠٠٧) من طريق حماد بن خالد كلاهما عن مالك به.

(٢) علي بن شيبة بن الصلت بن عصفور أَبُو الحسن السدوسي مولاهم وهو أخو يعقوب بْن شيبة صاحب المسند المعلل (ت٢٧٢هـ) قال عنه مسلمة بن القاسم: صدوق انظر: تاريخ بغداد للخطيب ١٣/ ٣٩٣، وتاريخ الإسلام للذهبي٦/ ٥٨٠، والثقات لابن قطلوبغا ٧/ ٢١٥

(٣) شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي بواسط ثم الكوفة أبو عبد الله: صدوق يخطىء كثيرا تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة وكان عادلا فاضلا عابدا شديدا على أهل البدع من الثامنة مات سنة سبع أو ثمان وسبعين، روى البخاري تعليقا ومسلم والأربعة . تقريب التهذيب ص/٢٦٦ (٢٧٨٧)

(٤) عمران بن مسلم الجعفي الكوفي الأعمى: ثقة من السادسة ، ممن ذكروا في رجال الستة للتمييز . تقريب التهذيب ص/٤٣٠(٥١٦٩)

(٥) سُويد بن غفلة ـ بفتح المعجمة والفاء ـ أبو أمية الجعفي مخضرم [من الثانية] من كبار التابعين قدم المدينة يوم دفن النبي ﷺ وكان مسلما في حياته ثم نزل الكوفة ومات سنة ثمانين وله مائة وثلاثون سنة . روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٢٦٠(٢٦٩٥)

(٦) رواه الطحاوي في مشكل الآثار ١٤/ ٢٩٣ عقب حديث (٥٦٢٦) عن علي بن شيبة به بلفظه.
ورواه ابن الجعد في مسنده ص/٣٣٤ (٢٢٩٤) عن شريك عن عمران بن مسلم عن سويد بن غفلة به. ولفظه عنده: "أنه كان إذا قال المؤذن: قد قامت الصلاة كبر قال: فسئل عن صلاته، فقال: كذا كانت صلاة عمر رضي الله عنه".

(٧) بحر بن نصر بن سابق الخولاني مولاهم المصري أبو عبد الله : ثقة من الحادية عشرة مات سنة سبع وستين وله سبع وثمانون سنة. روى له النسائي في مسند مالك. تقريب التهذيب ص/١٢٠(٦٣٩)

(٨) انظر مثلا تصديقا لكلام المصنف: الكامل لابن عدي ٥/٢٣١، وتاريخ بغداد للخطيب ٥/١٤٤

وتشمل أقوالهم [المذني] [١] فمن ذلك:

[٨] ما قد حدثنا يحيى بن عثمان قال: حدثنا علي بن معبد [٢] قال: قال المسيب بن شريك[٣]: قال هشام بن عروة، وأبو حنيفة: "القراءة أثبت معنى على العالم".[٤]

[٩] حدثنا محمد بن أحمد الرازي [٥] قال: حدثنا القاسم البرْتي [٦]، قال: حدثنا إسحاق بن إسرائيل[(٧)] قال: حدثنا أبو عاصم النبيل[٨] قال: سمعت أبا حنيفة والثوري وابن جريج ومالك[٩] يقولون: "القراءة جائزة يعنون عرض الكتب" [١٠].

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها، وما أثبت أقرب إلى رسمها، ووضع فوقها الناسخ علامة تشبه علامة التضبيب. وقد يكون صوابها: [وتشمل أقوالهم الدنيا] ـ يعني شهر أقوالهم وانتشارها في الأمصار.

(٢) يسمى بـ"علي بن معبد" رجلان يشتبهان ببعضهما، والمقصود هنا: علي بن معبد بن شداد الرقي نزيل مصر ثقة فقيه من كبار العاشرة (تـ٢١٨هـ) ، روى له الترمذي والنسائي كما في تقريب التهذيب ص/٤٠٥ (٤٨٠١)؛ لأن المزي ذكر شيخه ، وتلميذه المسمين في السند أعلاه في ترجمته انظر: تهذيب الكمال للمزي ٢١/ ١٣٩)

أما الآخر وهو علي بن معبد بن نوح البغدادي نزيل مصر كذلك فثقة من الحادية عشرة مات سنة تسع وخمسين روى له النسائي. تقريب التهذيب ص/٤٠٥(٤٨٠٢)

(٣) هو المسيب بن شريك أبو سعيد التميمي الشُقْري الكوفي نزيل بغداد (تـ١٨٥هـ) ضعفه عامة الأئمة كابن معين والفلاس والبخاري والنسائي والدارقطني وغيرهم حتى قال الفلاس: متروك الحديث ؛ قد أجمع أهل العلم على ترك حديثه. انظر: تاريخ بغداد للخطيب ١٥/١٧٥، ولسان الميزان لابن حجر ٨/ ٦٦

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإسناده ضعيف من أجل المسيب بن شريك.

(٥) هو الحافظ أبو بشر الدولابي؛ سبق التعريف به في شيوخ المؤلف.

(٦) يظهر أنه : القاسم بن محمد، أبو الفضل البرتي، من شيوخ أبي القاسم الطبراني انظر: تاريخ بغداد للخطيب ١٤/٤٤٤(٦٨٥٩)

(٧) كذا في الأصل: [إسحاق بن إسرائيل] والذي في المصادر: إسحاق ابن أبي إسرائيل وهو : إسحاق ابن أبي إسرائيل واسمه: إبراهيم ابن كامَـجْرا ـ بفتح الميم وسكون الجيم ـ أبو يعقوب المروزي نزيل بغداد: صدوق تكلم فيه لوقفه في القرآن مات سنة خمس وأربعين وقيل ست وله خمس وتسعون سنة من أكابر العاشرة روى له البخاري في الأدب، وأبو داود والنسائي. تقريب التهذيب ص/١٠٠ (٣٣٨)

(٨) الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني أبو عاصم النبيل البصري: ثقة ثبت من التاسعة مات سنة اثنتي عشرة أو بعدها. روى له الستة . تقريب التهذيب ص/ ٢٨٠ (٢٩٧٧)

(٩) كذا وفي الأصل، والسياق يقتضي أن تكون: ومالكا

(١٠) رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص/٤٢٠ من طريق إسحاق بن سيار النصيبي

والخطيب في الكفاية ص/٣٠٧) من طريق يعقوب بن أحمد بن أسد كلاهما عن أبي عاصم به فذكره. ولفظ الأول: "سمعت سفيان، وأبا حنيفة ومالكا وابن جريج كل هؤلاء سمعتهم يقولون: "لا بأس بها يعني القراءة، وأنا لا أراه وما حدثت بحديث عن أحد من الفقهاء قراءة". وزاد عند الخطيب: "قال أبو عاصم: "هذان حجازيان وهذان عراقيان".

وكذلك نقل عن الأئمة المذكورين القول بجواز القراءة الإمام عبد الرزاق كما رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص/٤٢١ من طريق من أحمد بن الفرات عن عبد الرزاق قال: "كان سفيان ومالك وابن جريج ومعمر

[١٠] حدثنا أحمد بن محمد [١] قال: حدثنا أحمد بن أبي عمران [٢] قال: حدثنا سليمان بن بكار[٣]، قال: حدثنا أبو قَطَن [٤] قال: قال أبو حنيفة: "اقرأْ علي وقل: حدثني"، وقال لي مالك: اقرأْ علي وقل: حدثني"[٥]

[١١] حدثنا أحمد قال: حدثنا سليمان بن شعيب [٦] قال: حدثنا أبي [٧] عن محمد بن الحسن عن أبي يوسف عن أبي حنيفة قال: سألت رجلا عن حديث فقلت: أكان كذا وكذا؟ فقال: نعم، فقال السائل: قد والله حدثتَني بكذا وكذا، يعني بقوله: "نعم" فهو صادق وهذا حديث، ولم يحك فيه خلافا عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد.

[١٢] حدثنا أحمد بن محمد قال: حدثنا إبراهيم بن أبي داود [٨] قال: حدثنا يحيى بن صالح الوُحاظي[٩] قال: كنا عند محمد بن الحسن فسأله رجل أن يقرأ عليه كتابا ذكره له، فقال له محمد: ما أنشط [ل١٢٩/ب] له، فقال له: يا أبا عبد الله فأنا أقرأه عليك، قال محمد: "ذلك أعظم للمؤنة علي؛

والزهري وأيوب ومنصور، لا يرون بالقراءة على العالم بأسا".

(١) هو الإمام أبو جعفر الطحاوي صاحب المصنفات المشهورة سبق التعريف به في شيوخ المصنف، وهو تلميذه ويستقي من رسالته المشهورة في التسوية بين حدثنا وأخبرنا كما ستراه في التخريج.

(٢) هو أحمد بن أبى عمران بن موسى بن عيسى أبو جعفر، الفقيه البغدادى، نزيل مصر(ت٢٨٠هـ) انظر: مغاني الأخيار للعيني١/ ٣٩

(٣) سليمان بن بكار بن سليمان بن سالم بن أبى ذئب أبو الربيع السبائى ، حدث عن يعلى بن عبيد، وعنه ابن أبى عمران، ذكره ابن يونس فى علماء مصر، وقال: يروى عن عبد الله بن وهب (ت٢٢٦هـ) انظر: مغاني الأخيار للعيني ٣/٥٢٠

(٤) عمرو بن الهيثم بن قطَن ـ بفتح القاف والمهملة ـ القُطعي بضم القاف وفتح المهملة أبو قطن البصري: ثقة من صغار التاسعة مات على رأس المائتين. روى له البخاري في الأدب ومسلم والأربعة. تقريب التهذيب ص/٤٢٨ (٥١٣٠)

(٥) رواه الطحاوي في التسوية بين حدثنا وأخبرنا ص/٢١(١)

والخطيب في الكفاية ص/٣٠٧ من طريق أحمد بن أبي خيثمة عن يحيى بن أيوب عن أبي قطن عن أبي حنيفة قال: "اقرأ علي وقل: حدثني ، لو رأيتُ عليك في هذا شيئا ما أمرتُكَ به".

(٦) هو سليمان بن شعيب بن سليمان بن كيسان الكيساني أبو محمد المصري (ت٢٧٣هـ) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٦/٥٥٥، والجواهر المضية للقرشي ١/ ٢٥٢، ومغاني الأخيار للعيني ١/ ٤٤٠

(٧) هو شعيب بن سليمان بن كيسان (ت٢٠٤هـ) ذكره ابن يونس فى الغرباء الذين قدموا مصر، فقال: كوفى قدم مصر، روى عن سعيد بن عفير، ومات بمصر فى شوال سنة أربع ومائتين. والجواهر المضية للقرشي١/ ٢٥٧، ومغاني الأخيار للعيني١/٤٨٨

(٨) إبراهيم بن أبي داود :هو إبراهيم بن سليمان بن داود البَرَلُّسيُّ الأَسديّ الكوفي الأصل ؛ قال ابن يُونُس: هُوَ أحد الحفّاظ المجوّدين، تُوُفيّ بمصر سنة (٢٧٠هـ). تاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ٢٨٥

(٩) يحيى بن صالح الوحاظي ـ بضم الواو وتخفيف المهملة ثم معجمة ـ الحمصي: صدوق من أهل الرأي من صغار التاسعة مات سنة اثنتين وعشرين وقد جاز التسعين روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه. تقريب التهذيب ص/٥٩١ (٧٥٦٨)

لأني إذا قرأت عليك فإنما علي التلاوة بلساني، وإذا قرأت علي احتجت أن أعي عنك بمسمعي، وأعتبر عليك بفهمي وأبصر في الكتاب الذي تقرأه علي ببصرك". (١)

[١٣] حدثنا يحيى بن عثمان قال: سمعت عبد الله بن يوسف يقول لمالك بن أنس: أبا عبد الله، إني أقرأ عليك فأقول في القراءة ماذا؟ قال: "قل: حدثني مالك بن أنس". (٢)

[١٤] حدثنا أحمد بن محمد (٣) قال: حدثنا فهد بن سليمان (٤)، قال: قلت لعبد الله بن مسلمة القعنبي: أقَرَأ مالك بن أنس عليكم الموطأ؟ فقال: "لو شئت أن يقرأ علي لفعل، ولكن العرض كان أوثق في قلوبنا" (٥).

[١٥] وحدثنا أحمد بن محمد (٦) قال: حدثنا رَوح بن الفرج (٧) قال: حدثنا يحيى ابن بكير(٨) قال: كنا عند مالك بن أنس وقرئ عليه الموطأ فقام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله كيف نقول في هذا؟ فقال: "إن شئت فقل: حدثني، وإن شئت فقل: حدثنا، وإن شئت فقل: أخبرنا وإن شئت فقل: أخبرني، وأراه قال: وإن شئت فقل: سمعت" (٩).

---

(١) ذكره الذهبي في : مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه ص/٨٤ عن إبراهيم بن أبي داود البرلسي عن يحيى بن صالح الوحاظي قال: حججت مع محمد بن الحسن، فقلت له: حدثني بكتابك في كذا من الفقه، فقال: ما أنشط له، فقلت: أنا أقرؤه عليك، فقال لي: أيهما أخف عندك علي: قراءتي عليك أو قراءتك علي، قلت: قراءتي عليك، قال: "لا بل قراءتي أخف، لأني إنما أستعمل فيها بصري ولساني، وقراءتك أستعمل فيها بصري وذهني، وسمعي".

(٢) لم أقف عليه عند غير المصنف.

(٣) هو الإمام الطحاوي.

(٤) فهد بن سليمان بن يحيى، أبو محمد الكوفي النحاس نزيل مصر (تـ٢٧٥هـ)؛ قال ابن يونس: كوفي، قدم مصر قديماً، وكان يَدُلُّ في البَزّ، وحدث بها عن الغرباء وأهل مصر. توفي بمصر في صفر سنة خمس وسبعين ومائتين، وكان ثقة ثبتاً. انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٥٩/٤٨، والثقات لابن قطلوبغا ٥٣٤/٧

(٥) لم أقف عليه عند غير المصنف.

(٦) هو الإمام الطحاوي.

(٧) روح بن الفرج القطان أبو الزنباع ـ بكسر الزاي وسكون النون بعدها موحدة ـ المصري: ثقة من الحادية عشرة مات سنة اثنتين وثمانين وله أربع وثمانون ، ليس له رواية في الكتب الستة وإنما ذكر للتمييز كما في تقريب التهذيب ص/٢١١ (١٩٦٧)

(٨) يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي مولاهم المصري وقد ينسب إلى جده: ثقة في الليث وتكلموا في سماعه من مالك، من كبار العاشرة مات سنة إحدى وثلاثين وله سبع وسبعون روى له البخاري ومسلم وابن ماجه. تقريب التهذيب ص/٥٩٢ (٧٥٨٠)

(٩) رواه الطحاوي في التسوية بين حدثنا وأخبرنا ص/٢٢ـ ومن طريقه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١١٤٦/٢

ويعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ ٨٢٨/٢ ـ ومن طريقه البيهقي في المدخل ٢٨٠/١ (٦٠٠) ـ ولفظه: "يا أبا عبد الله، أحدث بهذا عنك ؟ قال : نعم قال: وأقول: حدثني مالك ؟ قال: نعم أما رأيتني فرغت نفسي لكم وسمعت إلى عرضكم، وأقمت سقطه وزللـه؛ فمن حدثكم غيري ؟ نعم حدثْ بها عني ،وقل : حدثني

[١٦] وحدثنا أحمد بن محمد قال: حدثنا سليمان بن شعيب عن أبيه عن أبي يوسف أنه أملى عليهم من قوله مثل هذه المعاني التي ذكرناها عن يحيى ابن بكير عن مالك [١]

ووافقهم أيضا عمرو بن عبيد في الأحكام التي ذكرناها عنه في هذا الكتاب قبل هذا الفصل منه، وجعلوا إقرار المحدث المذكور له الحديث بأنه كما ذكَر له الذاكرُ كقوله له ابتداء: أخبرنا فلان ثم ذكره له.

[الأدلة على التسوية بين حدثنا وأخبرنا]

قال محمد بن الحسن: ولما اختلفت هذه الأقوال وتباينت واضطربت احتجنا إلى تَعَني استخراج الحق وما يحب فيه على الخلق فبدأنا بالتروي في كتاب الله عز وجل فوجدنا الله عز وجل يقول في كتابه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ) [٢]

فاختلف أهل العلم في المراد بقوله: "فليملل وليه بالعدل" على قولين [٣]:

أحدهما: أنه الطالب يُملي ما له على المطلوب بالعدل، إذا لم يستطع المطلوب إملاءه لضعفه أو لسفهه.

والآخر: أنه ولي السفيه يُملي ما على السفيه بالعدل إذ لا يستطيع [ل١٣٠/أ] المطلوب إملاءه؛ فكلا القولين تخير إملاء غير الذي عليه الحق ثم يكون الذي عليه الحق بعد ذلك يشهد الشهود على ما أملاه غيره عنه أنه حق عليه للطالب فيكون بذلك في معنى الملك، ويكون للشهود الشهادة به عليه، وأنه أشهدهم به على نفسه وأقر به عندهم لطالبه، وكذلك القراءة إذا أقر بها المقروء عليه يقوم إقراره بها لمن قرأها عليه مقام قراءته إياها على من أراد أخذها عنه.

ووجدناه عز وجل يقول في كتابه: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا)[٤]، ويقول: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١)) [٥]، (وَهَل أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ)[٦] و(هَل أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيفِ إِبرَٰهِيمَ) [٧] ذلك كله حدثنا.

مالك ". وانظر: الإلماع للقاضي عياض ص/١٢٣

(١) رواه الطحاوي في التسوية بين حدثنا وأخبرنا ص/٢٤

(٢) سورة البقرة الآية: [٢٨٢]

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٦/ ٥٩، والنكت والعيون للماوردي ١/ ٣٥٦

(٤) سورة الزمر، آية [٢٣]

(٥) سورة [الغاشية آية: ١]

(٦) سورة [طه آية: ٩]

(٧) سورة [الذاريات: ٢٤]

وقال عز وجل: Mلاَ تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ L[1] فسمى الإنباء خبرا وهو مما يجوز عند جميعهم أن يقال فيه: حدثنا ؛ ألا ترى إلى قوله عز وجل: Mقَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ L [2] فهذا حديث قد سمي خبرا؛ فبان بذلك جواز القول بما يجوز فيه أخبرنا أن يقال فيه :حدثنا، وأبين من ذلك قوله عز وجل: Mيَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥)L[3] فذكرها بالحديث عما وقفتْ عليه من الأخبار؛ فبان بذلك أن معنى الخبر كمعنى الحديث وأن ما سُمي خبرا سمي حديثا وما سمي حديثا سمي خبرا، وما قيل فيه حدثنا قيل فيه: أخبرنا وما قيل فيه: أخبرنا قيل فيه : حدثنا بهذا القول، وإليه نذهب وبه نقول.

وإذ قدمنا الحجة من الكتاب المنزل والوحي المفصل فلنثني الآن بالذكر في سنة الرسول ﷺ هل نجد ذلك فيها أو ما يدل عليه من معانيها؛ فبحثنا عن ذلك بحث مرشد سقط حُب الغلبة عن قلبه، واعتقد الحق نية صادقة في طلبه وتصفحنا له السنة تصفح من ألزم نفسه النصْف [4] للخصوم ورغب لها في الأخذ بأحسن العلوم؛ فوجدنا فيما:

[١٧] قد حدثنا أبي قال: حدثنا محمد بن موسى الدارمي [5] قال: حدثنا حماد بن زيد[6] قال: حدثنا يحيى بن سعيد[7] عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بخير دور الأنصار : بني النجار ثم الذين يلونهم، ثم بني عبد الأشل ثم الذين يلونهم ثم بني الحارث بن الخزرج ثم الذين يلونهم ثم بني ساعدة وفي كل دور الأنصار خير".[8]

[١٨] حدثنا هارون بن كامل قال: حدثنا [ل١٣٠/ب] عبد الله بن عبد الحكم [9]، قال: حدثنا مالك

---

(١) سورة [التوبة آية: ٩٤]

(٢) سورة [البقرة آية: ٣٣]

(٣) سورة [الزلزلة آية: ٤، ٥]

(٤) النصف ـ بكسر أوله ـ معناه: النصَفَة والإنصاف . انظر: الصحاح للجوهري١٤٣٢/٤

(٥) كذا في الأصل [محمد بن موسى الدارمي] ووضع الناسخ فوق: "الدارمي" ضبة، ولم أجد ترجمة بهذا الرسم، ولعل الصواب "الحارثي" ويكون هو : محمد بن موسى بن نفيع الحارثي الحجازي روى عن مشيخة قومه وعنه ابن أبي فديك قال أبو حاتم: هو مجهول. انظر: تهذيب التهذيب ٩/ ٤٨٢، وتقريب التهذيب لابن حجر ص/٩٠٠ (٦٣٣٩)

(٦) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو إسماعيل البصري: ثقة ثبت فقيه قيل إنه كان ضريرا ولعله طرأ عليه لأنه صح أنه كان يكتب من كبار الثامنة مات سنة تسع وسبعين وله إحدى وثمانون سنة. روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٢٦٨ (١٤٩٨)

(٧) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني أبو سعيد القاضي: ثقة ثبت من الخامسة مات سنة أربع وأربعين أو بعدها. روى له الستة. تقريب التهذيب ص/١٠٥٦ (٧٥٥٩)

(٨) رواه البخاري ٥/ ٣٣(٣٧٨٩) ومسلم ١٩٤٩/٤ (٢٥١١) من حديث أنس عن أبي أسيد الساعدي به، ولكن مسلما عقب بذكر سنده عن يحيى بن سعيد عن أنس عن النبي ﷺ .

(٩) عبد الله بن عبد الحكم ابن أعين المصري أبو محمد الفقيه المالكي صدوق أنكر عليه ابن معين شيئا من كبار

عن العلاء بن عبد الرحمن [١] عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وذلكم الرباط قالها ثلاثا".[٢]

[١٩] وحدثني عبدالله بن محمد العمري [٣] قال: حدثنا إبراهيم بن حمزة الزبيري [٤] قال: حدثنا الدراوردي [٥] عن محمد بن عمرو[٦] عن أبي سَلَمة قال: حدثنا عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه بيته فقال: "يا عبد الله، ألم أُخبر أنك تَكَلف قيام الليل وصيام النهار"؟ فقلت: إني لأفعل، فقال:" حسبك ـ ولم يقل افعَلْ ـ أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام " [٧]

[٢٠] حدثنا يحيى بن أيوب قال: حدثنا أبو صالح الحراني [٨]، قال: حدثنا حماد بن سلمة[٩] قال:

العاشرة مات سنة أربع عشرة روى له النسائي. تقريب التهذيب (ص: ٣١٠ (٣٤٢٢)

(١) العلاء ابن عبد الرحمن ابن يعقوب الحرَقي ـ بضم المهملة وفتح الراء بعدها قاف ـ أبو شبل بكسر المعجمة وسكون الموحدة المدني صدوق ربما وهم من الخامسة مات سنة بضع وثلاثين. روى له البخاري في جزء القراءة خلف الإمام ومسلم والأربعة. تقريب التهذيب (ص: ٤٣٥) (٥٢٤٧)

(٢) رواه مالك في الموطإ (رواية يحيى) [تـ: محمد الأعظمي] ٢/ ٢٢٤ (٥٥٧/ ١٦٩)

(٣) كذا في الأصل يظهر "عبد الله" بالتكبير ، وكذا وقع في فوائد تمام ١٢٠/١ : "عبد الله بن محمد العمري القاضي، بدمشق سنة تسع وستين ومائتين ".والظاهر أنه يسمى : عبيد الله ـ بالتصغير ـ كما في إرشاد القاصي للمنصوري ص/٤١٢، وسبق في ترجمة شيوخ المؤلف.

(٤) إبراهيم بن حمزة بن محمد ان حمزة بن مصعب بن عبد الله بن الزبير الزبيري المدني أبو إسحاق: صدوق من العاشرة مات سنة ثلاثين. روى له البخاري وأبو داود والنسائي. تقريب التهذيب ص/٨٩(١٦٨)

(٥) عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي أبو محمد الجهني مولاهم المدني: صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطىء قال النسائي: حديثه عن عبيد الله العمري منكر من الثامنة مات سنة ست أو سبع وثمانين. روى له الستة. تقريب التهذيب (ص: ٣٥٨ (٤١١٩)

(٦) محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي المدني: صدوق له أوهام من السادسة مات سنة خمس وأربعين على الصحيح روى له الستة. تقريب التهذيب (ص: ٤٩٩ (٦١٨٨)

(٧) رواه أحمد في مسنده ١١/ ٤٦٥ (٦٨٧٨) عن عبد الوهاب بن عطاء، والطبراني في الكبير ج ١٣و ١٤ /٣٧٧ (١٤١٩٤) من طريق يزيد بن هارون كلاهما عن محمد بن عمرو بن علقمة به.

وأصل الحديث متفق عليه عند البخاري ٢/ ٥٤ (١١٥٣)، ومسلم ٢/ ٨١٣ (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ مطول وبسياق مغاير بعض الشيء.

(٨) عبد الغفار بن داود بن مهران أبو صالح الحراني نزيل مصر: ثقة فقيه من العاشرة مات سنة أربع وعشرين على الصحيح وله أربع وثمانون سنة روى له البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه . تقريب التهذيب ص/٣٦٠ (٤١٣٦)

(٩) حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة: ثقه عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بأخرة من كبار الثامنة مات سنة سبع وستين. روى له البخاري تعليقا ومسلم والأربعة . تقريب التهذيب ص/١٧٨ (١٤٩٩)

حدثنا أبو نعامة السعدي [١] عن أبي نضرة [٢] عن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما قضى صلاته قال: "إن جبريل أخبرني أن بهما قذرا أو قال أذى" [٣].

[٢١]حدثنا مقدام قال : حدثنا عمي :[٤] سعيد بن عيسى بن تليد [٥] قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ :"أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي". [٦]

---

(١) أبو نعامة السعدي اسمه: عبد ربه وقيل عمرو: ثقة من السادسة. روى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. تقريب التهذيب ص/٦٧٩ (٨٤١٥)

(٢) المنذر بن مالك بن قُطَعة ـ بضم القاف وفتح المهملة ـ العبدي العوقي بفتح المهملة والواو ثم قاف البصري أبو نضرة بنون ومعجمة ساكنة مشهور بكنيته: ثقة من الثالثة مات سنة ثمان أو تسع ومائة. روى له البخاري تعليقا ومسلم والأربعة. تقريب التهذيب ص/٥٤٦ (٦٨٩٠)

(٣) رواه أبو داود في سننه ١/ ٤٨٥ (٦٥٠) والدارمي ص/٣٥٠ (١٥١٨)

والطيالسي في مسنده (٢١٥٤) ـ ومن طريقه ابن حبان في صحيحه (الإحسان) ٥/٥٦٠(٢١٨٥) ـ وابن سعد في الطبقات ١/٤٨٠؟؟ وابن أبي شيبة في المصنف ٢/١٨٠(٧٨٩٠)؟، وأحمد في مسنده ١٨/ ٣٧٩ (١١٨٧٧) و(١١٨٧٧)، وعبد بن حميد في مسنده ص/٢٧٨(٨٨٠)، وأبو يعلى في مسنده ٢/٤٠٩(١١٩٤)، وابن خزيمة في صحيحه ٢/١٠٧(١٠١٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١/ ٥١١، ، والحاكم في المستدرك ١/٣٩١ (٩٥٥)، والبيهقي في الكبرى ٢/ ٤٠٢ ومعرفة السنن والآثار ٣/ ٣٥٣ (٤٨٩٠) كلهم من طرق عن حماد بن سلمة بهذا الإسناد.

والحديث بهذا الإسناد صحيح على شرط مسلم.

وقد توبع عليه حماد بن سلمة فرواه ابن خزيمة ١/٣٨٤ (٧٨٦) عن محمد بن عقيل عن حفص: حدثني إبراهيم عن الحجاج عن أبي نعامة به

ورواه عبد الرزاق في المصنف ١/ ٣٨٨ (١٥١٦) عن معمر عن أيوب عن رجل حدثه عن أبي سعيد به.

(٤) لأن المقدام هو ابن داود بن عيسى؛ فهو ابن أخي سعيد بن عيسى.

(٥) سعيد بن عيسى بن تليد ـ بفتح المثناة وكسر اللام ـ الرعيني [وقد ينسب إلى جده] القتباني بكسر القاف وسكون المثناة بعدها موحدة: ثقة فقيه من قدماء العاشرة مات سنة تسع عشرة. روى له البخاري والنسائي. تقريب التهذيب ص/٢٤٠ (٢٣٧٧)

(٦) رواه الطبراني في الأوسط ٨/ ٣٤٠ (٨٨٠٨) عن مقدام به مثله.

قال الطبراني: "لم يرو هذا الحديث عن جعفر بن محمد إلا سفيان بن عيينة، تفرد به: سعيد بن عيسى".

ورواه البزار في مسنده ٢/١٣٢ (٤٩٠) من طريق عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم قال: حدثني أبي، عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال علي: كنت عند رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر، وعمر فقال: "هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي" . قال البزار: "وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن جابر عن علي إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ".

والحديث صحيح عن جابر ، كما يروى عن علي بن أبي طالب، وأبي جحيفة ، وأنس، وأبي سعيد. راجع: تخريجه في: السلسلة الصحيحة للألباني ٢/٤٦٧ (٨٢٤)

[٢٢] حدثنا مقدام قال: حدثنا عبد الأحد بن الليث القتباني [١] قال: حدثنا عثمان بن الحكم الجذامي[٢] عن عُقَيل عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه"[٣].

[٢٣] وحدثني أبي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي [٤] قال: حدثنا أبو أسامة [٥]عن مالك بن مغول [٦] قال: حدثنا سيار [٧] عن شهر بن حَوشب[٨] عن محمد بن عبدالله بن سلام قال: لما قدم علينا رسول الله ﷺ قال: "يأهل قباء ألا تخبروني؛ فإن الله قد أثنى عليكم في الطهور خيرا، قال: يا رسول الله، إنا نجده علينا مكتوبا الاستنجاء بالماء" [٩].

---

(١) عبد الأحد بن الليث بن عاصم بن كليب أبو زرعة القتباني المصري (ت٢٢٨هـ) قال عنه الذهبي: شيخ نبيل. انظر: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر ٢/ ٥٠٦، وتاريخ الإسلام للذهبي٥/ ٦١٢، والثقات لابن قطلوبغا ١٦٦/٦

(٢) في الأصل رسمت "عثمان" كأنها : [عمر] ولم أقف على ترجمة باسم عمر بن الحكم ، والظاهر أنه: عثمان بن الحكم وهو الجذامي المصري: صدوق له أوهام من الثامنة مات سنة ثلاث وستين وهو أول من أدخل مصر مسائل مالك قاله ابن وهب روى له أبو داود والنسائي . تقريب التهذيب ص/٣٨٢) (٤٤٥٩)

(٣) رواه البخاري ٥/ ٥٢ (٣٨٨٦) ومسلم ١/ ١٥٦ (١٧٠) من طريق عن عُقيل به.

(٤) محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي ـ بمهملتين ـ أبو جعفر السراج : ثقة من العاشرة مات سنة ستين وقيل قبلها روى له الترمذي والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب ص/٤٦٨ (٥٧٣٢)

(٥) حماد بن أسامة القرشي مولاهم الكوفي أبو أسامة مشهور بكنيته : ثقة ثبت ربما دلس وكان بأخرة يحدث من كتب غيره من كبار التاسعة مات سنة إحدى ومائتين وهو ابن ثمانين . روى له الستة. تقريب التهذيب ص/١٧٧(١٤٨٧)

(٦) مالك بن مغول ـ بكسر أوله وسكون المعجمة وفتح الواو ـ الكوفي أبو عبد الله: ثقة ثبت من [كبار] السابعة مات سنة تسع وخمسين على الصحيح روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٥١٨ (٦٤٥١)

(٧) سيار أبو الحكم العنزي ـ بنون وزاي ـ [الواسطي] وأبوه يكنى أبا سيار واسمه: وردان وقيل ورد وقيل غير ذلك وهو أخو مساور الوراق لأمه: ثقة وليس هو الذي يروي عن طارق ابن شهاب من السادسة مات سنة اثنتين وعشرين. روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٢٦٢ (٢٧١٨)

(٨) شهر بن حوشب الأشعري الشامي مولى أسماء بنت يزيد ابن السكن: صدوق كثير الإرسال والأوهام من الثالثة مات سنة اثنتي عشرة روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة . تقريب التهذيب (ص: ٢٦٩ (٢٨٣٠)

(٩) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١/ ١٤١ (١٦٣٠)والمسند ٢/ ٢٠٥ (٦٩٠) وأحمد في مسنده ٣٩/ ٢٥٤ (٢٣٨٣٣) عن يحيى بن آدم عن مالك به

والبُخَارِيّ في التاريخ ١/ ١٨، وابن شبة في تاريخ المدينة المنورة ٤٨/١، والفسوى في المعرفة والتاريخ ١/ ٣٠٨، والطبري في تفسيره ٢٩/١١ ، والطحاوي في أحكام القرآن ١/ ١٣١ وابن قانع في معجم الصَّحَابَة ٣/ ٢٢ والطبراني في الكبير ١٥٧/١٣ (٣٨١) وأبو نعيم في معرفة الصَّحَابَة ١/ ١٧٦ من طرق عن مالك به.

ورواه الطبري في تفسيره ١٤/ ٤٨٢ (١٧٢٢٥) من طريق قتادة عن شهر بن حوسب به مرسلا.

وإسناده فيه ضعف من أجل شهر بن حوشب، ولكن الحديث له شواهد عديدة يرتقي بها إلى الصحيح لغيره.

[٢٤] حدثنا يوسف بن يزيد الأموي قال: حدثنا علي بن معبد العبدي [١] قال: حدثنا عبيد الله بن عمرو [٢] عن زيد بن أبي أنيسة [٣] عن محمد بن قيس النخعي [٤] قال: سمعت أبا الحكم البجلي يقول: دخلت على أبي هريرة وهو يحتجم فقال لي أبو هريرة: يا أبا الحكم أتحتجم؟ فقال: ما احتجمت قط، قال أبو هريرة: أخبرنا أبو القاسم ﷺ أن جبريل عليه السلام أخبره أن الحجم أنفع ما يتداوى به الناس [٥].

[٢٥] حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، [ل١٣١/أ] حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا الأوزاعي عن ابن مرثد[٦] عن أبيه [٧] قال: جلست إلى أبي ذر عند الجمرة الوسطى حتى مست ركبتي ركبتَه وقد جمعت أشياء أريد أن أساله عنها فتفَلتُ مني؛ فجعلت أرمي ببصري إلى السماء أتذكر فذكرت ليلة القدر فسألته عنها فقال أبو ذر: نعم كنت أَسألَ الناس عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقلت: يا رسول الله أرأيت ليلة القدر أشيء في زمان الأنبياء ينزل عليهم فيها الوحي فإذا قبضوا رفعت أم هي إلى يوم القيامة؟ فقال: بل هي إلى يوم القيامة، والله لو أذن الله لي أن أخبركم أي ليلة لأخبرتكم، فالتمسوها في آخر السُبُعين ولا تسألني عنها قال: ثم استطلق النبي ﷺ يحدث أصحابه فقلت: أقسمت يا رسول الله لتخبرني في أي السُبُعين هي؟ فغضب علي غضبا [٨] لم يغضب مثله قبلها ولا بعدها، قال: "لو أذن الله لي أن أخبركم أي ليلة هي لأخبرتكم بها ولا آمر أن تكون في السُبُع الأواخر" [٩].

---

(١) هو الرقي سبقت ترجمته.

(٢) عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الرقي أبو وهب الأسدي: ثقة فقيه ربما وهم من الثامنة مات سنة ثمانين عن ثمانين إلا سنة . روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٣٧٣ (٤٣٢٧)

(٣) زيد بن أبي أنيسة الجزري أبو أسامة أصله من الكوفة ثم سكن الرها: ثقة له أفراد من السادسة مات سنة تسع عشرة وقيل سنة أربع وعشرين وله ست وثلاثون سنة. روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٢٢٢ (٢١١٨)

(٤) محمد بن قيس النخعي من أهل الكوفة يروي عَن أبي الحكم والكوفيين. روى عنه زيد بن أبي أنيسة وأهل بلده. قال ابن حبان في الثقات: يخطىء ويخالف. انظر: لسان الميزان لابن حجر٤٥٤/٧

(٥) رواه الطحاوي في التسوية بين حدثنا وأخبرنا ص/٤٢ (١٣) عن يوسف بن يزيد به مثله.

ورواه إسحاق بن راهويه ٢٧٨/١ (٢٥١) والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٣٢(٧٤٧٠) من طريق زكريا بن عدي عن عبيد الله وهو ابن عمرو الرقي عن زيد به.

وإسناده فيه ضعف من أجل محمد بن قيس ولكن له شواهد تعضده في فضل التداوي بالحجامة مثل حديث أنس عند مسلم ١٢٠٤/٣ (١٥٧٧):"إن أفضل ما تداويتم به الحجامة... ". وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني ٦/ ٥٦١ (٢٧٤٧)

(٦) مالك بن مرثد ـ بفتح الميم والمثلثة بينهما راء ساكنة ـ بن عبد الله اليماني [الزماني، ويقال: الذماري]: ثقة من الثالثة روى له البخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب ص/٥١٨ (٦٤٤٨)

(٧) مرثد ـ بسكون الراء بعدها مثلثة ـ [ابن عبد الله] الزماني بكسر الزاي وتشديد الميم مقبول من الثالثة. روى له البخاري في الأدب والترمذي والنسائي وابن ماجه . تقريب التهذيب (ص: ٥٢٤ (٦٥٤٦)

(٨) في الأصل مكررة، ولعلها سهو من الناسخ.

(٩) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧٤/٣ (٨٦٦٤)؟ والبزار في مسنده٤٥٥/٩ (٤٠٦٧) وابن خزيمة في صحيحه ٣٢٠/٣ (٢١٦٩)، وابن حبان في صحيحه ٤٣٨/٨ (٣٦٨٣) من طرق عن الأوزاعي به.

[٢٦] حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن أعين قال: حدثنا الحارث بن سريج [١] قال: حدثنا يحيى إبن يمان [٢] عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا مررتم بقبورنا وقبوركم من أهل الجاهلية فأخبروهم أنهم من أهل النار " [٣].

[٢٧] حدثنا محمد بن عيسى البغدادي قال: حدثنا الزبير بن بكار [٤] حدثني أبو ضمرة [٥] عن هشام بن عروة عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله أنه أخبره أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقا لرجل من اليهود فأبى أن يُنظره وكلم جابر رسول الله ﷺ ليشفع إليه فجاءه رسول الله ﷺ وكلم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له فأبى؛ فدخل رسول الله ﷺ النخل فمشى فيها ثم قال لجابر: جُدﷺ له فأوفه الذي له فجَد له بعدما رجع رسول الله ﷺ فأوفاه ثلاثين وسقا وفضلت سبعة عشر وسقا فجاء جابر رسول الله ﷺ ليخبره بالذي فعل فوجد رسول الله ﷺ يصلي العصر فلما انصرف رسول الله ﷺ جاء فأخبره أنه قد أوفاه وأخبره بالفضل الذي فضل له قال: فقال رسول الله ﷺ: أخبر ابن الخطاب، فذهب جابر إلى عمر فأخبره فقال له عمر: "لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ

ورواه أحمد في مسنده ٣٩٣/٣٥ (٢١٤٩٩) والبزار في مسنده ٤٥٦/٩ (٤٠٦٨) والنسائي في الكبرى ٤٠٧/٣ (٣٤١٣) والدولابي في الكنى والأسماء ٢/ ٥٦٩ (١٠١٩) والطحاوي في معاني الآثار ٨٥/٣ (٤٦١٧) والحاكم في المستدرك ١/ ٦٠٣ (١٥٩٦) و١/ ٦٠٣ (٣٦٩٠) والبيهقي في الكبرى ٤/ ٣٠٧ وفي الشعب ٢٥٨/٥(٣٣٩٨) وفي فضائل الأوقات ص/٢١٧(٨٥) من طريق عكرمة بن عمار عن أبي زميل عن مالك بن مرثد به.

والحديث صححه الحاكم على شرط مسلم، ومرة جعله صحيح الإسناد فقط، ومداره على مرثد الزماني وقد سبق أنه وثقه العجلي ، كما ذكره ابن حبان في الثقات فإن لم يكن صحيحا فلا ينزل عن درجة الحديث الحسن لذاته. يراجع: أنيس الساري (تخريج أحاديث فتح الباري) لنبيل البصارة ٩/ ٦٠٣٩

(١) هو الحارث بن سريج النقال أحد الفقهاء. روى عن الحمادين: حماد بن سلمة، وحماد بن زيد وغيرهما ضعفه جماعة من الأئمة، واختلف فيه قول ابن معين .وقال ابن عدي: ضعيف يسرق الحديث. الكامل لابن عدي ٢/ ٤٦٨، وتاريخ بغداد للخطيب ٩/ ١٠، وميزان الاعتدال ١/ ٤٣٣

(٢) يحيى بن يمان العجلي الكوفي: صدوق عابد يخطىء كثيرا وقد تغير من كبار التاسعة مات سنة تسع وثمانين. روى له البخاري في الأدب ومسلم. تقريب التهذيب ص/١٠٧٠ (٧٦٧٩)

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (الإحسان) ٣/ ١٢٧ (٨٤٧) و ابن السني في عمل اليوم والليلة (عجالة الراغب) ٦٧٢/٢ (٥٩٩) كلاهما عن أبي يعلى الموصلي عن الحارث بن سريج النقال به.

والحديث مداره على الحارث بن سريج وهو فيه ضعفه ابن معين والنسائي وابن عدي وغيرهم، وله شاهد من حديث الزهري عن سالم عن أبيه ابن عمر عند ابن ماجه في السنن ٢/ ٥١٣ (١٥٧٣)- مع اختلاف في صحابيه - مرفوعا بلفظ :"حيثما مررتَ بقبر مشرك فبشره بالنار ".وإسناد رجاله ثقات.

(٤) الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الأسدي المدني أبو عبد الله ابن أبي بكر قاضي المدينة: ثقة أخطأ السليماني في تضعيفه من صغار العاشرة مات سنة ست وخمسين. روى له ابن ماجه. تقريب التهذيب ص/٢١٤ (١٩٩١)

(٥) أنس بن عياض بن ضمرة - أو عبد الرحمن - الليثي، أبو ضمرة المدني: ثقة من الثامنة مات سنة مائتين وله ست وتسعون سنة روى له الستة. تقريب التهذيب ص/١١٥ (٥٦٤)

ليباركن الله عز وجل فيها" [١]

[٢٨] حدثنا محمد بن عيسى الأزرق قال: أخبرنا أبو أحمد الزبيري قال: حدثنا عمر بن سعيد بن أبي حسين [٢]، قال: حدثنا عطاء عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني رأيت رأسي ضرب فرأيته يتدَهْدهُ قال: فتبسم رسول الله ﷺ وقال: "يطرق أحدكم الشيطان فيتهول له ثم يغدو فيخبر به الناس"[٣].

[٢٩] حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العُتْبي قال: حدثنا محمد بن علي بن داود [٤] قال: حدثنا أسامة[٥]، قال: حدثنا الأعمش عن عمرو بن مُرة [٦] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أنزلت: (وأنذر عشيرتك الأقربين) خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه، قالوا: من ذا؟ قالوا : محمد ؛ فاجتمعوا إليه قال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد".[٧]

[٣٠] حدثنا محمد بن عمرو بن خالد قال: أخبرنا أبي [٨]، قال: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ١١٧/٣(٢٣٩٦) وأبو داود ٤/ ٥٠٩ (٢٨٨٤)، والنسائي ٦/ ٢٤٦ و ابن ماجه ٥٠٣/٣(٢٤٣٤) من طريق هشام بن عروة به.

(٢) عمر بن سعيد بن أبي حسين النوفلي المكي: ثقة من السادسة. روى له البخاري ومسلم وأبو داود في المراسيل والترمذي والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب ص/٤١٣ (٤٩٠٥)

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى ٩/ ٣٣٥(١٠٦٨٣) عن محمد بن المثنى وابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٧٥(٣٠٤٧٤) ؟؟ ـ وعنه ابن ماجه ٦٥/٥(٣٩١١) ـ وأحمد في مسنده ١٤/ ٣٦٩ (٨٧٦٣)، كلهم (ابن أبي شيبة ، وأحمد ، ومحمد بن المثنى) عن محمد بن عبد الله بن الزبير به. والحديث صحيح.

(٤) محمد بن علي بن داود أبو بكر البغدادي الحافظ المعروف بابن أخت غزال حدث عن عفان، توفي سنة أربع وستين ومئتين. قال ابن يونس: كان ثقة في الحديث. انظر: السير للذهبي ١٣/ ٣٣٨، وحسن المحاضرة للسيوطي ٣٤٨/١

(٥) كذا في الأصل: "أسامة" غير منسوب ، ولم أجده في تلاميذ الأعمش، وأرجح أنه وقع سقط أداة الكنية، وأن الصواب: "أبو أسامة" وهو حماد ابن أسامة القرشي مولاهم الكوفي أبو أسامة مشهور بكنيته وهو من مشاهير تلاميذ الأعمش قال ابن حجر: ثقة ثبت ربما دلس وكان بأخرة يحدث من كتب غيره من كبار التاسعة مات سنة إحدى ومائتين وهو ابن ثمانين . روى له الستة. تقريب التهذيب ص/١٧٧) (١٤٨٧)

(٦) عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجمَلي ـ بفتح الجيم والميم ـ المرادي أبو عبد الله الكوفي الأعمى: ثقة عابد كان لا يدلس ورمي بالإرجاء من الخامسة مات سنة ثماني عشرة ومائة وقيل قبلها. روى له الستة. تقريب التهذيب (ص: ٤٢٦ (٥١١٢)

(٧) رواه البخاري ٦/ ١١١ (٤٧٧٠) ومسلم ١/ ١٩٣ (٢٠٨) كلاهما من طرق عن الأعمش به.

(٨) هو عمرو بن خالد بن فروخ الحراني نزيل مصر، سبق برقم (٣)

الزهري [١] قال: حدثني أبو حازم [٢] عن سهل بن سعد قال: لما كان غزوة رسول الله ﷺ خيبر قال: لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله فذكر كلاما قال: فدعا رسول الله ﷺ عليا فقال: "خذ هذه الراية ولا تلتفت حتى تنزل بساحتهم؛ فادعهم إلى الله وإلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم فيه" [٣].

[٣١] حدثنا المقدام قال: حدثنا أسد [٤]، قال: حدثنا محمد بن طلحة [٥] عن الأعمش عن عطية بن سعد [٦] عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إني أوشك أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثَّقَلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما " [٧].

(١) هو يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن عبد القاري ـ بتشديد التحتانية ـ المدني نزيل الإسكندرية حليف بني زهرة ثقة من الثامنة مات سنة إحدى وثمانين . روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. تقريب التهذيب ص/٦٠٨ (٧٨٢٤)

(٢) أبو حازم: سلمة ابن دينار أبو حازم الأعرج الأفزر التمار المدني القاص مولى الأسود ابن سفيان: ثقة عابد من الخامسة مات في خلافة المنصور. روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٢٤٧ (٢٤٨٩)

(٣) رواه البخاري ٤/ ٤٧ (٢٩٤٢)، ومسلم ٤/ ١٨٧٢ (٢٤٠٦) من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي به.

(٤) أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي أسد السنة: صدوق يغرب وفيه نصب من التاسعة مات سنة اثنتي عشرة وله ثمانون . روى له البخاري تعليقا وأبو داود والنسائي. تقريب التهذيب ص/١٠٤ (٣٩٩)

(٥) محمد بن طلحة بن مصرف اليامي كوفي: صدوق له أوهام وأنكروا سماعه من أبيه لصغره من السابعة مات سنة سبع وستين روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي في خصائص علي وابن ماجه. تقريب التهذيب ص/٤٨٥ (٥٩٨٢)

(٦) عطية بن سعد بن جُنادة ـ بضم الجيم بعدها نون خفيفة ـ العوفي الجدَلي ـ بفتح الجيم والمهملة ـ الكوفي أبو الحسن : صدوق يخطىء كثيرا وكان شيعيا مدلسا من الثالثة مات سنة إحدى عشرة . روى له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه. تقريب التهذيب (ص: ٣٩٣(٤٦١٦)

(٧) رواه الترمذي في جامعه ٦/ ١٣٣ (٣٧٨٨) من طريق محمد بن فضيل، قال: حدثنا الأعمش، وله إسنادان فيه: عن عطية عن أبي سعيد، والثاني: عن حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم به وفيه:" وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما".

ورواه ابن الجعد في مسنده ص/٣٩٧ (٢٧١١) وأحمد في فضائل الصحابة ٢/ ٧٧٩ (١٣٨٣)، وأبو يعلى في مسنده٢/ ٢٩٧ (١٠٢١)، والآجري في الشريعة ٢٢١٦/٥ (١٧٠٢) والمخلص في المخلصيات ٢/ ٨٨ (١٠٩١) عن بشر بن الوليد عن محمد بن طلحة

وأحمد في مسنده ١٧/ ١٦٩ (١١١٠٤) من طريق إسماعيل بن أبي إسحاق الملائي

وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٦٤٣ (١٥٥٣) وعبد الله بن أحمد في زياداته في فضائل الصحابة لأبيه ٢/ ٥٨٥ (٩٩٠)، وأبو يعلى في مسنده ٢/ ٣٧٦ (١١٤٠) من طريق عبد الملك بن أبي سليمان وابن أبي عاصم في السنة ٦٤٤/٢ (١٥٥٤) ، وأبو يعلى مسنده ٢/ ٣٠١ (١٠٢٥) من طريق زكريا بن أبي زائدة

والطبراني في الأوسط ٣/ ٣٧٤ (٣٤٣٩)، والصغير ٢٢٦/١ (٣٦٣) من طريق كُثير النواء

و في الصغير أيضا ٢٣٢/١(٣٧٦) من طريق هارون بن سعد العجلي

[٣٢] وحدثنا أحمد بن حماد بن مسلم التجيبي قال: حدثنا سعيد بن أبي مريم[١] قال: حدثنا الدراورْدي قال: حدثنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: وقف رسول الله ﷺ على ناس جلوس فقال: ألا أخبركم بخياركم من شراركم؟ قال: فسكتوا، فقال: ذلك ثلاث مرات فقال رجل: بلى يا رسول الله، أخْبرْنا. فقال: "خياركم من يُرجى خيره ويُؤمن شره، وشركم من لا يُرجى خيره ولا يؤمن شره"[٢]

[٣٣] وحدثنا بكر بن سهل الدمياطي قال: عبد الله بن يوسف [٣] قال: حدثنا يحيى بن حمزة [٤] عن

وعبد الله بن الإمام أحمد في زياداته في فضائل الصحابة لأبيه ١/١٧١(١٧٠) من طريق أبي الجحاف داود بن أبي عوف به ولفظه: "كتاب الله وأهل بيتي". وكلهم بالمجموع سبعة من الرواة عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري به.

وعطية متكلم فيه، ولكن للحديث شواهد عديدة صحيحة منها حديث زيد بن أرقم عند مسلم في صحيحه برقم (٢٤٠٨)،

(١) سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم بن أبي مريم الجمحي بالولاء، أبو محمد المصري [وقد ينسب إلى جد جده] : ثقة ثبت فقيه من كبار العاشرة مات سنة أربع وعشرين وله ثمانون سنة . روى له الستة. تقريب التهذيب (ص: ٢٣٤ (٢٢٨٦)

(٢) رواه الترمذي في جامعه ٤/ ٩٨ (٢٢٦٣)، وأحمد في مسنده ١٤/ ٤٩٢ (٨٩٢٠) كلاهما عن قتيبة وابن حبان في صحيحه (الإحسان) ٢/٢٨٥ (٥٢٧) والبيهقي في الشعب ١٣/ ٥٤٢ (١٠٧٥٥) من طريق القعنبي ورواه القضاعي في مسند الشهاب ٢/ ٢٢٨ (١٢٤٦) من طريق ضرار بن صُرد كلهم عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي به.

ورواه أحمد أيضا في مسنده ١٤/ ٤١٠ (٨٨١٢) عن هيثم عن حفص بن ميسرة يعني الصنعاني عن العلاء به.

والحديث قال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح.

وله طرق أخرى عن أبي هريرة ؛ فرواه البيهقي في الشعب ١٣/ ٥٤١ (١٠٧٥٣) من طريق الفريابي عن سفيان الثوري عن عبيد بن نسطاس عن سعيد المقبري عن أبي هريرة به متصلا مرفوعا ؛ لكن رواه أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٩١(٣٤٤٣٠) عن يحيى بن يمان عن سفيان عن نسطاس عن سعيد المقبري مرسلا لم يذكر أبا هريرة به.

ثم رواه البيهقي في الشعب ١٣/ ٥٤٢ (١٠٧٥٤) من طريق نصر بن علي عن أبي أحمد الزبيري عن عبيد بن نسطاس عن المقبري أن أباه ذكره عن أبي هريرة به مرفوعا.

ولعل هذا الأقرب أنه متصل من رواية سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة كما رواه أبو أحمد الزبيري. والله أعلم.

(٣) عبد الله بن يوسف التنيسي ـ بمثناة ونون ثقيلة بعدها تحتانية ثم مهملة ـ أبو محمد الكَلاعي أصله من دمشق: ثقة متقن من أثبت الناس في الموطأ من كبار العاشرة مات سنة ثماني عشرة. روى له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي. تقريب التهذيب (ص: ٣٣٠ (٣٧٢١)

(٤) يحيى بن حمزة بن واقد الحضرمي أبو عبد الرحمن الدمشقي القاضي: ثقة رمي بالقدر من الثامنة مات سنة ثلاث وثمانين على الصحيح وله ثمانون سنة ، روى له الستة. تقريب التهذيب ص/١٠٥٢ (٧٥٣٦)

الأوزاعي عن أبي قلابة الجرمي [١] عن عمرو بن أمية الضمري قال: قدمت على رسول الله ﷺ فقال: انتظر الغذاء يا أبا أمية، قال: فقلت: إني صائم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ:"تعال أخبرك عن المسافر؛ إن الله وضع عن المسافر الصوم ونصف الصلاة" [٢].

[٣٤] حدثنا حبوش [١٣٢/أ] بن رزق الله الواسطي قال: حدثنا عبد الله بن يوسف [٣] ، قال: حدثنا الهيثم بن خليد [٤] قال: أخبرني زيد بن واقد [٥] عن سليمان بن موسى [٦] عن عمرو بن مرة [٧] عن

(١) عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر الجرمي أبو قلابة البصري: ثقة فاضل كثير الإرسال قال العجلي: فيه نصْب يسير، من الثالثة مات بالشام هاربا من القضاء سنة أربع ومائة وقيل بعدها . روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٣٠٤ (٣٣٣٣)

(٢) رواه النسائي ١٧٨/٤(٢٢٦٨) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ١٥٦/٣ (١٤٨٨) كلاهما عن عمرو بن عثمان عن الوليد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: حدثني أبو قلابة، قال: حدثني جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن أبيه به.

لكن في رواية ابن أبي عاصم عن أبي قلابة قال: حدثني أبو أمية، أو رجل عن أبي أمية هكذا بالشك

ورواه النسائي في الكبرى ٣/ ١٤٩(٢٥٨٩) عن عمرو بن قتيبة قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا الأوزاعي قال: حدثني يحيى بن أبي كثير، قال: حدثني أبو قلابة، قال: حدثني جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن أبيه بالحديث.

والسراج في مسنده ص/٤٤٣ (١٤٣٩) عن داود بن رشيد عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي مثل الرواية الأولى.

والدارمي في سننه ص/٤٢٢ (١٨٦٠) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٣/ ١٥٥ (١٤٨٧) والنسائي في الكبرى ٣/ ١٤٩ (٢٥٩٠) عن أبي المغيرة: عبد القدوس عن الأوزاعي عن يحيى عن أبي قلابة عن أبي المهاجر عن أبي أمية الضمري به.

ورواه النسائي في الكبرى أيضا ٣/ ١٤٩ (٢٥٩١) عن أحمد بن سليمان عن موسى بن مروان، قال: حدثنا محمد بن حرب مثل رواية أبي المغيرة.

ورواه النسائي في الكبرى أيضا ٣/ ١٤٨ (٢٥٨٨) عن عبدة بن عبد الرحيم عن محمد بن شعيب قال: أخبرنا الأوزاعي عن يحيى عن أبي سلمة قال: حدثني عمرو بن أمية به.

والنسائي في الكبرى ٣/ ١٥٠ (٢٥٩٢) عن شعيب بن شعيب بن إسحاق عن عبد الوهاب بن سعيد عن شعيب عن الأوزاعي، قال: حدثني يحيى قال: حدثني أبو قلابة الجرمي أن أبا أمية الضمري حدثهم أنه قدم ...الحديث.

والحديث في إسناده اختلاف على أكثر من أثني عشر قولا، ولعل الأصوب الوجه الأول ولكن متنه صحيح له عدة شواهد صحيحة. انظر: الهداية لأحمد ابن الصديق الغماري ٣/ ٣٠٨

(٣) هو عبد الله بن يوسف التنيسي سبق قريبا.

(٤) الهيثم بن خليد: كذا وقع في الأصل واضحا، وأرجح أن الصواب: الهيثم بن حميد لما سيأتي في مصادر التخريج، وهو: الهيثم بن حميد الغساني مولاهم أبو أحمد أو أبو الحارث: صدوق رمي بالقدر من السابعة . روى له الأربعة. تقريب التهذيب ص/ ٥٧٧ (٧٣٦٢)

(٥) زيد بن واقد القرشي الدمشقي: ثقة من السادسة . له البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب ص/٣٥٦ (٢١٥٨)

(٦) سليمان بن موسى الأموي مولاهم الدمشقي الأشدق: صدوق فقيه في حديثه بعض لين وخولط قبل موته بقليل من الخامسة ، روى له مسلم والأربعة. تقريب التهذيب ص/٤١٤(٢٦١٦)

(٧) عمرو بن مرة: وضع فوقها الناسخ ضبة ؛ وورد في عدد من مصادر التخريج: كثير بن مرة ؛ فيظهر أنه :

أبي فاطمة حدثه قال: قلت: يا رسول الله أخبرنا بعمل نستقيم عليه فنعمل به. قال: "عليك بالهجرة فإنها لا مثيل لها" قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل أستقيم عليه وأعمل به. قال: "عليك بالسجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها سيئة" (١)

[٣٥] حدثنا أحمد بن محمد الأزدي، قال: حدثنا إبراهيم بن أبي داود، قال: حدثنا محمد بن عبد الله

كثير بن مرة الحضرمي الحمصي ثقة من الثانية كما في القريب لابن حجر، ولكن يعكر عليه أنه ورد في رواية مسند أحمد تسميته: كثير الأعرج الصدفي فهل هو نفسه كثير بن مرة أم لا ؟ اختلف العلماء في ذلك فقال ابن حجر في التهذيب ٤٢٦/٨ : "وذكر صاحب تاريخ حمص أن كثير بن مرة هو الصدفي الأعرج وفرق بينهما ابن يونس فذكر الأول في التاريخ كما تقدم، وذكر كثير بن مرة في تاريخ الغرباء ولم يذكر كونه صدفيا ولا أعرج فالله أعلم . قال ابن حجر: وقال الذهبي: مصري لا يعرف تفرد عنه الحارث بن يزيد".

(١) رواه الطبراني في الكبير ٣٢٢/٢٢ (٨١٠) ومسند الشاميين ٢/ ٢١٣ (١٢١٠) عن بكر بن سهل عن عبد الله بن يوسف به. ولكن فيه: الهيثم بن حميد قال: أخبرني زيد بن واقد عن سليمان بن موسى عن كثير بن مرة عن أبي فاطمة به.

وإسناده صحيح لغيره من أجل الهيثم بن حميد فإنه صدوق، ولكنه متابع عن شيخه زيد بن واقد؛ فرواه النسائي في الكبرى ٦٢/٨ (٨٦٤٥) من طريق محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع عن زيد بن واقد عن كثير بن مرة أن أبا فاطمة به فذكر الهجرة والصبر والسجود، و أسقط سليمان بن موسى من السند.

وابن سميع الدمشقي الأموي مولاهم صدوق يخطىء ويدلس ورمي بالقدر كما في التقريب.

وقد جاء من وجه آخر عن مكحول عن كثير بن مرة؛ رواه ابن ماجه ٤٥٧/١ (١٤٢٢) عن هشام بن عمار، وعبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقيان.

وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٢/ ٢١٨ (٩٧٣) عن محمد بن مصفى عن محمد بن المبارك به بلفظ المصنف.

والطبراني في مسند الشاميين ٤/ ٣٥٢ (٣٥٣٢) من طريق صفوان بن صالح كلهم الأربعة: (هشام بن عمار، وعبد الرحمن بن إبراهيم، ومحمد بن المبارك، وصفوان بن صالح) عن الوليد بن مسلم قال: حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن كثير بن مرة أن أبا فاطمة حدثه . وليس في ابن ماجه ذكر الهجرة. ورواية الطبراني في الشاميين مطولة فيها ذكر الصلاة والصيام والسجود.

ورواه أحمد في المسند مختصرا بلفظ: "يا أبا فاطمة أكثر من السجود، فإنه ليس من مسلم يسجد لله سجدة، إلا رفع الله له بها درجة" من عدة طرق عن أبي فاطمة : فرواه أحمد في مسنده ٢٤/ ٢٨٥ (١٥٥٢٦) عن موسى بن داود عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو، عن أبي عبد الرحمن الحبلي عنه.

ثم رواه في مسنده أيضا ٢٤/ ٢٨٦(١٥٥٢٧) من طريق ابن لهيعة، حدثنا الحارث بن يزيد عن كثير الأعرج الصدفي عن أبي فاطمة به.

ثم رواه في مسنده أيضا ٢٤/ ٢٨٧ (١٥٥٢٨) من طريق ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن كثير الأعرج عن أبي فاطمة به.

والحديث قال عنه المنذري في الترغيب والترهيب١/ ٢٥٠: "رواه ابن ماجه بإسناد جيد". وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني ٥٧٣/٤ (١٩٣٧)

إبن نمير [١] قال: حدثنا أبو خالد الأحمر [٢] قال: سمعت حميدا [٣] عن أنس أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله ﷺ فقال: ما أوان اشتراط الساعة؟ فقال: "أخبرني جبريل أن نارا تحشرهم من المشرق".[٤]

ففي كل هذه الأخبار وجملة هذه الآثار المتواترة الصحيحة التي لا يتهيأ عليها التواطي، ولا يدخلها الشك ولا الريب تبيان استواء الخبر والحديث وأن كل ما يقال فيه "حدثنا" يقال فيه: "أخبرنا" ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم خاطب أصحابه بأنه مخبرهم ثم ذكرهم[٥] الخبر لفظا، وذلك إنما يقال عند خصومنا: "حدثنا" [و"أخبرنا"] [٦].

ثم رجعنا إلى ما يروى عن أصحاب رسول الله ﷺ فوجدنا عنه ما يدل على ذلك أيضا منه:

[٣٦] ما قد حدثنا عبد الرحمن بن محمد الأنماطي قال: حدثنا أبو سعيد الأشج [٧] قال: حدثنا عبد الله

---

(١) محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني بسكون الميم الكوفي أبو عبد الرحمن: ثقة حافظ فاضل من العاشرة مات سنة أربع وثلاثين روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٨٦٦ (٦٠٥٣)

(٢) سليمان بن حيان الأزدي أبو خالد الأحمر الكوفي: صدوق يخطىء من الثامنة مات سنة تسعين أو قبلها وله بضع وسبعون . روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٤٠٦(٢٥٤٧)

(٣) حميد بن أبي حميد الطويل أبو عبيدة البصري اختلف في اسم أبيه على نحو عشرة أقوال: ثقة مدلس وعابه زائدة لدخوله في شيء من أمر الأمراء من الخامسة مات سنة اثنتين ويقال ثلاث وأربعين وهو قائم يصلي وله خمس وسبعون . روى له الستة. تقريب التهذيب (ص: ١٨١ (١٥٤٤)

(٤) جزء من حديث مطول في قصة عبد الله بن سلام مع النبي ﷺ ؛ رواه البخاري في صحيحه ٥/ ٦٩(٣٩٣٨) من طريق بشر بن المفضل عن حميد به.

ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ٦/ ٣٩٥ (٣٧٤٢) عن ابن نمير عن أبي خالد الأحمر به.

وأحمد في مسنده ٢٠/ ٢٨٧ (١٢٩٧٠) عن إسماعيل هو ابن علية.

ورواه البزار في مسنده ١٣/ ١٥٣ (٦٥٦٤) والنسائي في الكبرى ٧/ ٣٥) (٨١٩٧) من طريق خالد بن الحارث عن حميد

وابن أبي شيبة في المصنف (عوامة) ٢١/ ١٢٣ (٣٨٤٧١) ، و أبو يعلى في المصنف ٦/ ٤١٦ (٣٧٨٢) عن سفيان بن وكيع كلاهما عن أبي خالد الأحمر، عن حميد

والدينوري في المجالسة ٣/ ٩٧ (٧٢٤) من طريق من محمد بن عبد الله الأنصاري: (ابن علية، وخالد بن الحارث، وأبو خالد الأحمر، والأنصاري) كلهم عن حميد به.

(٥) ذكرهم : كذا في الأصل ، ووضع فوقها الناسخ ضبة ، ولعل الصواب: فذكر لهم

(٦) كذا فيه، والظاهر من السياق أنه يكون: [حدثنا لا أخبرنا]؛ لأن المخالفين في المسألة لا يسوون بين التحديث والقراءة على الشيخ.

(٧) عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي أبو سعيد الأشج الكوفي: ثقة من صغار العاشرة مات سنة سبع وخمسين. روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٣٠٥) (٣٣٥٤)

إبن نمير [١]، قال: حدثنا عبد العزيز بن سياه [٢]، عن حبيب بن أبي ثابت [٣] عن أبي وائل [٤]عن علي رضي الله عنه أنه قال: "ألا أخبركم عما قضى الله على لسان نبيكم لمن قاتلهم" [٥]. يعني الخوارج. وذكر الحديث.

[٣٧] حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال حدثنا يونس [٦] قال: حدثنا ابن وهب قال: أخبرنا يونس[٧] عن ابن شهاب قال: حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن [٨] عن جابر بن عبد الله أن رجلا من أسلم أتى النبي ﷺ فناداه فحدثه أنه زنى فأعرض عنه رسول الله ﷺ فتنحى لشقه الذي أعرض قبله عنه ؛

(١) عبد الله بن نُمير بنون مصغر الهمداني أبو هشام الكوفي: ثقة صاحب حديث من أهل السنة من كبار التاسعة مات سنة تسع وتسعين [ومائة] وله أربع وثمانون. روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٣٢٧ (٣٦٦٨)

(٢) عبد العزيز بن سياه ـ بكسر المهملة بعدها تحتانية خفيفة ـ الأسدي الكوفي: صدوق يتشيع من السابعة. روى له الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب ص/٣٥٧ (٤١٠٠)

(٣) حبيب بن أبي ثابت: قيس ويقال هند ابن دينار الأسدي مولاهم أبو يحيى الكوفي: ثقة فقيه جليل وكان كثير الإرسال والتدليس من الثالثة مات سنة تسع عشرة ومائة . روى له الستة. تقريب التهذيب ص/١٥٠ (١٠٨٤)

(٤) شقيق ابن سلمة الأسدي أبو وائل الكوفي ثقة [من الثانية] مخضرم مات في خلافة عمر ابن عبد العزيز وله مائة سنة. روى له الستة. تقريب التهذيب (ص: ٢٦٨ (٢٨١٦)

(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى ٧/ ٤٧٩ (٨٥٢١) وأبو نعيم في الحلية ٤/ ١٨٦من طريق أبي مالك عمرو بن هاشم عن إسماعيل بن أبي خالد قال: أخبرني عمرو بن قيس عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش عن علي به.

ولفظ أبي نعيم: "أنا فقأت عين الفتنة، لولا أنا ما قتل أهل النهر وأهل الجمل، ولولا أن أخشى أن تتركوا العمل لأنبأتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم لمن قاتلهم مبصرا ضلالتهم عارفا للهدى الذي نحن فيه".

قال أبو نعيم: "غريب من حديث المنهال وعمرو بن إسماعيل بن أبي خالد [كذا] لم نكتبه إلا بهذا الإسناد".

ولكن رواه ابن أبي شيبة في المصنف (عوامة) ٢١/ ٣٤٢ (٣٨٨٨٩) عن مالك بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسي عن عمرو بن قيس عن المنهال بن عمرو ، قال عبد الرحمن : أظنه ، عن قيس بن السكن عن علي بن أبي طالب به. وفيه:" وايم الله لولا أن تتكلوا فتدعوا العمل لحدثتكم بما سبق لكم على لسان نبيكم ، لمن قاتلهم مبصرا لضلالتهم عارفا بالذي نحن عليه".

ولعل الأصح رواية إسماعيل بن أبي خالد السابقة عند النسائي وأبي نعيم من رواية زر بن حبيش عن علي به. والحديث صحيح.

(٦) يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصدفي أبو موسى المصري: ثقة من صغار العاشرة مات سنة أربع وستين وله ست وتسعون سنة . روى له مسلم والنسائي وابن ماجه . تقريب التهذيب ص/٦١٣ (٧٩٠٧)

(٧) يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي ـ بفتح الهمزة وسكون التحتانية بعدها لام ـ أبو يزيد مولى آل أبي سفيان: ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهما قليلا ، وفي غير الزهري خطأ من كبار السابعة مات سنة تسع وخمسين على الصحيح وقيل سنة ستين . روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٦١٤ (٧٩١٩)

(٨) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل: اسمه عبد الله وقيل: إسماعيل: ثقة مكثر من الثالثة مات سنة أربع وتسعين أو أربع ومائة وكان مولده سنة بضع وعشرين . روى له الستة. تقريب التهذيب ص/٦٤٥ (٨١٤٢)

فأخبره أنه زنى وشهد على نفسه أربع مرات فدعاه رسول الله ﷺ فقال: هل بك جنون ؟ قال: لا قال: فهل أُحصنت؟ قال: نعم قال: فأمر به النبي ﷺ أن يرجم في المصلى [١]

فبين معنى ما ذهبنا إليه وجعله يقول كان منه [٢] مرتين: مرة [ل١٣٢/ب]محدثا ومرة مخبرا، وأبين من هذا:

[٣٨] ما قد حدثنا محمد بن أحمد الأزدي [٣] قال: حدثنا صالح بن عبد الرحمن الأنصاري [٤] قال: حدثنا حفص بن عمر [٥] قال: حدثنا الحكم بن أبان [٦] عن عكرمة عن ابن عباس وقدم ناس عليه بعدما ذهب بصره فسألوه أن يقرأ عليهم فقال: "نعم إني لما ذهب بصري قال: بلُهْت فاقرأوا علي ولا يكن في أنفسكم حرج؛ فإن قراءتكم علي وقراءتي عليكم سواء" [٧]

(١) رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٣/ ١٤٢ (٤٨٦٢) عن يونس به مثله.
وأصله متفق عليه عند البخاري ٨/ ١٦٦ (٦٨٢٠) ومسلم ١٣١٨/٣ (١٦٩١) من طريق معمر - زاد مسلم: وابن جريج - عن الزهري به.

(٢) [كان منه] كذا في الأصل، ولعل الصواب: [ما كان منه]

(٣) [محمد بن أحمد الأزدي] كذا في الأصل ، والظاهر أنه مقلوب: [أحمد بن محمد الأزدي] وهو الإمام الطحاوي، وسبق مرارا، لأن الخبر عند الطحاوي هكذا في معاني الآثار كما سيأتي في التخريج.

(٤) صالح بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث بن يعقوب، أبو الفضل ألأنصاري المصري، أحد مشايخ أبى جعفر الطحاوى (تـ٢٦٣هـ) روى عن أبى عبد الرحمن المقرىء، والعلاء بن عبد الجبار، وسعيد بن الحكم ابن أبى مريم، وآخرين. قال ابن أبى حاتم: سمعت منه بمصر، ومحله الصدق. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٤٠٨). ومغاني الأخيار للعيني ٥٠٢/١

(٥) حفص بن عمر بن ميمون العدني الصنعاني أبو إسماعيل لقبه الفرخ بالفاء وسكون الراء والخاء المعجمة: ضعيف من التاسعة روى له ابن ماجه . تقريب التهذيب ص/١٧٣) (١٤٢٠)

(٦) الحكم بن أبان العدني أبو عيسى: صدوق عابد وله أوهام من السادسة مات سنة أربع وخمسين وكان مولده سنة ثمانين . روى له البخاري في القراءة خلف الإمام والأربعة. تقريب التهذيب ص/١٧٤ (١٤٣٨)

(٧) رواه الطحاوي في معاني الآثار ٤/ ٣١٩ (٧١٣١) عن صالح بن عبد الرحمن
والبيهقي في المدخل ٢٧٦/١ (٥٩١) من طريق عبد الصمد بن الفضل البلخي كلاهما (صالح بن عبد الرحمن، وعبد الصمد) عن حفص بإسناده إلى ابن عباس أن ناسا من أهل الطائف أتوه بصحف من صحفه ، ليقرأها عليهم. فلما أخذها لم ينطلق فقال: "إني لما ذهب بصري بلُهت ؛ فاقرأوها علي ، ولا يكن في أنفسكم من ذلك حرج، فإن قراءتكم علي كقراءتي عليكم".
ورواه الترمذي في الجامع في كتاب العلل [طبعة مؤسسة الرسالة] ٦/ ٤٦٧ من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبي عصمة عن يزيد النحوي
والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص/٤٢٩ من طريق محمد بن منصور الجواز عن يحيى بن سليم الطائفي عن ابن جريج كلاهما عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: "اقرؤوا علي، فإن قراءتكم علي كقراءتي عليكم".
والبيهقي في المدخل ٢٧٦/١ (٥٩١) والخطيب في الكفاية ص/٢٦٤ من طريق إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة به. ولفظ الخطيب مختصر.
وعزاه السيوطي في تدريب الراوي ١/ ٤٢٧

فبينه وفتحه وأوضحه وشرحه فيما:

[٣٩] حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال: حدثنا يونس قال: حدثنا علي بن معبد قال: حدثنا شعيب إبن إسحاق الدمشقي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ـ إن شاء الله ـ عن بَشير بن نهيك قال: كنت آتي أبا هريرة فآخذ منه الكتب فأنسخها ثم أقرؤها عليه؛ فأقول له: هذه سمعتها منك؟ فيقول: "نعم"(١)

وهذا زائد علي ما قلناه وموجب للقارئ على العالم أن يقول له فيما قرأه عليه: سمعته منك.

قال محمد بن الحسن رحمه الله: ولولا الخوف من الزيادة في طول هذه المسألة لكان حديثها أوسع من أن يؤتى بجملته.

ثم عقبنا بالنظر في لغة العرب هل نجد فيها ما يدلنا على ما ذكرنا ويوضح ما إليه ذهبنا؛ فوجدنا عنترة بن شداد قد قال:

يخبرك من شهد الوقعة أنني أغشى الوغى و أعف عند المغنم (٢)

و قال النابغة الذبياني:

رغم البوارح إن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الأسود (٣)

وقال:

إن تسألي يا أم عمرو نخبر أنا غداة المنهل المعمر

نشرب بالماء ولما تكدر (٤)

فكل هذا مذكور بالخبر لا بالحديث، وليس هذا مما يجوز عرضه على المخبر يعمل (٥) إخباره به ساعة ذكره .

---

(١) رواه الطحاوي في معاني الآثار ٤/ ٣٢٠ (٧١٣٧) عن يونس عن علي بن معبد عن شعيب بن إسحاق ، والبيهقي في المدخل ٢٧٧/١ (٥٩٢) من طريق يحيى القطان كلاهما عن عمران بن حدير عن بشير بن نهيك قال: كنت آخذ الكتب من أبي هريرة فأكتبها ،فإذا فرغت، قرأتها عليه، فأقول: "الذي قرأته عليك، أسمعته من رسول الله ﷺ؟" فيقول: "نعم".

(٢) ديوان عنترة بن شداد [تحقيق: محمد سعيد مولوي]ص/٢٠٩ (٥٢) ، المكتب الإسلامي بيروت [سنة ١٩٧٠م]

(٣) من قصيدة للنابغة ،وقبله:

أفد الترحل غير أن ركابنا * لما تزُل برحالنا وكأن قد

زعم الغداف أن رحلتنا غدا*

انظر: ديوان النابغة الذبياني بتحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ص/٩٣

(٤) لم أقف عليه.

(٥) كذا في الأصل: [يعمل] ووضع الناسخ فوقها ضبة .

ثم ختمنا الكتاب بالقياس على الأصول المجتمع عليها المتفق على الحكم بها؛ فوجدنا المسلمين جميعا لا يختلفون، ومن قولهم لا يتنازعون: أن رجلا لو قرأ ذكر حق على رجل وأقر له المقروء عليه بما فيه وأشهده به [على فقدانه] (١) يأمره أن يشهد عليه به ويقول: أقر عندي فلان بن فلان بكذا وبكذا ثم يقبض ما في ذلك الكتاب،[ل١٣٣/أ] وأن قوله له وإقراره بأن ما قرأه عليه حقٌ يلزمه كقوله: لفلان إبن فلان هذا علي كذا وكذا بمعنى ما في ذلك المذكور الحق (٢)، وبذلك جاء القرآن؛ قال الله تعالى: Mوَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْL(٣) فاكتفوا منهم جوابا بالسؤال لهم بنعم وأقاموها عنهم مقام قولهم لهم ابتداء: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فالقياس على ذلك أن تكون قراءة العالم على العالم في الجواب للقارئ أن يقول فيه: "حدثنا" كما يقول فيه إذا قرأه عليه، ويكون إقرار العالم لمن قرأه عليه بصدقه فيما قرأه، كقراءة العالم عليه ذلك الحديث لفظا.

فهذا الكتاب والسنة وأقوال الصحابة تلك الصحابة الذين بحضرتهم نزل القرآن وعليهم (٤) أُخذ العلم في أول الزمان، ولغة العرب التي بها أنزل مهيمن الكتاب توضح مذهبنا، وتبين صحة قولنا فتفهموه تجدوه مبينا كما ذكرت إن شاء الله تعالى، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

آخر الكتاب ولله الحمد على جميع الأحوال.

فرغ في العشر الآخر من شعبان سنة عشرين وتسعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

قائمة بأهم المصادر والمراجع: (٥)

- الآحاد والمثاني لأبي بكر بن أبي عاصم : أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت : ٢٨٧هـ)ت: باسم فيصل أحمد الجوابرة ، دار الراية - الرياض ، ١٤١١هـ
- الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن أحمد ابن حزم الأندلسي (ت : ٤٥٦هـ) ت: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت. د.ت.
- كتاب الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين لعلي بن المُفَضَّل المقدسي (ت : ٦١١هـ) ت: محمد سالم العبادي، أضواء السلف الرياض د.ت.
- إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني لنايف بن صلاح بن علي المنصوري، دار الكيان الرياض، مكتبة ابن تيمية - الإمارات
- أطراف الغرائب والأفراد لابن طاهر المقدسي (ت : ٥٠٧هـ) ت: جابر السريع، دار التدمرية - الرياض سنة

(١) كذا استظهرته من الأصل، ووضع الناسخ عليه علامة ضبة.

(٢) انظر: التسوية بين حدثنا وأخبرنا للطحاوي ص/٥٠

(٣) سورة الأعراف آية : [٤٤]

(٤) وضع الناسخ فوقها ضبة.

(٥) تم الاقتصار على أهم المصادر مخافة التطويل.

١٤٢٨هـ.

- الإكمال لعلي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت : ٤٧٥هـ) تصوير دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان الطبعة الأولى ١٤١١هـ
- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (ت : ٥٤٤ هـ) ت: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة - مصر ط:١، ١٤١٩هـ
- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع لعياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت: ٥٤٤هـ) ت: السيد أحمد صقر، دار التراث / المكتبة العتيقة - القاهرة / تونس، ١٣٧٩هـ
- كتاب الأم للإمام الشافعي(٢٠٤هـ) ت : رفعت فوزي، دار الوفاء القاهرة ط١، ١٤٢٢هـ.
- الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب سوريا ، ط١، سنة ١٤١٧هـ
- الأنساب لعبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني المروزي (ت: ٥٦٢هـ) ت : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٢ هـ
- أنيس الساري في تخريج وتحقيق أحاديث (فتح الباري) للشيخ نبيل البصارة، مؤسسة السماحة الكويت سنة ١٤٢٦هـ
- البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ت : عبد الله التركي، دار هجر بمصر، ١٤١٨ هـ
- بغية الطلب في تاريخ حلب لعمر بن أحمد كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ) ت: سهيل زكار، دار الفكر بيروت.
- بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام لعلي بن محمد ، أبو الحسن ابن القطان (ت : ٦٢٨هـ) ت: الحسين آيت سعيد، دار طيبة ، الرياض ط: ١، ١٤١٨هـ
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام لمحمد بن أحمد الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلام ٢٠٠٣ م
- تاريخ علماء أهل مصر ليحيى بن علي الحضرمي المعروف بابن الطحان (ت : ٤١٦ هـ)ت: محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٨ هـ
- تاريخ المدينة لأبي زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت٢٦٢ هـ) ت : العربي الدائز الفرياطي (قطعة منه في أطروحة علمية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، نوقشت سنة ١٤٣٣هـ)
- التاريخ الكبير لأبي بكر أحمد بن أبي خيثمة (ت ٢٧٩هـ) ت: صلاح بن فتحي هلل، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – القاهرة ط: ١، ١٤٢٧ هـ
- تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر (ت :٥٧١هـ) ت : عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر بيروت ط١،،١٤١٨هـ
- تاريخ مدينة السلام (بغداد) لأحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت : ٤٦٣هـ) ت : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٤٢٢هـ
- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لمحمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زبر الربعي (المتوفى: ٣٧٩هـ) ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة - الرياض، ١٤١٠هـ
- تأويل مختلف الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت : ٢٧٦هـ) ت : محمد محيي الدين الأصفر، المكتب الاسلامي،

بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ

- تدريب الراوي لجلال الدين السيوطي (ت :٩١١هـ) تـ: نظر الفريابي
- تذكرة الحفاظ (أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان) لمحمد بن طاهر المقدسي ابن القيسراني (ت: ٥٠٧هـ) تـ: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض ، ١٤١٥ هـ
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ) ت: ابن تاويت الطنجي، وجماعة ، وزارة الأوقاف المغربية، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب
- التسوية بين حدثنا وأخبرنا لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت :٣٢١هـ) تـ:سمير بن أمين الزهيري دار الضياء للنشر والتوزيع الرياض ، ١٤١٠ هـ
- تغليق التعليق على صحيح البخاري لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ت: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، بيروت ، ١٤٠٥هـ
- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) تـ : محمد عوامة، دار ابن حزم بيروت ط١، ١٤٢٠هـ (و ت: صغير أحمد شاغف الباكستاني ، دار العاصمة بالرياض ١٤١٨هـ)
- التكملة لوفيات النقلة لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت : ٦٥٦هـ) ت: بشار عواد، مؤسسة الرسالة بيروت ط٣، ١٤٠٥هـ
- التلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني (ت :٨٥٢هـ) تـ : عبد الله هاشم يماني دار المعرفة بيروت. د.ت.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (ت : ٤٦٣هـ) ت: سعيد أعراب وآخرين، وزارة الأوقاف المغربية الرباط سنة ١٤٠٠هـ
- تهذيب الأسماء واللغات لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦هـ)، شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية تصوير: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- تهذيب التهذيب لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت : ٧٥٢هـ) ت: بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة بيروت ط٤، ١٤١٧هـ
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح لعمر بن علي الأنصاري ابن الملقن(ت : ٨٠٤هـ) ت: خالد الرباط - جمعة فتحي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر ١٤٢٩هـ
- توضيح المشتبه لمحمد بن عبد الله ابن ناصر الدين الدمشقي(ت : ٨٤٢هـ) ت: محمد نُعَيم العِرْقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت ط٢، ١٤١٤هـ
- الثقات لأبي حاتم محمد بن أحمد بن حبان (ت : ٣٥٤هـ) دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٩٣هـ تصوير مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.
- الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة لقاسم بن قُطْلُوْبَغَا الجمالي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ) ت : شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية بصنعاء، اليمن، ١٤٣٢ هـ
- الجامع الكبير (سنن الترمذي) وفي آخره كتاب العلل لمحمد بن الترمذي، أبو عيسى (ت : ٢٧٩ هـ) ت: شعيب الأرنؤوط وعبد اللطيف حرز الله ، الرسالة العالمية - بيروت: ١٤٣٠ هـ
- جامع التحصيل في أحكام المراسيل لصلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي (ت : ٧٦١هـ) ت: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب – بيروت ط: ٢، ١٤٠٧هـ
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (ت : ٤٦٣هـ) ت: محمود الطحان، مكتبة المعارف -

الرياض

- الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت : ٣٢٧هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند ١٣٧١ هـ
- الجامع الكبير لمحمد بن عيسى الترمذي(ت : ٢٧٩هـ) ت: بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة : ١٩٩٨ م [وطبعة مؤسسة لرسالة بيروت بتحقيق: شعيب الأرناؤوط وأصحابه]
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نُعَيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت : ٤٣٠هـ) نشر السعادة ١٣٩٤هـ تصوير : دار الكتاب العربي - بيروت
- دليل السالك مع شرحه: إضاءة الحالك لمحمد حبيب الله الشنقيطي (ت : ١٣٦٣هـ) دار البشائر الإسلامية بيروت ط٢، ١٤١٥هـ
- ديوان عنترة بن شداد تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي بيروت، سنة ١٩٧٠م
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لمحمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري (ت : ٧٠٣ هـ) تـ: الدكتور إحسان عباس، ومحمد بن شريفة، وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢ م
- رجال الحاكم في المستدرك لمقبل بن هادي الوادعي (ت : ١٤٢٢هـ) مكتبة صنعاء الأثرية ، ١٤٢٥ هـ
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (المتوفى: ١٣٤٥هـ): محمد المنتصر بن محمد الزمزمي: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ
- الزهد والرقائق لعبد الله ابن المبارك المروزي(ت :١٨١هـ) تـ: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت ط٢، ١٤٢٥هـ
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة لمحمد ناصر الدين الألباني (ت : ١٤٢٠هـ) دار المعارف، الرياض ، ١٤١٢ هـ
- السنن لأبي داود السجستاني، سليمان بن الأشعث (ت : ٢٧٥هـ) ت : محيي الدين عبد الحميد، دار الحديث القاهرة.
- السنن لابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني(ت : ٢٧٣هـ) ت : محمد مصطفى الأعظمي ط٢، ١٤٠٤هـ
- السنن للدارقطني، علي بن عمر البغدادي (ت : ٣٨٥هـ) ت : شعيب الأرناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٢٤هـ
- السنن للدارمي، أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان (ت : ٢٥٥هـ) تـ : فواز أحمد زمَرلي وغيره، كراتشي باكستان .
- [وتحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني الرياض ط١، ١٤٢١هـ]
- السنن لسعيد بن منصور الخراساني (ت : ٢٢٧هـ) تـ : سعد بن عبد الله آل حميد، دار الصميعي الرياض ط١، ١٤١٤هـ
- السنن الكبرى للبيهقي وبذيله :(الجوهر النقي في الرد على البيهقي) لابن التركماني (ت : ٧٤٥هـ) [طبعة دائرة المعارف العثمانية ـ الهند] سنة ١٣٥٢هـ [وطبعة: محمد عبد القادر عطا ، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت سنة، ١٤٢٤ هـ]
- السنن الكبرى للنسائي، أحمد شعيب (ت : ٣٠٣هـ) ت : حسن بن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة بيروت،ط١، ١٤٢١هـ
- سير أعلام النبلاء للذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ت : شعيب الأرناؤط وبشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة بيروت،ط٢، ١٤٠٢ ـ ١٤٠٥هـ

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد ابن العماد العَكري الحنبلي (ت : ١٠٨٩هـ) ت: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ، ١٤٠٦ هـ
- الشريعة لمحمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ (ت : ٣٦٠هـ)تـ: عبد الله الدميجي، دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ
- صحيح ابن حبان (الإحسان) لمحمد بن حبان التميمي أبو حاتم البُستي (ت : ٣٥٤هـ) ب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) ت: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٨هـ
- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) لمسلم بن الحجاج القشيري (ت : ٢٦١هـ) ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمر العقيلي (ت :٣٢٢هـ) ت: مازن السرساوي، دار ابن عباس – مصر، ط: ٢، ٢٠٠٨ م = (وطبعة: حمدي السلفي دار الصميعي الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ)
- الطبقات الكبير لمحمد بن سعد (ت : ٢٣٠هـ) تـ: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي – القاهرة ط ١، ٢٠٠١ م
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية لتقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي (ت : ١٠١٠هـ) تـ: عبد الفتاح الحلو، دار الرفاعي الرياض ط١، ١٤٠٣هـ
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت :٧٧١هـ) ت : محمود الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة ابن تيمية القاهرة ط١، ١٣٩٨هـ
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية لعلي بن عمر الدارقطني (ت : ٣٨٥هـ) ت: محفوظ الرحمن زين الله السلفي. دار طيبة – الرياض ط ١، ١٤٠٥ هـ
- عَمَلِ اليَوم وَاللّيلة لابن السُّنِّي ومعه :عجالةُ الرّاغِب المُتَمَنِّي لسليم الهلالي، دار ابن حزم للطّبَاعة وَالنشر وَالتَوزيع، بيروت، ١٤٢٢ هـ
- علوم الحديث لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمان الشهرزوري (ت :٦٤٣هـ) ومعه (محاسن الاصطلاح للبلقيني) ت: عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطئ)، نشر دار المعارف بمصر ط٢
- الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت : ٥٤٤هـ) ت: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى ١٤٠٢ هـ
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر(٨٥٢هـ) ترقيم :محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام الرياض دار الفيحاء دمشق ط١، ١٤٢٠هـ
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ) ت: عبد الكريم الخضير وصاحبه، دار المنهاج بالرياض سنة ١٤٢٥هـ
- فضائل الصحابة لأحمد بن محمد ابن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ت: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٣ هـ
- الفهرس الشامل التراث العربي الإسلامي المخطوط (الحديث النبوي وعلومه) المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية عمان . الأردن.
- فهرس مخطوطات مركز سعود البابطين إعداد :الدكتور جمال عزون ، نشر مركز سعود الباطين للتراث بالرياض.
- الفوائد لتمام بن محمد الرازي ثم الدمشقي (المتوفى: ٤١٤هـ) تـ: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤١٢هـ
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ت: محمد

عوامة وأحمد الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة ، ١٤١٣ هـ

- الكامل في ضعفاء الرجال، لعبد الله بن عدي الجرجاني(٣٦٥ هـ) ت : عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤١٨هـ
- كشف الأستار عن زوائد البزار لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ) ت : حبيب الرحمان الأعظمي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (١٠٦٧ هـ) دار الكتب العلمية، ط، ١٤١٣هـ
- الكفاية في علم الرواية لأحمد بن علي الخطيب (ت : ٤٦٣هـ) ت : أبو عبدالله السورقي، و إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة
- لسان الميزان لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢ هـ) ت: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية بيروت ط١، ٢٠٠٢ م
- مأخذ العلم لأحمد بن فارس القزويني (المتوفى: ٣٩٥هـ) ت: محمد بن ناصر العجمي تـ: دار البشائر الإسلامية [ضمن سلسلة لقاء العشر الأواخر (٤٧)] الطبعة: الثانية ١٤٢٦ هـ
- المتفق والمفترق لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت : ٤٦٣هـ) ت: محمد صادق آيدن الحامدي، دار القادري ، دمشق ، ١٤١٧ هـ
- مجمع البحرين في زوائد المعجمين لنور الدين الهيثمي(ت : ٨٠٧ هـ) ت: عبد القدوس محمد نذير، مكتبة الرشد الرياض ط١، ١٤١٣هـ
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين لهيثمي(ت : ٨٠٧هـ) دار الكتاب العربي بيروت ط ٣، ١٤٠٢هـ
- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت : ٣٦٠هـ)
- المحقق: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ
- المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي لأحمد بن محمد الغماري (ت :١٣٨٠هـ)،المكتبة المكية، دار الكتبي القاهرة ط١، سنة١٤١٦هـ
- المدخل إلى علم السنن لأحمد بن الحسين البيهقي(ت : ٤٥٨هـ) ت: محمد عوامة، دار المنهاج جدة، ١٤٣٧هـ
- المراسيل لابن أبي حاتم الرازي (ت : ٣٢٧هـ) ت : أحمد عصام الكاتب، دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤٠٣هـ
- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ) تـ : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١١ هـ (وطبعة: دار المعرفة بيروت د.ت)
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت :٢٤١هـ) ت : جماعة بإشراف الشيخ/شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت ط١، ١٤١٦-١٤٢١هـ (وطبعة العلامة أحمد شاكر، دار الحديث بالقاهرة ط١، سنة ١٤١٦هـ)
- مسند البزار (البحر الزخار)، لأبي بكر أحمد بن عمرو (٢٩٢ هـ) ت : محفوظ الرحمان زين الله، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة ط١، ١٤٠٩هـ
- مسند الحميدي، أبي بكر عبد الله بن الزُّبَير (٢١٩ هـ) ت: حسن سليم أسد، دار السقا، بدمشق ط ١، ١٩٩٦ م
-
- مسند الشهاب لمحمد بن سلامة القضاعي المصري (ت: ٤٥٤هـ) ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت : الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ
- مسند الطيالسي، أبي داود سليمان بن داود (٢٠٤ هـ) ت: محمد بن عبد الله التركي، دار هجر القاهرة ط١،

١٤١٩هـ

- مسند علي بن الجعد ، لأبي الحسين الجوهري (٢٣٠ هـ) ت :عبد المهدي عبد الهادي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ [تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر – بيروت، سنة ١٤١٠هـ]
- مسند أبي يعلى الموصلي أحمد بن علي بن المثنى (ت : ٣٠٧ هـ) ت :حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، ط١ ، ١٤١٢هـ
- مشكل الآثار لأحمد بن محمد المعروف بالطحاوي (ت : ٣٢١هـ) ت: شعيب الأرناؤوط تـ: مؤسسة الرسالة بيروت ط١، ١٤١٥ هـ
- مشيخة أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي وذكر المدلسين لأحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) ت: حاتم بن عارف العوني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ
- المصنف لابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد (٢٣٥ هـ) ت: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، سنة ١٤٢٧ هـ
- المصنف، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت : ٢١١ هـ) ت: حبيب الرحمان الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت ط١، ١٣٩٩هـ
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر ت: جماعة من المحققين، تنسيق: سعيد بن ناصر الشثري، دار العاصمة ـ دار الغيث الرياض ط١، ١٤١٩هـ
- المعجم الأوسط للطبراني (ت :٣٦٠هـ) ت : أبي معاذ طارق بن عوض الله وصاحبه، دار الحرمين، القاهرة ط١، ١٤١٦هـ
- المعجم الكبير للطبراني تـ : حمدي السلفي، نشر: وزارة الأوقاف العراقية ومكتبة ابن تيمية القاهرة د.ت.
- المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف، لمحمد خير يوسف مكتبة الرشد الرياض ط١، ١٤٢٣ هـ
- معرفة السنن والآثار لأبي بكر البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) ت: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية باكستان، دار الوعي حلب ط١، ١٤١١هـ
- المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان ن جوان الفارسي الفسوي (ت : ٢٧٧هـ) ت: أكرم ضياء العمري مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ
- مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار لبدر الدين محمود بن الحنفى العينى (ت : ٨٥٥هـ)ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ١٤٢٧ هـ
- المقفى الكبير لتقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥ هـ) ت: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ
- مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه لشمس الدين الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) ت: أبو الوفاء الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية ـ حيدر آباد ط٤، ١٤١٩هـ
- المنتخب من علل الخلال لموفق الدين عبد الله ابن قدامة بابن قدامة المقدسي (ت : ٦٢٠هـ) ت: طارق بن عوض الله، دار الراية للنشر والتوزيع الرياض سنة ١٤١٩هـ
- المؤتَلِف والمختَلِف لعلي بن عمر الدارقطني (ت : ٣٨٥هـ) ت: موفق ابن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٤٠٦هـ
- الموطأ للإمام مالك: رواية يحيى بن يحيى الليثي (ت : ٢٣٤ هـ) ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت ط٢، ١٤١٧هـ

- الموطا للإمام مالك: رواية أبي مصعب الزهري(ت : ٢٤٢هـ) ت: بشار عواد معروف ومحمود خليل ، مؤسسة الرسالة بيروت ط١، ١٤١٢هـ
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٢ هـ
- نوادر الفقهاء لمحمد بن الحسن التميمي الجوهري (المتوفى: حوالي ٣٥٠ هـ) ت: محمد فضل عبد العزيز المراد، دار القلم - دمشق/الدار الشامية - بيروت، ١٤١٤ هـ
- االهداية في تخريج أحاديث البداية (بداية المجتهد لابن رشد) لأحمد بن محمد ابن الصدِّيق الغُمَارِي (ت : ١٣٨٠ هـ)ت: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار عالم الكتب، بيروت – لبنان ١٤٠٧ هـ

الإنصاف فيما بين الأئمة في حدثنا وأخبرنا من الاختلاف

7. Fairness among the imams in using the term Hadathana and the term Akhbaran in Arabic - written by Muhammad bin Al-Hassan bin Muhammad Al-Gohari Al-Tamimi - who died about 350 AH - investigated by Dr. Al-Arabi Al-Daiz Al-Fariati / Morocco

Scholars have taken great care of Hadith sciences, and paid great attention to it, so there were many classifications, and the compositions varied between simplified and brief, between organized and scattered, between texts and explanations, and between what is general and comprehensive of all its issues, and what is purely private for each other without each other.

Imam Muhammad ibn al-Hasan al-Jawhari, one of the scholars of the fourth century AH, devoted it to an important terminological issue in which there was disagreement between the masters of the terminology, namely the compromise between the words “Hadathana” and “Akhbarana”. He opened it by mentioning the reason required for its authorship, which is the question of some people, and then mentioned the disagreement between the scholars in the matter to follow his choice and what he deems right, which is not to differentiate between them, I mean: « Hadathana » and « Akhbarana » to move to the celebration in the inclusion of evidence and evidence to ensure the validity of what he went to from many aspects, including: It is the choice of great imams such as Abu Hanifa, al-Thawri, Malik, Sufyan and others, including the significance of the Holy Qur’an and then the indications of the hadiths of the Prophet.

in the rest of Europe such as Italy did not develop, but these countries found themselves forced to participate in the expanding trade movement.

4. The effects of the French occupation on the travel of the tribes of the south-east - the Ait Khabash tribe as a model / Abderrahmane Malouki / Morocco

The phenomenon of grazing and nomadism in southeastern Morocco during the French colonial period witnessed profound socio-spatial transformations, especially for the famous nomadic tribes at the time, whose pastoral area the French colonizer tried to narrow and exert more pressure on in order to subject them to his political and territorial influence through a qualitative colonial policy.

The return of the nomadic south-east was not the product of the colonial period, but extended for decades. Especially during the nineteenth century, which marked the period of extensive settlement of the nomads of Ait Khabash, who, along with their brothers, the nomads of Dhu Manea and Ouled Jarir, contributed to the recovery of the oases of the southeast in general and the oasis of Tafilalet in particular. However, the invasion of these tribes will have the greatest impact in changing the travel routes, and pushing the herds towards pastures far from the border areas, although this is limited to the travel of Ait Khabash, it has never been able to eliminate the nomadic phenomenon in the southeast of the country.

5. The Moroccan presence in Egypt between the two centuries (12-14 AH / 18-20 AD) preliminary data in the light of historical testimonies and archaeological evidence / Dr. Rami Rabie Abdel-Gawad Rashid / Egypt

The land of Kenana, Egypt, because of its historical position and location in the heart of the Islamic world, was the focus of many Moroccan individuals and families from different spectrums of Moroccan society, such as craftsmen, industrialists, merchants, scholars, honorable people and Sufis, who migrated to it and settled there, or resided there for a while, for several religious, social, political and economic reasons. and others, and had a profound impact on various life activities in Egyptian society.

6. Recycling in Arab Heritage Literature / Prof. Maha Al-Shaar / Syria

In recent decades, the world has witnessed a tremendous industrial development that consumed and depleted most of the natural resources, and it was accompanied by the production of huge amounts of waste that accumulated everywhere, posing a real danger to living organisms and the surrounding environment, so special measures had to be taken to dispose of the accumulated waste, so the recycling policy followed by most countries of the world appeared to varying degrees, and thus recycling can be defined as the process of using waste by manufacturing it to produce new materials that can be used in another field, The purpose of recycling is to reduce the volume of this waste and thus reduce its accumulation in the environment, and this process is done by classifying and separating waste on the basis of the raw materials contained in it, and then recycling each material separately.

Abstracts of Articles

1. The term winning (Al Fawz) in the Noble Qur'an - a terminological study / Adel Adel Al-Wadi / Morocco

This research was busy studying the term win in the Holy Qur'an, to reveal its concept in its Quranic format according to the methodology of the terminological study, in order to understand the meanings of winning- Al Fawz that Allah guided to, according to the semantics of the texts of the Holy Qur'an, in order to save from all deviation or misguidance, and graciously for every loss or small, those "meanings that were developed in the tongue of the Holy Qur'an, or in the tongue of the honorable Sunnah, these are not for anyone to change and change their significance other than what they called."

Winning-Al Fawz in the Holy Qur'an is of great importance due to the great interest in guiding man in all his affairs, individually and in his group, and this term carries major meanings that guide to understanding oneself by understanding its terms.

2. What remains of the poetry of Abu Bakr bin Al-Mankhil Al-Shalabi "collection and study" / Dr. Muhammad Mahjoub Muhammad Abdul Majeed / Sudan

The country of Andalusia witnessed in the middle of the sixth century A.H a major transformation and transition, as the star of the Almoravid state declined and the sun of the Almowahidin state dawned, and although the two states were based on a religious principle, which is the command of virtue and the prevention of vice, but - nevertheless - the Almowahidin state was more firmly established, longer in time, and stronger influence in Andalusia.

There is no doubt that there are poets who were eyewitnesses to the Almoravid and Almowahidin eras in Andalusia, and perhaps they said poetry, including our poet Ibn al-Mankhil al-Shalabi, and indeed that he did not reach him anything in praise of the Almoravids, but he - without a doubt - was a participant in cultural life, as well as political life, as he was - like other Chalabis - hater of the Almoravid state, vengeful them, a participant in the revolution against it, whether in word or deed, he was a minister in the government of Ibn al-Mundhir supporter of the revolution of Ibn Qassi rebel on the authority of Stationed.

3. European and Far Eastern merchants during the fourteenth century AD / d. Pierre Moukarzel / Lebanon

At the beginning of the fourteenth century AD, in most European countries and in the countries of Asia and Africa bordering the Mediterranean, international trade was no longer just an adventure as it was in previous centuries, and the sales movement increased and competition between traders intensified, and there was a need to reduce expenses and costs, dispense with brokers and commercial intermediaries, and choose the most effective means of transportation and commercial techniques. In this era, Italy was the center of European trade, and Italian merchants traveled by sea to England and Flanders with their goods, and they increased their commercial activity in the Black Sea. Trade

INDEX

Editorial

"The Role of Artificial Intelligence in Preserving Arab Heritage: Challenges and possibilities"
Editing Secretary 4

Researches Titles:

The term winning (Al Fawz) in the Noble Qur'an - a terminological study
Adel Adel Al-Wadi 6

What remains of the poetry of Abu Bakr bin Al-Mankhil Al-Shalabi "collection and study"
Dr. Muhammad Mahjoub Muhammad Abdul Majeed 26

European and Far Eastern merchants during the fourteenth century AD
Dr. Pierre Moukarzel 65

The effects of the French occupation on the travel of the tribes of the southeast - the Ait Khabash tribe as a model
Abderrahmane Malouki 85

The Moroccan presence in Egypt between the two centuries (12-14 AH / 18-20 AD) preliminary data in the light of historical testimonies and archaeological evidence
Dr. Rami Rabie Abdel-Gawad Rashid 100

Recycling in Arab Heritage Literature
Prof. Maha Al-Shaar 109

Manuscripts' Verification

Fairness among the imams in using the term Hadathana and the term Akhbaran in Arabic - written by Muhammad bin Al-Hassan bin Muhammad Al-Gohari Al-Tamimi - who died about 350 AH
Investigated by Dr. Al-Arabi Al-Daiz Al-Fariati 129

Abstracts 186

ʾĀfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 32 : No. 125 - Ramadan - 1445 A.H. - March 2024

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR
Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY
Dr. Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD
Dr. Ababakr El Saddik
Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi
Dr. Fekry Abdelmonem Elnagar
Dr. Mohamed Vadel El hattab

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون الكتاب جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون الكتاب سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ كتاب مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون الكتاب مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة، مبيّنًا اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون الكتاب تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.

١١ – تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمّة ورفعًا لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديل أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

١ – ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبّر عن فكر أصحابها، ولا يمثّل رأي الناشر أو اتجاهه.

٢ – لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءً نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلاّ لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.

٤ – يُستبعد أيّ كتابٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

Āfāq Al-Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage - Dubai

Volume 32 : No. 125 - Ramadan - 1445 A.H. - March 2024

الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب
المؤلف: ابن منكلي : محمد بن محمود الناصري جلال الدين , بعد ٧٧٠ هـ
نسخة مكتبة جامعة ليدن بهولندا برقم Or ٤٩٩

alhil fi alhurub wafath almadayin wahifz aldurub
Author: Ibn Mankali: Muhammad bin Mahmoud al-Nasiri Jalal al-Din, after 770 AH
Leiden University Library copy, the Netherlands, number Or 499

Published by:
Department of Studies, Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage